



## الخطاب الإخواني والخطاب الليبرالي - مضامين كل منهما وفق الخصوصية الثقافية -

قدمت من قبل :  
أمل فرج محمد الكندي

تحت إشراف  
الأستاذ الدكتور : يوسف حامد الشين

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الفلسفة

جامعة بنغازي  
كلية الآداب

2018 م

***Copyright © 2018.All rights reserved, no part of this thesis may be reproduced in any form, electronic or mechanical, including photocopy , recording scanning , or any information , without the permission in writhing from the author or the directorate of graduate studies and training university of Benghazi .***

حقوق الطبع 2018 محفوظة . لا يسمح بأخذ أي معلومة من أي جزء من هذه الرسالة على هيئة نسخة الكترونية أو ميكانيكية بطريقة التصوير أو التسجيل أو المسح من دون الحصول على إذن كتابي من المؤلف أو إدارة الدراسات العليا والتدريب جامعة بنغازي .



كلية الآداب

جامعة بنغازي

قسم الفلسفة

## الخطاب الإخواني والخطاب الليبرالي

- مضامين كل منهما وفق الخصوصية الثقافية -

إعداد

بنغازي، 10/05/2019

أمل فرج محمد الكندي

تحت إشراف

الأستاذ الدكتور : يوسف حامد الشين

التوقيع: .....

(ممتحن داخلياً)

الأستاذة الدكتورة :... هنية مفتاح القماطي

التوقيع: .....

(ممتحن خارجياً)

الدكتور: عبد الكريم عبد الله بالقاسم

التوقيع: .....

يعتمد

مدير إدارة الدراسات العليا والتدريب بالجامعة

أ.د. محمد صالح بو عمود

عميد الكلية

أ.د. عبد الكريم اجويلي عبد العالي



# الإهداء

إلى روحه الطاهرة والذي العزيز رحمه الله ..

الباحثة

# الشكر والتقدير

إلى أستاذي الفاضل الدكتور /

يوسف حامد الشين على كل مجهوداته المبذولة .

الباحثة

## قائمة المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
حقوق الطبع.....	ب.....
صفحة التوقيعات.....	ج.....
الإهداء.....	د.....
الشكر.....	ه.....
فهرس المحتويات.....	و.....
الملخص.....	ك.....
المقدمة.....	1.....

### الفصل الأول : ( مصطلحات ومفاهيم )

أصل كلمة الإخوان المسلمين وعلاقتها ببرامجهم وأهدافهم.....	11.....
(1) الإخوان الهويّة والنشأة.....	11.....
(2) المصادر الفكرية للإخوان المسلمين.....	15.....

### (الاختلاف بين الإخوان والسلفية الجهادية والسلفية الدعوية)

(1) قوّة اللفظ ومتانة الصلة.....	16 .....
(2) ابن تيمية مُنظّر السلفية الجهادية.....	18 .....
(3) التاريخ يُعيدُ نفسه.....	23 .....
(4) ابن تيمية ومنهجية الجهاد.....	27.....

### (أصل كلمة الليبرالية وأبعادها الفلسفية والسياسية)

(1) ما هي الليبرالية؟.....	29.....
(2) نشأة الليبرالية.....	32 .....
(3) الليبرالية والعالم العربي والإسلامي.....	33.....

## (الفرق بين الليبرالية والعلمانية)

- 1 الليبرالية..... 36
- 2 مفهوم العلمانية وقضية الدين..... 38
- تعقيب..... 41

## الفصل الثاني : (الخطاب الإخواني)

## (نشأة الإخوان المسلمين ومؤسستها)

- 1 (تسمية الإخوان) من أين جاءت؟..... 44
- 2 التطور من الفكر النظري إلى التطبيق..... 46

## (البرنامج الثقافي والسياسي للإخوان المسلمين)

- 1 البرنامج الثقافي..... 49
- 2 البرنامج السياسي..... 52

## (دور الإخوان المسلمين في الحراك السياسي)

- 1 نشأة الجهادية المعاصرة..... 54
- 2 الجهادية وإسلامو فوبيا..... 56
- 3 مزلق المشروع السياسي..... 58
- أ) مزلق البداية..... 58
- ب) من الدعوة إلى السياسة..... 59
- ج) منهج جديد لهدف قديم..... 61
- د) مزلق النهاية..... 62

## (انتكاس التجربة والعودة إلى التطرف)

- 1) ارتباط الإخوان بالجهادية.....65.....
- 2) تأصيل التطرف في قضية الناسخ والمنسوخ.....66.....
- 3) حجة السلفية الجهادية بين الناسخ والمنسوخ.....67.....
- أ) الحجة في التكفير.....67.....
- ب) الناسخ والمنسوخ في القرآن.....68.....
- ج) ضروب النسخ وألية المعالجة.....70.....
- 4) جماعة الإخوان المسلمين الحاضر والمستقبل.....74.....
- 5) صفوة القول في شأن النسخ.....75.....
- تعقيب وتنبيه.....76.....

## الفصل الثالث : (الخطاب الليبرالي)

- نشأة الليبرالية وتطورها : .....82.....
- 1) النشأة.....82.....
- 2) جذور الليبرالية.....84.....
- تطور الليبرالية ومجالاتها : .....86.....
- 1) مراحل تطور الليبرالية.....86.....
- 2) الليبرالية الجديدة.....87.....
- علاقة الليبرالية والعلمانية بالدين : .....89.....
- 1) اتفاق واختلاف.....89.....
- 2) بوادر العولمة الغربية.....92.....



الموضوع	رقم الصفحة
(3) العلمانية الجزئية.....	94.....
(4) الحداثة الإسلامية في مواجهة العلمنة.....	95.....
(5) تعقيب.....	97.....

### الفصل الرابع : (مقارنة بين كل من الخطابين تجاه قضايا معينة)

- حقوق المرأة.....	101.....
- حق الميراث.....	103.....
- موقع المرأة في تراث الإخوان.....	108.....
تعقيب.....	110.....
مفهوم الديمقراطية.....	111.....
(1) المفهوم العام.....	111.....
(2) مفهوم السلطة لدى حسن البنا.....	113.....
(3) الإخوان ومواكبة العصر.....	116.....
(4) الديمقراطية الليبرالية.....	117.....
(5) مآخذ على الديمقراطية الليبرالية.....	120.....
مفهوم الدولة .....	125.....
مفهوم الدولة لغةً.....	125.....
موقف الجماعات الإسلامية من الدولة المدنية.....	127.....
أ) السلفية الجهادية.....	127.....
ب) السلفية الدعوية.....	127.....

الموضوع	رقم الصفحة
تعقيب.....	137.....
العدالة الاجتماعية :.....	138.....
1) مفهوم العدالة الاجتماعية قديماً وحديثاً في النظام الليبرالي.....	138.....
أ) مفهوم العدالة في العصر اليوناني.....	139.....
ب) مفهوم العدالة الاجتماعية في النظام الليبرالي المعاصر.....	144.....
2) مفهوم العدالة الاجتماعية في الإسلام.....	145.....
أ) روح الكتاب والسنة.....	145.....
ب) العدالة الاجتماعية ومسيرة الإخوان.....	146.....
ج) آراء السيد قطب (مُنظر الجماعة) في العدالة الاجتماعية.....	148.....
الخاتمة والنتائج.....	153.....
المصادر والمراجع.....	159.....
الملخص باللغة الإنجليزية.....	170.....
الواجهة باللغة الإنجليزية.....	171.....

# الخطاب الإخواني والخطاب الليبرالي مضامين كل منهما وفق الخصوصية الثقافية

إعداد

أمل فرج محمد الكندي

المشرف

الأستاذ الدكتور : يوسف حامد الشين

## المخلص

من خلال هذه الدراسة وعرض ملحمة الصراع بين الخطاب الإخواني والخطاب الليبرالي استنتجت أن التاريخ يُجبر في كثير من الأحيان لتكرار نفسه بالرغم من اختلاف الظروف الفكرية والاجتماعية بين ماضيه وحاضره .  
وقد تخالف الخطاب الإخواني مع الخطاب الليبرالي لتحقيق أهدافه رغم التباين بين مضامين كل من الخطابين .

## المقدمة

بعد سقوط الخلافة الإسلامية شهد العالم صحوة إسلامية مع نهاية القرن التاسع عشر في بداية العشرينات جاءت كرد فعل لانتشار الأفكار العلمانية الوافدة من الغرب أدت إلى ظهور الحركات الإسلامية وذلك لمحاولة ارجاع الأمة العربية إلى سابق عهدها أيام الخلافة أي العودة إلى السلف .

فمن هذا المنطلق واجهت الحركات الإسلامية الأحزاب العلمانية التي أرادت فرض النموذج الغربي الديمقراطي لتغيير مسار الأمة إلى ما تعتقد أنه الأفضل .

ويعود تاريخ الحركات الإسلامية الحديثة إلى القرن التاسع عشر عندما كانت الدولة العثمانية تعيش حالة من الفوضى والضعف والفقر ، ظهرت حركات الإصلاح التي يتزعمها (جمال الدين الأفغاني) وأثناء هذا الخطاب الإسلامي الاصلاحى التجريدي ظهر ما يسمى بالليبرالية ، وهي دعوة تنادي بالحرية الكاملة في ميادين الحياة المختلفة لا تقيدها أحكام الدين ، فهي كغيرها من المذاهب السياسية والاجتماعية تعد نمطاً فكرياً عاماً ، ومنظومة متشابكة من المعتقدات والقيم المشتقة من العلمانية .

بدأ المذهب الليبرالي على بتيارين :

أحدهما عصري يربط بين دعوته للحرية والإسلام مع الانبهار بالحضارة الغربية ، أما التيار الآخر : فهو ليبرالي يطالب بالحرية على الطريقة الغربية دون الحاجة إلى اخضاع قوانين الدولة لتشريعات الدين الأمر الذي عرف في العالم الإسلامي على المفهوم الليبرالي بشكل أوضح .

وهكذا نشأت تيارات متعددة من بينها تيار الليبرالية الإسلامية الذي يسعى للتوفيق في مجال حرية الإنسان بين الليبرالية والإسلام ونفي التعارض بينهما ، وكان ذلك من خلال حركة اصلاحية على يد (محمد عبدة) تناولت هذه الدراسة في ضوء حادثة الخطاب الديني محاولة لإيضاح أزمة فلسفة الخطاب الإخواني الجديد في مواجهة فلسفة وأهداف الليبرالية وقد وجهت دراستي حول هذه المشكلة من جانبها الفلسفي والسياسي العملي .

### **الهدف من الدراسة :**

1) معرفة ما هو ثابت وما هو متغير من المفاهيم السياسية الإخوانية والليبرالية .

2) مدى تأثير الخطاب الإخواني والليبرالي على مستقبل العالم الإسلامي ثقافياً وسياسياً .

3) تحديد مدى نجاح أو إخفاق الخطاب الإخواني في بناء الدولة .

### **إشكالية الدراسة :**

إن ظهور الحركات الإسلامية التي جاءت كرد فعل للتغريب الذي يعيشه العالم الإسلامي من ناحية وظهور المذاهب والفلسفات والأفكار والنظريات الجديدة التي تهافت عليها المسلمون من ناحية أخرى ، برز تيار الليبرالية الذي ينادي بفلسفة حرية الفرد والمجتمع في إطار القوانين الوضعية للدولة .

تكمّن إشكالية الدراسة في الصراع الذي يعيشه العالم الإسلامي من جراء ظهور الحركات الإسلامية المختلفة هذه وبجانب ظهور حركات سياسية نشأت في بيئة غير البيئة العربية الإسلامية وفي ظروف توفرت فيها الفلسفة العلمانية .

### أهمية الدراسة :

(1) معرفة ما هو ثابت وما هو متغير من المفاهيم السياسية الإخوانية والليبرالية .

(2) مدى تأثير الخطاب الإخواني والليبرالي على مستقبل العالم الإسلامي ثقافياً وسياسياً .

(3) تحديد مدى نجاح أو إخفاق الخطاب الإخواني في بناء الدولة .

### تساؤلات :

(1) هل يشكل الخطاب الإخواني والليبرالي عائقاً أمام التطور في العالم الإسلامي؟ أو أنه بعث للحضارة العربية الإسلامية .

(2) ما مدى فاعلية البرامج العلمية للخطاب الإخواني في مناقشة الحركات السياسية المعاصرة لها ذات الاتجاه الليبرالي والعلماني .

(3) هل يمكن الدمج بين الخطابين أو أنه ليس دمج بل هو استحواذ فقط ينتهي الأمر بسيطرة الفريق الأقوى على زمام الأمور

من هنا حاولت في هذه الدراسة الإجابة عن سؤال كبير مفاده كيف

تطورت البيئة الثقافية في الوطن العربي والإسلامي من أجل تجديد دولة

الخلافة ، وهو السؤال الذي جاءت الإجابة عليه من خلال المقارنة عبر الرسالة بين الاتجاه الإسلامي بمختلف أساليبه ، والاتجاه الليبرالي في نسخته العربية ، والانتقادات الموجهة إليهما من بعض المفكرين .

وقد ورد في الدراسة الإجابة عن أسئلة فرعية ذات أهمية . ففي الفصل الأول تمهيداً لعرض الموضوع بتشعباته سيتم توضيح المصطلحات والمفاهيم الواردة في الدراسة وذلك لغرض تسهيل فهم الفرق بين التيارين الرئيسيين (الإسلامي والليبرالية) .

وفي الفصل الثاني سنجيب عن سؤال كيف سعت جماعة الإخوان المسلمون إلى وراثة دولة الخلافة ، وما هي نجاحاتها واخفاقاتها في هذا الشأن ، واعتمدت الجماعة على فكرة التقية في مسيرتها للوصول إلى أهدافها الساعية لاستعادة دولة الخلافة ، واستبعاد النهج الليبرالي .

أما في الفصل الثالث فقد جاءت الإجابة عن ما تعنيه الليبرالية ، وكيف نشأت ، وما هي الظروف التي فرضتها ، وهل يمكن أن تكون توأمة مع دولة الخلافة ، وما هي السلبيات والإيجابيات لكل منهما في ضوء تطور الأساليب . لتحقيق كل منهما ، وما هي النتائج التي انبثقت عن كل ذلك في إطار الصراع بين أيديولوجيتين يرى الكثيرون صعوبة التوفيق بينهما من خلال المفهوم الكلاسيكي المفروض مسبقاً من منظري الاتجاهين .

أما الفصل الرابع فسيتم فيه مقارنة واضحة مشبعة بحجج عقلية وايديولوجية من موقف الإسلام بصفة عامة ومنظري الإخوان بصفة خاصة ومنظري

ومنتقدي الليبرالية في بعض القضايا الرئيسية من الناحية الحقوقية والاجتماعية والإنسانية .

### الدراسات السابقة :

تعددت الدراسات السابقة في جماعة الإخوان المسلمون من الناحية التاريخية حتى يكاد المرء يقول أنها أشبعت بحثاً . ومع ذلك فقد تتبعنا من خلال مصادرها الرئيسية الخاصة بالجماعة الكثير من الأحداث البارزة في مسيرة هذه الجماعة ومواقفها التطورية إزاء المستجدات في عالم الإسلام السياسي .

ومع ذلك فإن تطور المواقف وتسارع الأحداث في الفترة الأخيرة من تاريخ هذه الجماعة باعتبارها حاضنة لجماعات الإسلام السياسي المعتدل منها والمتشدد وهو أمر لم يُدرج في كتب منشورة ، دفعنا هذا التسارع في بعض الأحيان لمتابعة هذه التطورات الفكرية والسياسية للجماعة وتوابعها من خلال الصحف والمجلات السياسية ، وحتى بعض المواقع الإلكترونية المتخصصة دون أن نُهمل ما صدر حديثاً عنها .

وكل ذلك من أجل إبراز المواقف المستجدة لفكر هذه الجماعات وتداعياتها على الساحة العربية والدولية . ونذكر من الدراسات السابقة مؤلفات مؤسس الجماعة (حسن البنا) ومُنظرها (السيد قطب) ، كما أننا استترنا بتجربة الإخوان المسلمون في اقتحام الانتخابات الديمقراطية من خلال إحدى الرسائل العلمية التي سنذكرها في هوامشنا .



ومن الدراسات السابقة يمكن الإشارة إلى :

(1) عبد الرحيم علي : الإخوان المسلمون ، قراءة الملفات السرية ، الهيئة

المصرية العامة للكتاب .

(2) محمد سليم العوا : قضية الإخوان المسلمون ، دار الشروق ، 1995 م.

(3) علي عشاوي : التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين ، ط 1 ،

مركز ابن خلدون ، 2006 م .

أما في مجال الليبرالية ، فقد عرضنا مفهوم الليبرالية الغربية ، ووجهات نظر أنصارها من المفكرين العرب ، ومواقفهم من جماعة الإخوان المسلمون ، وجماعات الإسلام السياسي بصفة عامة . هذا بجانب عرض وجهات نظر منتقدي الليبرالية من المسلمين والغربيين على حد سواء .

سوف أتناول في **الفصل الأول** مصطلحات ومفاهيم تتعلق بكلام

الخطابين .

أما **الفصل الثاني** بعنوان الخطاب الإخواني سأتناول فيه نشأة الإخوان

المسلمون ومؤسسها والبرامج الثقافية والسياسية للإخوان المسلمون ودورهم في

الحراك السياسي .

أما **الفصل الثالث** بعنوان الخطاب الليبرالي وسوف أتناول فيه نشأة الليبرالية

وجذورها وتطورها ومجالاتها وعلاقة الليبرالية والعلمانية بالدين .

أما **الفصل الرابع** بعنوان مقارنة بين كل من الخطابين تجاه قضايا معينة

كحقوق المرأة والديمقراطية ومفهوم الدولة والعدالة الاجتماعية .

## خطة البحث

مقدمة .

### الفصل الأول : مصطلحات ومفاهيم :

- (3) أصل كلمة الإخوان المسلمين وعلاقتها ببرامجهم وأهدافهم .
- (4) الاختلاف بين الإخوان والجهادية والدعوية .
- (5) أصل كلمة الليبرالية وأبعادها الفلسفية والسياسية .
- (6) مفهوم الليبرالية والعلمانية .

### الفصل الثاني : الخطاب الإخواني :

- (7) نشأة الإخوان المسلمين ومؤسسها .
- (8) البرنامج الثقافي والسياسي للإخوان المسلمين .
- (9) دور الإخوان المسلمين في الحراك السياسي .

### الفصل الثالث : الخطاب الليبرالي :

- (10) نشأة الليبرالية وجذورها .
- (11) تطور الليبرالية ومجالاتها .
- (12) علاقة الليبرالية والعملائية بالدين .

**الفصل الرابع : مقارنة بين كل من الخطابين تجاه قضايا معينة :**

- (13) حقوق المرأة .
- (14) الديمقراطية .
- (15) مفهوم الدولة .
- (16) العدالة الاجتماعية .

# الفصل الأول

## (مصطلحات ومفاهيم)

## الفصل الأول

### مصطلحات ومفاهيم

(أصل كلمة الإخوان وعلاقتها ببرامجهم وأهدافهم)

أصل كلمة الإخوان المسلمين وعلاقتها ببرامجهم وأهدافهم :

## 1) الإخوان الهوية والنشأة :

1) "من المعروف تاريخياً أن الإخوان المسلمين منظمة دينية سياسية تهدف لإقامة الدولة الإسلامية أسسها "حسن البنا" عام 1928 في مدينة الإسماعيلية المصرية"<sup>(1)</sup> .

يقول (عبد الله بن بجاد) بشأن المصادر الفكرية للحركة : "إن مصادر الفكر الإخواني بشكل عام و(حسن البنا) بشكل خاص لها مصادر عديدة : المصدر الصوفي وقد تحدّث عنه حسن البنا وغيره من رموز الإخوان ، والمصدر السلفي ، بمعناه العام ، كما إنّ والد حسن البنا أحمد الساعاتي يُعدُّ سلفياً كونه من أهل الحديث وعمله في ترتيب مُسند للإمام أحمد المُسمى "الفتح الرباني" مشهور لدى التيارات السلفيّة ، وأهل الحديث منهم تحديداً "<sup>(2)</sup> .

أمّا أصلُ الكلمة كما يقول "حسن البنا" "زارني بالمنزل الأخوة الستّة وهم : (حافظ عبد الحميد ، أحمد الحصري ، فؤاد إبراهيم ، عبد الرحمن حسب الله ، إسماعيل عِرّ ، زكي المغربي) ، هؤلاء تأثروا بالدروس والمحاضرات التي - كُنْتُ - ألقِيها (بعد الحديث) حسماً أن نحيا إخواناً نعمل للإسلام ونجاهد في سبيله"<sup>(3)</sup> .

<sup>1</sup> عبد الوهاب الكيالي ، موسوعة السياسة ، ط 3 ، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ج 1 ، 1990) ، ص 112 .

<sup>2</sup> عبد الله بن بجاد العبيبي ، الإخوان والسعودية ، القصة الكاملة (الحلقة الأولى) الإخوان : من أين أتاهم الاسم ؟ وكيف أتتهم الفكرة . جريدة الشرق الأوسط ، لندن ، 5 أبريل 2014 ، العدد 12912 .

<sup>3</sup> حسن البنا ، مذكرات الدعوة والداعية ، ط 4 ، (دار الشهاب ، القاهرة ، ج ، 1979 ، ص 84 .

كما قال قائلهم : "بما نسمي أنفسنا ؟ وهل نكون جمعية أو نادياً أو طريقة حتى نأخذ الشكل الرسمي ؟ فقلت لا هذا ولا ذاك نحن أخوة في خدمة الإسلام فنحن إذاً "الإخوان المسلمين" (4) \* .

ومن هنا انتشرت الحركة في مختلف أرجاء مصر والوطن العربيّ "ولكن الطّابع السّياسيّ بدأ يغلب على الطّابع الدّينيّ فيها شيئاً فشيئاً وفي عام 1948 أُغتيل (النقراشي باشا) رئيس وزراء مصر بعد أن أصدر أمراً بحلّ الجماعة ومصادرة أموالها" (5) كما أُغتيل الشيخ "البنا" \* مؤسس الحركة ومرشدها العام .

"وفي عام 1950 م أُعيد تنظيمها من جديد ولكن الرئيس (عبد الناصر) \*\* عاد فحلّها وصقّأها من جديد مع جميع الأحزاب المصرية عام 1954" (6) لا اعتقاده بأن المرحلة لا تقتضي الجدل بقدر ما تقتضي الإنجازات العمليّة في مجال الاقتصاد والحياة السياسية .

<sup>4</sup> المرجع السابق ، ص 85 .

\* انظر : عبد الله بن بجاد العتبي ، الإخوان والسعودية ، القصة كاملة (الحلقة الأولى) ، مرجع سبق ذكره . "تسمية الإخوان من أين جاءت؟ هناك رأيان : يرى الأول : أن تسمية الإخوان مقتبسة من فكرة "الأخويات المسيحيات" المنتشرة في أوروبا والتي كانت لها تجليات في مصر عبر "جمعية الشبان المسيحيين" التي قام بعدها عدد من الأعيان والمثقفين من التيارات المدنية بإنشاء "جمعية الشبان المسلمين" وكانت تقوم بأنشطة مشابهة لأنشطة الشبان المسيحيين على عكس ما يوصي بها ، اسمها من صفة دينية ، والرأي الآخر يميل إلى أنها جاءت تأثراً بـ "إخوان من طاع الله" السعوديين للأسباب التالية ... الخ

<sup>5</sup> عبد الوهاب الكيالي ، موسوعة السياسة ، مرجع سبق ذكره ، ص 13 .

\* حادثة اغتيال الحسن البنا جاءت بعد قتل النقراشي باشا حيث كتفت الحكومة المصرية جهودها للرد على الحادثة السالفة الذكر ، "وقد حدث أن اتصل أحد الوزراء بالإمام الشهيد في 12 فبراير (شباط) 1949 م ليلقاه في مبنى جمعية الشبان المسلمين وهو يقع في أرحم شوارع القاهرة وظل الإمام ينتظر هناك ومعه زوج شقيقته الأستاذ عبد الكريم منصور ولما غابت الشمس ولم يف الوزير المنتظر بوعدده خرج الإمام والأستاذ عبد الكريم منصور واستوقفاً تاركين ما استقر فيه حتى أطفأت أنوار الشوارع وأقبل اثنان أو ثلاثة من المخبرين وأطلقا سبلاً من الرصاص على الأستاذ ومرافقه ..."

قصة اغتيال حسن البنا . ويكيبيديا الإخوان المسلمون ، الموسوعة التاريخية الرسمية للإخوان المسلمين .

\*\* جمال عبد الناصر حسين ولد في 1918.01.15 م في حي باكوس في الإسكندرية ، وتوفي في 1970.09.28 م بالقاهرة إثر ذبحة صدرية بعد إنهاء مؤتمر في القاهرة مهمته التوسط بين الملك حسين ملك الأردن والفلسطينيين فيما كان يعرف في ذلك بأحداث أزمة "إيلول الأسود" وجمال عبد الناصر هو ثاني رؤساء مصر بعد محمد نجيب علم 1956 م إلى وفاته ، وهو أحد قادة ثورة 23 يوليو 1952 م ، التي أزاحت الملك فاروق . كان له أعمال مرموقة في مجال السياسة العالمية والإصلاح السياسي والاقتصادي داخل مصر حيث أمم قناة السويس عام 1956 م ، وشارك في تأسيس حركة "منظمة عدم الإنحياز ، وفي نشر الوعي القومي في الوطن العربي . محمد محمود ربيع وإسماعيل صبري مقلد : "جمال عبد الناصر الزعيم القومي" ، موسوعة العلوم السياسية ، جامعة الكويت ، الكويت ، 1993 - 1994 .

راجع في شأن علاقة جمال عبد الناصر بالإخوان المسلمين وتطوراتها ، حسين محمد أحمد حمودة : أسرار حركة انضباط الأحرار والإخوان المسلمون ، ط 1 ، الزهراء للإعلان العربي ، القاهرة ، 1985 م .

<sup>6</sup> حسن البنا ، (مذكرات الدعوة والداعية) ، ص 113 .

"وكان الإخوان قد أُدينوا بمحاولة اغتيال الرئيس (عبد الناصر) في ذلك العام" (7) عندما كان يُلقى خطابه الشهير بميدان المنشية بالإسكندرية .

جاء بروز الحركة في بادئ الأمر "كرد فعل لسياسة بريطانيا المشجعة للحملات التنصيرية في مصر وقامت وسائلها على أساس استغلال فقر الناس وحاجتهم" (8) .

حيث تزايدت هذه الحركة وأصبحت تضمّ جميع فئات وطبقات المجتمع المصري ....

وتغلّغت في صفوف الموظفين والعمال والطّلبة والفلاحين حتى "أصبحت جماعة الإخوان المسلمين إحدى الهيآت السياسية التي ظهرت على المسرح السياسي المصري" (9) .

كما أصبح للحركة "مؤسساتها الخاصّة وتنظيمها كما أصبحت تُصدر مجلة خاصة تحمل اسم مجلة الإخوان المسلمين ، ثم تلاها إصدار مجلة النذير وأصبح لديها مطبعة خاصّة" (10) .

وهكذا عُرفت جماعة "الإخوان المسلمين كجماعة إسلامية تصف نفسها بأنّها إصلاحية شاملة وتعتبر أكبر حركة سياسيّة معارضة في كثير من الدول العربية" (11) . وسرعان ما أنتشر فكر هذه الجماعة و"نشأت جماعات أخرى

<sup>7</sup> المرجع السابق ، ص 113 .

<sup>8</sup> محمود عبد الحكيم ، الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ ، ج 1 ، ط 5 ، (دار الدعوة ، الإسكندرية ، 1994) ، ص 59 .

<sup>9</sup> حسن حمدان الحكيم ، قضايا إسلامية معاصرة ، ط 2 ، مركز الدراسات الآسيوية ، القاهرة ، 1997 م) ، ص 113 .

<sup>10</sup> حسن حمدان الحكيم ، المرجع السابق ، ص 113 .

<sup>11</sup> ريتشارد مشيل ، الإخوان والشيطان ، ترجمة : هند رشدي ، ب ط ، (دار الحياة ، ب م ، ب ت ) ، ص 7 .



تحمل فكر الإخوان في العديد من الدّول ووصلت الآن إلى 72 دولة تضمّ كلّ الدّول العربية ودولاً إسلامية في القارات الست " (12) \* .

فقد خرجت من تحت عباءة هذه الحركة الكثير من الحركات التي تُسمّى نفسها جهاديّة وهي تستخدم القوّة في التّغيير ، كحركة التّكفير والهجرة وغيرها من الحركات التي تدعو إلى استخدام القوّة لفرض رؤيتها وتحقيق أهدافها .

إنّ غاية جماعة الإخوان المسلمين في بادئ الأمر هي : "إقامة دولة إسلامية تسهر على الانضباط بمبادئ الدّين وأحكامه" (13) وجعلت من ضمن برامجها أنّ قيادتها أولت "وعلى رأسها (حسن البناء) للجيش اهتماماً بالغاً ويتّضح ذلك من خلال الزّيارات التي يقوم بها بدعوة من بعض أفراد القوات المسلحة المتعاطفة مع حركة الإخوان بالجيش فيما كانت تكتبه صحيفة الإخوان (النّذير) في مناقشة قضايا الجيش جنوداً وضباطاً" (14) .

<sup>12</sup> المرجع السابق ، ص 7 .

\* قد يسأل البعض من أين جاءت فكرة تحويل الإسلام ودولة الخلافة إلى جماعة سياسية دينية ، ومن كان المصدر الأول لهذه الفكرة التي تنتشر اليوم بهذه الطريقة ؟ يبدو أن أقرب إجابة للصحة ، هي أن الفكرة في حد ذاتها انبثقت من ذهن "جمال الدين الأفغاني" ومنه ترسخت في ذهن حسن البناء ، الذي يبدو أنّه كان متأثراً أيضاً في ذلك الوقت بالأحزاب القومية الأوروبية كالنّازية والفاشية والبلشفية .

عبد الله بن بجد العتيبي ، الإخوان والسعودية ، القصة الكاملة ، (الحلقة الأولى) ، الإخوان : من أين أتاهم الاسم ؟ وكيف أنتهم الفكرة ، مرجع سبق ذكره .

<sup>13</sup> مجدي حماد وآخرون ، الحركات الإسلامية والديمقراطية ، (دراسات في الفكر والممارسة) ، ط 1 ، (مركز دراسات الوحدة العربية ، الجزائر ، ب ت) ، ص 300 .

<sup>14</sup> حسن حمدان الحكيم ، قضايا إسلامية معاصرة ، مرجع سبق ذكره ، ص 114 .

## 2) المصادر الفكرية للإخوان المسلمين :

أمّا الناحية الفكرية "يُعدُّ فكر الإخوان المسلمين امتداداً للمفكر الإيراني

(جمال الدين الأفغاني) \* المطالب برابطة الجامعة الإسلامية" (15).

" ثم من بعده المصري (محمد عبده) \*\* وأخيراً السوري (محمد رشيد

رضا)\*\*\* ، ويعود الفضل للأخير في تعزيز تلك الأفكار في مجلة المنارة

ومهاجمة الوطنيين المصريين واصفاً إيَّاهم بالكفار الملحدين " (16).

وهذا الأمر جعل حركة الإخوان المسلمين قامت على أساس مبدأ ((الإسلام

هو الحل)) ، وسعت لتطبيق الشريعة الإسلامية وإعادة نظام الخلافة ، وهذا

الأمر جعل الحركة تتحول من حركة دعووية إلى حركة سياسية تسعى بشتى

الوسائل للوصول إلى السلطة .

---

\* الأفغاني جمال الدين *JAMAL- addin ALAFGANI* . كاتب وفيلسوف وسياسي من أصل أفغاني أو فارسي ولد في قرية أسعد آباد الأفغانية عام 1838 م وتوفي في الأستانة عام 1897 م ، كان يُطلق عليه لقب بالسيد علي حسب تأكيد أنه من سلالة الرسول صلى الله عليه وسلم ، تعلم في (كابول) فأجاد العربية والفارسية ودرس العلوم العقلية والدينية . كان صديقاً لمحمد عبده الذي تعرف عليه حينما كان الأخير طالباً في الأزهر فتطورت بينهما الصداقة .

أقام في مصر ثمان سنوات كانت من أخصب مراحل حياته فلعب في هذه الفترة دور المعلم والمؤجّه والقوة لعدد من الشباب كان من بينهم (سعد زغلول) ، رحل إلى باريس بسبب مضايقات السلطات الإنجليزية ملتحقاً به (محمد عبده) فكان وفيّاً بدوره إلى بيروت فأسس "جمعية العروة الوثقى" التي دخل من خلالها في نقاش مع أرنست رينان حول موقف الإسلام من العلم ، فضل الأفغاني في معظم حياته الخطابية على الكتابة ، والعمل على التنظير ، فكان قليل المؤلفات ، لكنها كانت غنية منها : (رسالة في الرد على الدهريين التي نقلها إلى العربية محمد عبده هذا بجانب افتتاحياته في مجلة "العروة الوثقى" وفي مجلة "ضياء الخافقين" ، قال عنه مكسيم رودنسون : يمكن اعتبار جمال الدين الأب الروحي لجميع الحركات القومية المعاصرة في العالم الإسلامي .

(محمد أحمد منصور ، موسوعة أعلام الفلسفة ، ط 1 ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، عمان ، 2001) ، ص 59 .

<sup>15</sup> ريتشارد ميشيل ، جيمس جانكوسكي ، الإخوان والشيطان ، مرجع سبق ذكره ، ص 258 .

\*\* يُعد (محمد عبده *Muhammad . Abda*) ، مفكراً نهضوياً وفقهياً مصرياً ، من مواليد قرية نصر عام 1849 م وتوفي بالقاهرة عام 1905 م ، يعتبره الكثيرون رائداً للتغيير العصري للإسلام ، ناهض تأثير الغرب على الفكر الإسلامي ودعا إلى تأويل عقلاني للقرآن . حقق عدد من النصوص العربية التراثية في مقدمتها كتاب "نهج البلاغة" للإمام علي بن أبي طالب ، كما ألف رسالة التوحيد والإسلام والرد على منتقديه ، "والإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية" .

محمد أحمد منصور ، موسوعة أعلام الفلسفة ، المرجع السابق ، ص 202 .

\*\*\* محمد رشيد رضا من كبار رجال الفكر الديني الإسلامي المعاصر . قال عنه "أنور الجندي" في الرسائل الإسلامية "أعلام الإسلام" : رشيد صاحب المنارة وتلميذ محمد عبده والرجل الذي حمل لواء الفكرة الإسلامية أكثر من ثلاثين عاماً قوياً وفيها مجاهداً فكون مدرسة ضخمة من الكتاب والمفكرين والعلماء ، وما تزال تسجل صورة رائعة للعمل الإسلامي الفكري الذي قام به الإمام خلال خمسة وثلاثين عاماً ، توفي عام 1935 م .

أنور الجندي ، أعلام الإسلام ، ب ط ، دار الأعمام ، ب ت ، ص 106 .

<sup>16</sup> المرجع السابق ، ص 258 .

هذه الحركات الإسلامية المعاصرة ترجع إلى الجهد الفكري والإصلاحي الذي بذله (جمال الدين الأفغاني) وتلميذه (محمد عبده) وكذلك (محمد رشيد) حيث تأثرت هذه الحركات بالحدثة ، مع رفضها لها في آنٍ واحدٍ .

وقد أثر الأفغاني في جيل كامل من المسلمين حيث كان له تأثير واسع من خلال مجلة (العروة الوثقى) التي أصدرها هو وتلميذه في باريس وكانت من أهم مبادئهم مقاومة الاستعمار واستعادة مجد الأمة وإرساء أسس الشورى وإصلاح الحكم وتجديد الدين . أي التوفيق بين الإسلام والحدثة الغربية .

**الاختلاف بين الإخوان والسلفية الجهادية والسلفية الدعوية :**

### **1) قوة اللفظ ومتانة الصلة :**

يبدو أن الاختلاف هو اختلاف في المسميات فقط . ربما هي مسميات ما يطلق عليها الإسلام السياسي باعتبارها مسميات تخص الإسلام . " الإخوان لفظ عزيز على الحركات الإسلامية لأنه يؤكد على متانة اللحمة وشدتها ويفيد معنى التعاضد والتساند بين مسلم وآخر وأهم من ذلك أن اللفظ مستقصى مباشرة من آيات الذكر الحكيم التي تفيض في الإلحاح على معنى الإخاء الإسلامي " (17) .

كذلك هناك جماعة الإخوان المسلمين وجماعة التكفير والهجرة فيبدو أن لفظ المسلمين والإسلام وكل ما يتعلق به لفظ عزيز على هذه الجماعات كما أن "الإخوان لفظ يطلق على حركات إسلامية لا شأن لها بالتنظيم الأم الذي نشأ في مدينة الإسماعيلية على يد (حسن البنا) في عام 1928 لجماعة

17 نيفين عبد المنعم سعد وعبد العاطي محمد أحمد ، السياسات الخارجية للحركات الإسلامية ، ط 1 ، (جامعة القاهرة ، مركز البحوث والدراسات السياسية ، 2000) ، ص 36 - 37 .

تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر" (18) ، كمقدمة لبناء مجتمع إسلامي يحتكم إلى الشريعة الإسلامية ذات المرجعية الإخوانية.

فحركة الإخوان المسلمين هي حركة تصف نفسها بأنها حركة إصلاحية شأنها شأن الحركات الإصلاحية التي ظهرت بعد انهيار الخلافة الإسلامية استناداً إلى مرجعية إسلامية ، وتطرح غالباً برامج سياسية تقوم على الرجوع لتطبيق الشريعة الإسلامية .

فجماعة الإخوان المسلمين تُعدُّ من الحركات الإصلاحية ، كما تُعدُّ أكبر جماعة تفرَّعت منها باقي الجماعات أو الحركات الإسلامية السياسية الأخرى . " فمن داخل هذه الجماعة انبثقت الجماعة الإسلامية في شكل لجان دعوية على شاكلة الإخوان غايتها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " (19) ، كما سلف سابقاً ؛ لكن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سلمياً بالنسبة لهذه الجماعات وسيلة وليس غاية \* .

أمّا الجهادية فهي في الأصل مأخوذة من كلمة الجهاد و" الجهاد في الأصل هو الدعوة إلى الدين الحقّ فلا يقتصر على استخدام القوة في الدعوة إلى الدين الحقّ فالقصد منه الدفاع عن الدّعوة وتأمين استقرارها في إطار الحكمة والموعظة الحسنة التي هي السبيل للتصديق بها واليقين بمقولاتها وقد

18 المرجع السابق ، ص 19 .

19 المرجع السابق ، ص 19 .

\* أمّ يكتب الإخوان المسلمين بالعمل المباشر لترويج فكرة الدعوة بالأساليب السامة السالفة الذكر ، بل كثيراً ما كان الإخوان المسلمين مصدرًا لتفريخ جماعات جهادية غير مباشرة لتقوم بدورها بينما تكون هي بعيدة عن الأوضاع ، ومن أمثلة ذلك حركة (الجماعة الإسلامية) التي نشأت "على يد بعض الشباب الجامعي في أواسط السبعينات من القرن العشرين" حيث اتجهت الأنظار إلى عبد الرحمن الذي عُدها بعد مؤسس الجماعة الإسلامية وزعيمها الروحي في مصر والذي كانت آراءه "قد وصفت بالجرينة في الساحة السياسية لموقفه الحاد في رفض معاهدة كامب ديفيد وقانون الأحوال الشخصية الذي سعت زوجة الرئيس أنور السادات لتمريره ، وتضمن منع تعدد الزوجات ومنع الطلاق إلا بمعرفة القضاء ، أي وقف العمل بالطلاق الشفوي ، وهي القضية التي تثير الآن جدلاً في مصر" .

راجع هشام البخار : رحيل مفتي الجماعات المتشددة في أحد السجون الأمريكية ، جريدة العرب اللندنية ، العدد (10548) ، لندن ، 2017.02.19 م ، ص 1 .

يكون من الدّفاع - المبادرة لإجهاض محاولات الخصوم الذين يهتمون بالانقضاء على أهل دعوة الإسلام " (20) .

فحركة الإخوان المسلمين التي تصف نفسها بأنّها حركة إصلاحية ودعوية خرجت من تحت عباؤها الكثير من الحركات كالحركة الجهادية التي في مجملها تتبنى استخدام القوة في التغيير كحركة الجهاد ، والتكفير والهجرة وغيرها من الحركات التي تدعو إلى استخدام القوة لفرض رؤيتها .

## 2) ابن تيمية مُنظّر السلفية الجهادية :

السلفية الجهادية خلقتها على ما يبدو ظروف تاريخية عسيرة مرت بها الأمة الإسلامية ، وتبرز هذه الظاهرة المسماة ((السلفية الجهادية)) على السطح بقوة ، كلما ظهرت الظروف السالفة الذكر ، فالجماعات الإسلامية السياسية بما فيها الإخوان يرتبطون بمفهوم وسيرة السلف الصالح اعتقادياً داعين إلى مجتمع إسلامي وفقاً لهذا المبدأ ، وهو أمر لا خلاف عليه في الغالب ، لكن المرجعية الإخوانية هي التي تخلق المشكلة في كثير من الأحيان في مجال التطبيقات .

إنّ بعض فرق الإسلام السياسية سلفية - كما أسلفنا القول - لكن الجماعات السلفية الجهادية ظهرت على السطح من جديد وفقاً لظروف تاريخية مرت بها الأمة الإسلامية وهذا الأمر يرجع للعصر الذي عاش فيه الشيخ (ابن تيمية) ورؤيته في معالجة الطوفان الذي اجتاح الدولة الإسلامية في آخر خلافتها .

ثرى من هو (ابن تيمية) ؟ ، وما مصادر رؤيته للفكرة الجهادية ؟ وما هي

الظروف التي عاشها في تاريخ الأمة الإسلامية ؟

20 عبد الوهاب الكبالي ، موسوعة السياسة ، ج 2 ، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ب م ، 1990) ، ص 113 .

## في البداية من هو ابن تيمية ؟

هو أحمد تقي الدين أبو العباس .. ابن تيمية الحراني ولد عام (661 هـ - 1229 م وتوفي عام 728 هـ - 1328 م بقلعة دمشق ، وهو أحد علماء الحنابلة ، ويُعدُّ الإمام الأول لحركة السلفية الجهادية .

ومن مؤلفاته على سبيل المثال :

أ - الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان .

ب - مجموعة فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية 37 مجلداً .

ج - بغية المرتاد في الرد على المنفلسة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد .

د - درء تعارض العقل والنقل (11) مجلداً .

أما الظروف التي عاش فيها (ابن تيمية) فكانت معروفة بغزو التتار\* للعالم الإسلامي خلال القرن السابع الهجري فكانوا سبباً في سقوط بغداد ، ومنها سقطت الخلافة العباسية سنة (656) هـ .

هذه الأحداث كانت قريبة من ولادة الشيخ ابن تيمية فشاهد آثار الدمار في العمران والعقول ، وسمع تفاصيله المؤلمة ممن رأوا مناظره وشهدها ، فكان لقلبه الغيور ردة فعل على نكسة المسلمين وذلهم وأن تمنلي نفسه كراهية لأولئك الهمج المتخلفون . وكانت

\* ينه بعض المحققين من المؤرخين المعاصرين على أنَّ الجيوش التي غزت بلاد المسلمين بقيادة (جنكيز خان) (624 هـ - 1227 م) فأهكت الحرث والنسل هي جيوش مغولية الأصل ، وليست تتارية ، وبين هذين الجنسين والعرقين فرق كبير ، وسبب الخلط بينهما هو أنَّ المغول بينهما هو أنَّ الجنكيز خان" بعد أن تغلبوا على التتار أرغموا بعضهم على الانضمام لجيوشهم ومشاركتهم في حروبهم قهراً ، ومع قيام بعض الأسباب السياسية ، وخاصة في العصور المتأخرة ، أشتهر اسم "التتار" على تلك الجيوش ، بل وأصبح وصف "التتار" علماً على الهمجية والقسوة والوحشية ..

ديانة المغول الأولى عبادة الكواكب ، والسجود للشمس ؛ وكانوا يرون أن (ننكزي) وهو الرب الذي يعلو السماء الزرقاء يبارك خطواتهم ، وأنهم خلقوا ليحكموا العالم كله ولهذا سمي زعيمهم نفسه بـ "جنكيز خان" أي "حاكم العالم" .

احسان العتيبي : الخلط بين التتار والمغول عند الكثيرين ، وجنكيز خان مغولي ، موقع ملتقى أهل الحديث .

راجع :

(1) أيراز كريم الله : من هم التتار ، ترجمة / رشيدة رحيم الصروق ، ط 1 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1994م

(2) محمود السيد : التتار والمغول ، ط 1 ، مؤسسة شباب الجامعة ، مصر ، 2006 م .

ولادة ابن تيمية في الدور الرابع للحروب الصليبية التي ظهر فيها ضعف الفرنجة وتجدد قوة المسلمين والبدء في طرد الصليبيين\* في كثير من المدن الإسلامية .

كما تميز عصر ابن تيمية بصراع المماليك\*\* على السلطة ، وكان لابن تيمية جهوداً للمصالحة والإصلاح وخاصة مع آخر ملوك المماليك بتذكيره "بحقن دماء المسلمين وحماية ذريّاتهم وصون حرّماتهم" (21) .

هذه الظروف المؤلمة في عصر ابن تيمية دفعت به لرفع راية الجهاد الإسلامي لإصلاح الحال وانقراض ما يمكن انقاضه ، فأصبح مصدراً للسلفيين الجهاديين كلما تكررت الظروف ذاتها في أيّ عصر من العصور .

ومن الناحية العلميّة قلّ الإنتاج العلمي في عصر ابن تيمية وركدت الأذهان وأقلّ باب الاجتهاد وأصبحت نزعة التقليد والجمود طاغية على المؤلفات ، وكثف المؤلفون الجهد حول جمع وفهم الأقوال من غير بحث ولا مناقشة ، والخلو من الابتكار والتجديد ، مما أظهر العصر غزارة المادة مع نضوب في البحث والاستنتاج ، وكل ذلك بسبب سيادة الأتراك والمماليك وكثرة المصائب على المسلمين وقلة الاستقرار الفاقدة للتفكير .

\* الصليبيون هم مسيحيو أوروبا ، "جاءوا من أوروبا وخاصة من فرنسا وألمانيا وإنجلترا ، وجاءوا إلى الشرق لهدفين : أولهما : هو شن حرب مقدسة لإنقاذ الأراضي المقدسة من أيدي المسلمين ، (ونلك من وجهة نظرهم) ، أما السبب الثاني : وهو الحقيقي لأن بلاد الشام كانت أغنى وأرحب من أوروبا المكتسبة بالناس ، فقد كان عند الأوروبيين مشكلة كبيرة وهي أن من يرث الأراضي الشاسعة هو الابن الذكر لصاحب الأرض ، وكذلك يرث اللقب ولا يرث أبناؤه الآخرين أي شيء ، فبدأت تنشأ المشاكل والنزاعات نتيجة لذلك ، فوجدوا أن أفضل حل هو احتلال بلاد الشام وتوزيع أرضها على من لم يرثوا شيئاً . وكان شعارهم في تلك الحرب هو الصليب حينما أتهم اعتبروها حرباً مقدسة" .

موقع / منتديات (www.dlg.com/forum) . راجع كتاب : محمود سعيد عمران : تاريخ الحروب الصليبية (1095 – 1291 م) ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 2000 م .

\*\* المماليك قوم من غير العرب أول من استجلبهم في العراق الوالي العثماني حسن باشا فقد جعل هذا الوالي بعد فساد نظام الانكشارية لنفسه جنداً مخلصين يستعين بهم ويتعصبون له ، فأرسل إلى بلاد "جورجيا" وبلاد "الشركسي" وداغستان" و"جبال القوقاز" من يأتي إليه بالصليبيان حين كانوا يباعون في أسواق مدينة "تقليد" ، وكان ينظم دوائر لتدريبهم . وكان عهد المماليك في جملة صراع على السلطة واستمر حكمهم للعراق 82 عام (1775 – 1831 م) ، لكنهم في عصر ازدهارهم تمكنوا من هزيمة المغول (التتار) في معركة عين جالوت بتاريخ الثالث من سبتمبر عام 1269 م في عصر السلطان "قطلز" قاهر التتار ، وهي أهم المعارك التي عرفها التاريخ الإسلامي ، والتي وضعت حداً لجيش المغول الذي عاث في بغداد فساداً بقيادة "جنكيز خان" .

راجع : سليمان فائق بك : تاريخ المماليك (الكرلة مند) في بغداد ، ترجمة عن التركية . محمد نجيب ارمنزي ، دار ضفاف للطباعة والنشر والتوزيع ، الشارقة ، (بغداد) ، 1912 م .

21 كريم البرليسي ، من هو ابن تيمية ؟ ولماذا كرهه مخالفوه ؟ موقع منتدى التوحيد .

هذه الظروف المؤلمة التي عاشها ابن تيمية دفعت به للدعوة الجهادية لإعادة الإصلاح وانقراض ما يمكن انقاضه فأصبحت هذه الدعوة الجهادية مصدراً للسلفيين كلما تكررت الظروف التاريخية بحياة الأمة الإسلامية كما سبق .

ومن أبسط الأمثلة على استنساخ السلفية الجهادية المعاصرة لفكر (ابن تيمية) مهاجمته للصوفية في عصره في كتابه الشهير ((الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان)) .

الذي فنّد فيه آراء كبارهم فيما يتعلق " بالاتحاد ووحدة الوجود ، والطواف بالقبور والتمسح والتبرك بها ودعاء أصحابها والاستعانة بهم والحضرات والموالد .. وما يحصل فيها من تجاوزات يُراد تمريرها من لدن السنة والأوصياء على الأضرحة والقبور بصفقتها من الدين " (22) .

وقد تأثرت السلفية الجهادية الحديثة بآراء ابن تيمية كمصدر رئيس لها بسبب التكرار التاريخي لظروف الأمة الإسلامية على ما يبدو مندفعين إلى مبالغات تسئ إلى صورة الإسلام المشرفة في التسامح وعدم إقصاء أهل الديانات المنزلة .

" وقف ابن تيمية يحارب المنحرفين من الصوفية والرفاعية والباطنية وغيرها من أهل الفرق ، داعياً إلى السنة الصحيحة مطالباً بالعودة بالإسلام إلى منابعه

22 ابن تيمية ، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، ط 1982 م ، (مكتبة المعارف الرياضى ، المملكة العربية السعودية ، 1982) ، ص 186 .



الأولى فكان بينه وبينها صراع طويل ضخم لقيّ فيه كثيراً من الاضطهاد والسجن والتشريد " (23) .

وكان عنيفاً في مهاجمة الصوفيّة ونقدهم في كتابه الشهير : ((الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان)) فند آراء كبار علمائهم فيما يتعلق . كما ذكرنا سابقاً . " بالاتحاد ووحدة الوجود والطواف بالقبور والتمسح والتبرك بها ، ودعاء أصحابها والاستعانة بهم والحضرات والموالد ... وما يحصل فيها من تجاوزات يراد تمريرها من لدن السنة والأوصياء على الأضرحة والقبور بصفتها من الدين " (24) .

يقول ابن تيمية : "كذلك عبادة الأصنام قد تخاطبهم الشياطين ، وكذلك من استغاث بميت أو غائب ، وكذلك من دعا الميت أو دعا به ، أو ظن أن الدعاء عند قبره أفضل منه في البيوت والمساجد ، ويروون حديثاً هو كذب باتفاق أهل المعرفة وهو : "إذا أعيتم المعرفة فعليكم بأصحاب القبور" . وإنما هذا وضع من فتح باب الشرك " (25) .

كما هاجم ابن تيمية في كتابه السالف الذكر كل مديح أو غناء يُحيد سامعه أو مشارك فيه عن ذكر الله وتلاوة القرآن ، ومنها حلقات المديح وغيرها التي تفعل فعل الخير في الإنسان وتبعده عن قراءة القرآن . يقول ابن تيمية : "وأما سماع المحدث ، سماع الكفّ والعرف والقصب ، فلم تكن الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر الأكابر من أئمة الدّين ، يجعلون هذا طريقاً إلى

23 أنور الجندي ، أعلام الإسلام ، ب ط ، (دار الاعتصام ، ب م ، ب ت) ، ص 56 .

24 كريم البرليسي ، ابن تيمية ، موقع منتدى التوحيد الإلكتروني .

25 ابن تيمية ، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، مصدر سبق ذكره ، ص 180 . وانظر ما رواه الرسول صلى الله عليه وسلم "لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا عليها" . وفي الموطأ عنه أنه قال : "اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد" ، أثنى و غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد" ، المصدر السابق ، ص 43 .

الله تبارك وتعالى ، ولا يعدونه من القرب والطاعات ، بل يعدونه من البدع المذمومة ؛ حتى قال الشافعي (204 هـ) : خلفت في بغداد شيئاً أحدثته الزنادقة يسمونه التغيير ، يهدون به النَّاسَ عن القرآن ... « (26) (\*) .

### (3) التاريخ يعيد نفسه :

في سنوات الربيع العربي برز على الساحة الجهادية "الشيخ عمر عبد الرحمن المصري" الذي بنى قنطرة ما بين ايديولوجية "أبي الأعلى المودودي" \* و(سيد قطب) من ناحية وبين الجماعة الإسلامية التي منها الإخوان المسلمون وجماعات الجهاد اللآحقة لها من جهة أخرى .

ولكن كتاب (عمر عبد الرحمن) المؤثر بفعالية على الفكر الجهادي المعاصر حتى يومنا هذا هو ((موقف القرآن من خصومه من خلال سورة التوبة)) حيث ضمن (عمر عبد الرحمن) في هذا الكتاب الضخم "رؤيته لقضية الجهاد والقتال ، وموقفه من اليهود والنصارى من خلال إعادة قراءة سورة التوبة وغزوات الرسول صلى الله عليه وسلم ومعاركه" (27) .

26 ابن تيمية ، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، مصدر سبق ذكره ، ص 186 .

\* لقد اختلف القدماء والمحدثون في شأن تحريم الغناء والموسيقى ، ويذكرنا هذا الشأن قول الإمام أبي حامد الغزالي في كتابه "إحياء علوم الدين" فقرة : 2/275 "من لم يُحرکه الربيع وأزهاره ، والعود وأوتاره فهو فاسد المزاج ليس له علاج" . راجع اختلاف الآراء في هذا الشأن بحيث : "الغناء والموسيقى الشعبية من منظور إسلامي عند الإمام أبو حامد الغزالي" . المؤتمر العلمي الفني الفلسطيني الأول ، 2009 م .

\* أبو الأعلى بن أحمد حسن المودودي (1903.09.05 – 1979.09.22 م) من أشهر علماء الدين الإسلامي في الهند وهو ينتمي إلى "أسرة تمتد جذورها إلى شبه جزيرة العرب وقضى أبو الأعلى المودودي طفولته الأولى في مسقط رأسه في مدينة "أونك اباد الدكن" بقطاعة حيدر اباد . أسس المودودي في بداية حياته الفكرية "الجماعة الإسلامية" في (لاهور) التي تهدف إلى تعميق الإسلام لدى طبقة المفكرين المسلمين والدعوة إلى الإسلام حيث تم انتخابه أميراً لها عام 1941 م . طالب المودودي من خلال جماعته بدستور إسلامي لدولة باكستان بعد إعلانها ، وتعرض عدة مرات للإعتقال بسبب ذلك" ، من مؤلفات المودودي التي ترجمت إلى عدة لغات والتي بلغت (70) مصنفاً ما بين كتاب ورسالة ، "الجهاد في الإسلام" 1928 م و"الحضارة الإسلامية" أصولها ومبادئها 1932 م و"نظرية الإسلام السياسية" 1939 م و"حقوق أهل النعمة" 1948 م ... الخ .

سمير حلي : أبو الأعلى المودودي : "داعية فوق السحاب" ، المكتبة الشاملة ، مشروع موقع دين الإسلام .  
27 إدريس الكنبوري : عمر عبد الرحمن ، المرجع النظري لمنجز الجماعات الجهادية المعاصرة ، جريدة العرب اللندنية ، العدد (10553) بتاريخ 2017.12.24 م ، ص 13 .

وينطلق عمر عبدالرحمن في كتابه السالف الذكر من صورة الواقع العربي والإسلامي اليوم ، الذي وصفه بواقع الشرك والكفر وأن "تحكيم الشريعة غائب في المجتمعات الإسلامية مستعينوا بأراء (سيد قطب) في مفهومه للجاهلية المعاصرة" (28) .

وحاول (عمر عبد الرحمن) وضع تصور لمفهوم الجيل الجهادي الجديد يقوم على أساس السيطرة على بقعة من الأرض ، والإعلان منها عن الدولة الإسلامية .

لقد وصل بالسلفيين التكفيريين تأويل آيات القرآن الكريم بما يتماشى مع مرجعيتهم ، واستخدام الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم بما يتماشى مع طرقهم ، وبما يبرر تجاوزاتهم ، ففي شأن الآية الخامسة من سورة التوبة: ((فَإِذَا نَسَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ ۚ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)) (29) .

رأت السلفية التكفيرية أنّ هذه الآية السالفة الذكر التي يطلق عليها الفقهاء "آية السيف" أنّها نسخت كل الآيات التي وردت في القرآن الكريم التي تدعو إلى التسامح والوئام مع غير المسلمين التي منها على سبيل المثال : ((لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۚ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ (سورة البقرة / الآية 256) وقوله تعالى ((وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُم جَمِيعًا ۚ أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ

28 المرجع نفسه ، ص 13 .

29 راجع شأن نزول الآية الخامسة من سورة التوبة والتي أطلق عليها العلماء "آية السيف" ، الموقع الإلكتروني "الإسلام سؤال وجواب المشرف العام الشيخ محمد صالح المنجد وأنظر أيضاً شأن فتاوي ابن تيمية محمد حيش ابن تيمية (428) فتوى بعنوان (يستتاب ولا قتل) ، موقع الكتروني weesyRian-Net

النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ)) (سورة يونس / الآية 99) ويقدر عدد الآيات التي طالها نسخ لهذه الآية ما يقارب عن 176 آية\* .

فالجهد الإسلامي في اعتقادنا برئ من تأويل هذه الجماعات التي تسمى نفسها إسلامية فالجهد الإسلامي لا يقتل الأطفال والنساء والشيوخ ولا تُمارس فيه عمليات التدمير والتفجير التي تقوم بها تلك الجماعات ؛ وخاصة إذا طال ذلك المسلمين في حد ذاتهم .

"والمسلم في قتاله ، لا يغدر ولا يفجر ولا يفسد ولا يتلف ولا ينهب مالا ولا يقتل امرأة ولا طفلاً ولا شيخاً كبيراً ولا يُجهز على جرحى ولا يمثل بقتل ولا يسئ إلى أسير ولا يتعرض لمسالمة أو رجل دين ولا يقصد أن يضرب وجهاً أو يقتل حي"<sup>(30)</sup> .

ومن هنا فما حدث هو عكس ذلك تماماً فكل ما أشار له (حسن البنا) وهذا معكوساً بشدة وطبق في ما عرف بالجهاد الإسلامي لدى الجماعات الإسلامية دون أن نجد استهجاناً لذلك من طرف الإخوان المسلمين المعاصرين .

وكذلك هناك جماعات أخذت جانباً دعويّاً كجماعة الإخوان المسلمين في بادئ الأمر باعتبارها كما وصفها حسن البنا باعثةا الدعوة إلى إقامة الدولة الإسلامية .

لقد "وصف (حسن البنا) جماعة الإخوان في رسالة المؤتمر الخامس على أنها جماعة إصلاحية شاملة تفهم الإسلام فهماً شاملاً وتشمل فكرتهم كل

\* لنا عودة تفصيلية في قضية الناسخ والمنسوخ في الفصل الثاني .  
30 حسن البنا ، السلام في الإسلام ، ط 1 ، (دار الكلمة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2000 م) ، ص 9 .

نواحي الإصلاح في الأمة وأنها : دعوة سلفية ، إذ يدعون للعودة إلى الإسلام ، إلى أصوله الصافية القرآن والسنة النبوية" (31) .

فالإخوان المسلمون يدعون بأنهم دعاة حسب قول (إسماعيل الهضيبي) المرشد العام للإخوان المسلمين "نحن دعاة ولسنا قضاة" ، لكنهم في النهاية نجدهم يصمتون على تجاوزات المتشددين .

إن جماعة الإخوان هي "الجماعة الأمّ التي وضعت حجر الأساس لبناء الإسلام السياسي في مصر المعاصرة والتي تفرّعت عنها الجماعات الدينية التي لا تزال تعمل في ميدان الصحوة جنباً إلى جنب مع الجماعات الفروع" (32) .

وكان لهذه الجماعة شخصيات بارزة منذ نشأتها فكان لها هذا الدور الفعال في حياة الجماعة فهناك ثلاث شخصيات : (حسن البنا ، عبد القادر عودة \* ، سيد قطب \*\*) (33) .

ولكل هؤلاء فكر خاص وطموح ووسائل لإيصال هذه الدعوة حسب قولهم طور جديد ، ففي هذا "الطور الجديد اتسع ميدان الدعوة فانتشر في العالم الإسلامي كله وتغيرت أهدافها فأصبح امتلاك السلطة من حيث أن السلطة

31 ريتشارد ميشيل – جميس جاكوسكي ، الإخوان والشيطان ، مرجع سبق ذكره ، ص 14 .

32 إسماعيل صبري عبد الله وآخرون ، الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي ، (ب ط ، ب م ، ب ت) ، ص 41 .

\* عبد القادر عودة 1903 – 1954 أحد كبار قيادي الإخوان المسلمين المعاصرة ، قاضي وقيده دستوري ولد بقرية كفر الحجاج شربيني بمصر في مدينة المنصورة الابتدائية ، واشتغل بالزراعة ، ثم عاد فواصل الدراسة تحصل على البكالوريوس سنة 1348 هـ ثم التحق بكليّة الحقوق بالقاهرة وتخرج 1930 م وفي عام 1951 م شغل وظيفة المرشد للإخوان المسلمين . وفي عام 1953 م انتدبته الحكومة الليبية لوضع الدستور الليبي ثقة منها بما له من واسع المعرفة بالقوانين الجنائية في مصر . توفي إعداماً عام 1954 م نتيجة تناقض مواقف الإخوان مع ثورة 23 يوليو المصريّة عام 1952 م . من أشهر مؤلفاته "التشريع الجنائي الإسلامي" . مقارنة بالقانون الوضعي ، وكتاب المال والحكم في الإسلام .

- المكتبة الشاملة (مشروع موقع دين الإسلام) W.W.W. Islam Religion

\*\* السيد قطب : هو السيد قطب إبراهيم الشاذلي ، ولد في قرية هوشة وهي إحدى قرى محافظة أسيوط بمصر بتاريخ 1906.10.9 م ، درس الابتدائية في قريته ، وفي عام 1920 بمدرسة دار العلوم 1939 ، عمل مدرساً ثم شغل عدة وظائف في الوزارة ونتيجة خلافات مع رجال الوزارة قدّم استقالته عام 1954 . قبض عليه للمرة الثانية عام 1965 بتهمة التآمر ومحاولة اغتيال جمال عبد الناصر فتم إعدامه عام 1966 م .

له مؤلفات عديدة أشهرها : "في ظلال القرآن" يتكون من 8 مجلدات ، وكتاب "معالم في الطريق" في ذكرى إعدام سيد قطب : تلاميذه يكتبون نهاية جماعة الإخوان . بوابة الحركات الإسلامية ، نافذة لدروس الإسلام السياسي والأفليات 2014.08.29 م .

33 المرجع السابق ، ص 41 .

سوف تكون الأداة إلى الدّعوة إلى الله وتغيّرت وسائل تحقيق هذه الأهداف فأصبح الجهاد بدلاً من الحكمة والموعظة الحسنة<sup>(34)</sup> .

إنّ جماعات الإسلام السياسي مهما اختلفت في المُسمّيات والأفكار والوسائل ، إلا أنّ هدفها واحد فكلّ هذه المُسمّيات المغطّاة بالدين هو إصاق الإرهاب بالدين الإسلامي الحنيف دين التسامح ، دين السّلام البعيد كل البعد عما ترتكبه هذه الجماعات من تدمير وقتل ، فديننا الإسلامي برئ ممّا ترتكبه هذه الجماعات بحجّة تطبيق الشريعة الإسلامية أو العودة إلى السلف الصالح حسب قولهم . وهكذا لتطبيق الشريعة الإسلامية شعار الأحزاب والحركات الإسلامية تتخذة مطية لمواجهة (الليبراليين) الذين يحافظون على مدنية الدّولة.

ويرى الإخوان والجماعات الإسلامية السياسية أنّ الدّعوة هي طريق الأنبياء والمرسلين ، وهي كذلك طريق الدّعاة والمصلحين ، حيث نشأت الكثير من المناهج الدّعوية المختلفة ، وظهرت دعوات إسلامية من قبل جماعات مخالفة للكتاب والسنة ، لهذا يجب التفريق بين ما تصوّروه ووضعوه في منهاج دعوتهم ، وبين ما جاء في نصوص الكتاب والسنة .

#### 4) ابن تيمية ومنهجية الجهاد :

من الحق القول إن الشيخ (ابن تيمية) عالم جليل ، ومن الحق القول إنه أكد على الجهاد بالسيف (القوة) تنفيذاً لشرع الله ، من حيث الدفاع عن النفس ، وانطلاقاً من أن العدوان لا يُرد إلا بالعدوان ، وأن فرض العقائد من المعتدين في ذلك الوقت (المغول

34 عبد الوهاب الكيالي ، موسوعة السياسة ، مرجع سبق ذكره ، ج 1 ، ص 112 .

والصليبيين) ، وفي أي وقت ، لا يمكن رده بغير قوة العقل أولاً وبالقوة العملية ثانياً إذا توفرت سبلها ، وتأجيلها عملياً إذا لم تتوفر (القوة العملية) إلى حين توفرها ، انطلاقاً من قوله تعالى : (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) (سورة الأنفال / الآية 60) .

وعلى هذا ، فابن تيمية دعا إلى الجهاد بقوة السيف انطلاقاً من ظروف الغزو المغولي وغزو الصليبيين استجابة لقوله تعالى: (أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ \* الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) (سورة الحج/الآيتان 39 ، 40)

ومراعاة لقوله تعالى : (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ \* وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرِجُوهُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ) (سورة البقرة / الآيتان 190 ، 191) \* .

\* وقياساً على ذلك فمحاربة الغزو الاستعماري بالقوة أمر مشروع وعلى هذا فمن الأولى بالجماعات الإسلامية المتشددة محاربة الإسرائيليين الذين أخرجوا الفلسطينيين من ديارهم ، وليس محاربة إخوانهم العرب الأمنيين في ديارهم .

## أصل كلمة الليبرالية وأبعادها الفلسفية والسياسية :

### 1- ما هي الليبرالية ؟

"الليبرالية مذهب رأسمالي ينادي بالحرية المطلقة في الميدانين الاقتصادي والسياسي ، وعلى النطاق الفردي ، ويؤكد هذا المذهب على القبول بأفكار المذهب وأفعاله بشرط المعاملة بالمثل" (35) .

إنَّ جوهر الليبرالية التركيز على أهمية الفرد والتحرر من كلِّ سلطة خارجية . و"كثير من الكُتَّاب يعرفون الليبرالية بترجمتها اللفظية من اللاتينية إلى العربية وأنها تعني "الحرية" فكلمة ليبراليس "*Liberalis*" تعني بالرجل الحرّ وكلمة "ليبت" *Libet* . ولوبيت *Lubet* تعني الطليق . وهذا تعريف وترجمة اللفظ فقط" (36) .

فالمفاهيم التي تقوم عليها الفلسفة الليبرالية هي الفردية والحرية وهي قيمة السلطة وتعتبر أكثر أهمية منها .

(الليبرالية) كمنهج : تستند إلى فكرة القانون الطبيعي ، فجميع الأفكار الأوروبية ذات جذور في الفلسفة اليونانية ، "كالسوفسطائية" \* ، مضمونها أنَّ مصلحة المجتمع ككل تتحقق من خلال عمل كلِّ فرد فيه على تحقيق مصلحته الخاصة وهذه الفكرة هي الأساس الفكري للمفهوم الغربي المعاصر للحرية . فالحرية (الليبرالية) ادَّعت أنَّ الإنسان هو سيّد الكون وأنَّ حرّيته

35 عبد الوهاب الكيالي ، الموسوعة السياسية ، ط 2 ، ج 5 ، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، م ب) ، ص 566 .

36 عبد العزيز مرزوق الطريقي ، العقليّة الليبرالية ، ط 1 ، (دار الحجاز ، الإسكندرية ، 2011 م) ، ص 133 .

\* نسبة إلى السوفسطائية والسوفسطائي Sophism هو الرجل الحادق أو البارح في أمر من الأمور ، لكن اللفظ يطلق عادة على من يستخدم الأقويل الخلابية والمغالطة في الكلام . مراد وهبة ، المعجم الفلسفي ، ط 3 ، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة ، 1979 .

راجع في شأن السوفسطائيين ، يوسف حامد الشين ، مدخل جديد لعلم التفسير ، ط 1 ، دار الأندلس ، الإسكندرية ، 2003 ، ص 38 .



الشخصية لا تخضع لأي قيود ، وقد وفد هذا المفهوم الغربي إلى بلادنا في القرن التاسع عشر هذا المفهوم القائم على الإباحية وعدم التعرض لأي فرد في أموره الخاصة .

وهذا يعني أنّ "الفكر الليبرالي يسعى إلى أن يفعل الفرد ويقول بلا حدود ولا ضبط من غير تأثير خارجي عليه أو تأثير منه على أحد ، ولا يعنيه ما يفعل غيره ، ولا يعني غيره ما يفعله هو ، ويجب ألا يكون متأثراً بأي فكر أو اعتقاد ديني أو قبلي أو عرفي ، ويجب أن ينطلق من عقل وتحليل منعكس من المادة والطبيعة ، فالحاكم على الإنسان عقله فقط وهو الإله الذي يشرع للأفراد بلا شريك لذا لا يهتم العقل الليبرالي بأفعال غيره لأنها لا تعنيه" (37) مما يعني أن الفكر (الليبرالي) يسعى إلى أن يفعل الفرد ويقول ما يريد بدون أي تأثير خارجي عليه .

وقد "كان ميلاد الليبرالية في القرن السابع عشر خاصة مع "جون ستيورات ميل" و"جون لوك" وهما الأساسيان اللذان وضعوا الأفكار المولدة للنظرية ؛ فالليبرالية في بدايتها تتجه إلى صناعة الفرد الحر كما أشار "برتر اندراسل" \* (38) .

فالليبرالية تؤكد على الفرد الحر .

وأما من حيث الاشتقاق اللغوي ، يرجع لفظ الليبرالية إلى اللفظ اللاتيني "ليبراليس" ، الذي يعني الشخص الكريم ، النبيل ، والحر ، ومن بين هذه الدلالات الإشتقاقية التي يحملها اللفظ نجد أنّ المعنى الأخير "أي الشخص

37 المرجع السابق ، ص 45 .

\* برتراند راسل B. Russel (1872 - 1970) ، فيلسوف منطقي ورياضي إنجليزي ، مهتماً بفلسفة الرياضيات ، من مؤلفاته الرئيس عن أسس الهندسة والتجريبية عند ستيورات ميل ، والفلسفة المتعالية عند كانط ، والهيجلية الإنجليزية الجديدة .

ALAIN REY : LEPETIT ROBERT 2 . PARIS , 1985 .

38 عبد الله الخزامي ، الليبرالية الجديدة ، ط 1 ، (المركز الثقافي العربي ، المغرب ، 2013) ، ص 118 .

الحرّ" هو المعنى الذي سيكون مرتكز الدّلالي للمفهوم لاحقاً ، حيث يلاحظ أنّه حتى نهاية القرن الثامن عشر لم يكن لفظ الليبرالية مُنذُ البداية بل كانت الكلمة الشائعة هي ليبرال "*Liberal*"<sup>(39)</sup> .

ومن ناحية أخرى (فالليبرالية) مفهوم يقوم على الفردية والحرية كما ذكرنا سابقاً ، وهي قيمة تعلو قيمة السلطة وتعتبر أكبر أهمية منها ، وقد وجدت (الليبرالية) إمكانية التوفيق بين الحرية والسلطة من خلال الديمقراطية على إعتبار أنّها تتيح للفرد أن يكون حاكماً ومحكوماً في وقتٍ واحدٍ .

(فالليبرالية) كمفهوم فلسفي تقوم على حرية الفكر ، ومفهوم سياسيّ تقوم على اختبار السّاطة وتأسيس الأحزاب ومفهوم اقتصادي فهي حرية الفعل الاقتصادي أي الحرية المطلقة في المال دون تقييد أو تدخل من الدولة \* .

ومجمل القول فإنّ "الليبرالية من الناحية الفكرية تعني حرية الاعتقاد والتفكير والتغيير . ومن الناحية الاقتصادية تعني حرية الملكية الشخصية وحرية الفعل الاقتصادي المنظم وفق قانون السوق ، وعلى المستوى السياسي تعني حرية التّجمع وتأسيس الأحزاب واختيار السّاطة"<sup>(40)</sup> .

39 الطيب بو عزة ، نقد الليبرالية ، ط 1 ، (تنوير للنشر والإعلام ، القاهرة ، 2013 م) ، ص 18 .

\* يُعد آدم سميث (1723 - 1790) *Adam Smith* الفيلسوف ورجل الاقتصاد الأسكتلندي ، المُنظر الرئيس للاقتصاد ، الليبرالي المعاصر ، وهو مرّوج مقولة "دعه يعمل دعه يمرّ" داعياً إلى حرية الفرد في مجال الاقتصاد والتي منها يُعدُّ رافعاً لشعار الرأسمالية المعاصرة ومن أشهر أعماله في مجال الاقتصاد كتابه الشهير "ثروة الأمم" الذي ذكر فيه المقولة المذكورة أعلاه .

المصدر : . ALAIN REY : LEPETIT ROBERTZ . PARIS , 1985 .

40 المرجع السابق ، ص 21 .

## 2- نشأة الليبرالية :

كان ظهور "الليبرالية" الحقيقي في الغرب كمفهوم سياسي واقتصادي متكامل في القرن التاسع عشر كنتيجة لمساهمات متفرقة في أوقات مختلفة لعدد من الفلاسفة من أمثال : (ميكافيللي) و(جون لوك (1632-1704) *Lock* (j. و(جان جاك روسو(1712-1778) (A. *Roussou* (j. j. والفيلسوف الاقتصادي (آدم سميث (1723-1790) *Smith* (A. و(جون ستيورات مل (1806-1873) *S. mill* (j. .

ومن الواضح أن الليبراليين يلتزمون بمجموعة من القيم والمبادئ التي تشكل في مجموعها موقفاً أخلاقياً نبيلاً من قضايا حيوية أساسية يمكن اختصارها فيما يلي :

أ- احترام إنسانية الإنسان بمعنى الاعتراف بكيانه الفردي وبأنه الأساس والجوهر الذي لا يمكن تجاهله أو الحط من قدره وعقله . فالليبراليون يعطون قيمة قصوى للفرد تفوق أهمية الجماعة .

ب- اعتبار أن الحرية شرط لا غنى عنه لتمكين الأفراد من تنمية قدراتهم ومهاراتهم .

ج- إخضاع كل شيء لحكم العقل بمعنى توظيف هذه الآلة التي وهبها لنا الله في التوصل إلى الحقائق دون وصايا خارجية .

أمّا (الليبرالية) السياسية فهي نظام يقوم على ثلاثة أسس وهي :

علمانية - حرية فردية - ديمقراطية

فصل الدين عن الدولة هي علمانية ، أمّا أساس الاعتقاد الديني والتعددية

الفكرية والحزبية والانتخابات من خلال النظام البرلماني فهي "ديمقراطية" . كما

أن أساس كفل حرية الأفراد "حرية فردية". هذا و"تعتبر الديمقراطية من النظم الليبرالية التي تسعى لإعطاء الفرد حقوقه وهي نوع من التطبيق العلمي للفكر الليبرالي" (41).

وكما تعتبر أيضاً من "أبرز النظم الاقتصادية الليبرالية هو نظام الرأسمالية الذي رتب أفكاره عالم الاقتصاد الاسكتلندي آدم سميث في كتابه ثروة الأمم" (42).

إن حرية الفرد في الفكر والاعتقاد وديمقراطية الانتخابات النزاهة وحقوق الإنسان تلك هي الأهداف المشتركة التي تجمع الليبراليين في جميع دول العالم ، ولكنهم يختلفون في أيديولوجية المجتمعات ومعتقداتها وفلسفة دياناتها ، وفق أخلاق المجتمع التي يتبناها ، وعلى هذا يُعدُّ "مفهوم الليبرالية سواء في طرحه الفلسفي أو السياسي أو الاقتصادي مفهوماً زبئياً ينفلت من التحديد والتعريف ، ومفهوماً مخاتلاً غارقاً في الالتباس" (43).

## 2) الليبرالية والعالم العربي والإسلامي :

يرى دعاة الليبرالية من الغرب والمسلمين أن حرية الفرد في العالم الإسلامي محدودة فهناك عوائق دينية تعوق هذه الحرية ، انطلاقاً من اعتقادهم في فصل الدين عن الدولة .

فالبداية لليبرالية العربية الإسلامية كانت على يد تيارين : (44)

41 عبد الرحيم بن صمائل السلمي ، الليبرالية نشأتها ومجالاتها ، ب ط ، (ب ن ، ب م ، ب ت) ، ص 16 .

42 المرجع السابق ، ص 19 .

43 الطيب بو عزة ، نقد الليبرالية ، مرجع سبق ذكره ، ص 17 .

44 راجع في هذا الشأن : الشيخ عبد العزيز مصطفى كامل : معركة الثوابت بين الإسلام والليبرالية ، ط 1 ، سلسلة مجلة البيان ، 2010 ، ص 191 وما بعدها .

تيار عصري يربط بين دعوته للحريّة والإسلام مع انبهار بالحضارة الغربية كما هو الحال بالنسبة (لجمال الدين الأفغاني) ، ومن تأثر به .

وتيار علماني يطالب بالحريّة على الطريقة الليبرالية الغربية دون الحاجة للربط بالدين ، أو الارتباط بالأخلاق الإسلامية أو حق التمسك بالموروث الثقافي في مجال العادات والتقاليد . كما هو الحال عند شاعر النايلسي الملقب بـ "ليبرالي العرب" \* .

وقد تعرّف العالم الإسلامي على الليبرالية بشكل أكبر من خلال حاجة الأول إلى التكنولوجيا التي يحتكرها الثاني هذا بجانب النظم السياسية المتذبذبة بين الدين والعلمانية .

لهذا نشأت تيارات متعددة لليبرالية منها تيار الليبرالية الإسلاميّة فهذا التيار يسعى للتوفيق بين الليبرالية والإسلام ونفي التعارض بينهما وقد نشأ في الحركة الإصلاحية على يد "محمد عبده" .

ومن الواضح أنه "تسللت الليبرالية إلى البلاد الإسلاميّة من خلال الجمعيات السريّة التي كوّنوها أفراد تأثروا بالفكر الغربي وانبهروا بحضارته المادّية وقد كانت بقية الأمة الإسلاميّة ثابتة على دينها لا تحتاج إلى الأفكار والنظم الغربيّة وهي معترزة بدينها واثقة بصحته وصلاحيته للحكم والعمل في كل زمان ومكان " (45) .

\* شاعر النايلسي (1940 - 2014) ، (كاتب وناقد أردني الملقب بـ "ليبرالي العرب" اختص بكل ما له صلة بالإصلاح في الوطن العربي والقضايا الإسلامية العالقة ، إلى جانب ما يواجه المجتمع المدني من مشكلات" . راجع في هذا الشأن موقع إيلاف : سارة الشمالي : رحيل شاعر النايلسي ليبرالي العرب 2014.01.15 م .  
45 سليمان بن صالح الخراشي ، حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها ، ب ط ، 2010 ، ب ن ، ب م ، (12129) ، ص 59 - 60 .

ومن ثمّ ، يمكن القول أنّ هناك العديد من العوامل التي أدت إلى ظهور الليبرالية في العالم الإسلامي بصفة عامة وظهر ما يسمّى حالياً بالليبرالية الإسلاميّة التي تحاول التوفيق بين الإسلام والحداثة الغربية بصفة خاصة .

ومن الناحية التاريخية "تعود جذور التقريب بين الإسلام والليبرالية إلى القرن التاسع عشر حيث تفكّكت الدّولة العثمانية وأحتلّت أكثر البلاد الإسلاميّة وظهرت فيه قوة الغرب الماديّة ، وضعفت البلاد الإسلاميّة وبرز السّؤال الفكري الشهير "لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟" (46) .

وفي هذه الأجواء الفكرية المكتسبة بدأت الحركات الإصلاحية على يد (محمّد عبده) 1905 م. "وقد انتهت بتحول تلاميذ محمّد عبده إلى الليبرالية الصّرفة وقد استفاد الاحتلال والقوى الإستعمارية ممّا يُسمّى بالحركة الإصلاحية وقام بتوجيهها لتحقيق أهدافه في إضعاف المفاهيم الإسلاميّة الصّحيحة في النفوس والقضاء على الوحدة الإسلاميّة" (47) .

لقد كانت الليبرالية سبباً في زعزعة العقائد ، والعبث بالأفكار فهي كغيرها من المذاهب التي تُعدّ دخيلة ومستوردة لا تمتُّ إلى ديننا بصلة ، فهي نشأت في بيئة غير بيئتنا ، وفي ظروف غير ظروفنا ، فهي مذهب رأسمالي ينادي بالحرية المطلقة في كافّة الميادين ، وخاصّة الميدان الاقتصادي والسياسي والاجتماعي ، وهذا يتضمن في اعتقاد الجاهلين بروح الإسلام إسقاط حاكمية الله في السياسة ، الأمر الذي يُعدّ نقطة خلاف بينهم وبين الإخوان الدّين يرون الحاكمية لله .

46 المرجع السابق ، ص 105 .

47 سليمان بن صالح الخراشي ، حقيقة الليبرالية ، مرجع سبق ذكره ، ص 106 .

## الفرق بين الليبرالية *LIBRALISM* والعلمانية *SECULARISM* :

1- الليبرالية : الليبرالية في السياسة والاقتصاد مذهب فكري يركز على الحرية الفردية والتحرر التام من كل سلطة خارجية ويتركز على أهمية الفرد وضرورة تحرره من كل سلطة خارجية كما أسلفنا القول . ويمكن إضافة القول أن " الليبرالية لها مفاهيم متعددة بحسب ما تضاف إليه ويجمعها الاهتمام المفرط بالحرية وتحقيق الفرد لذاته واعتبار الحرية هدفاً وغاية في ذاتها وهناك من يرى أن الليبرالية هي "نظرية الحرية" وهي نظرية ذات أطراف متعددة وجوانب مختلفة وبمقادير متفاوتة" (48) . فالليبرالية لا تأبى بسلوك الفرد طالما أنه لا يخرج عن دائرته الخاصة بالحقوق والحريات . ويرى البعض أنها كفضيلة ترجع إلى أيام (سقراط) وغيره في العصور الوسطى والحديثة إلا أنه يمكن القول ، لا يوجد تعريف عام متفق عليه لمفهوم الليبرالية نظراً لتشعب الأفكار والاتجاهات ، ففي إطار الإيديولوجية المعاصرة يلاحظ وجود اليمين الليبرالي أو المحافظين ، وفي إطار *Liberalism* *Reservative* واليسار الليبرالي أو الراديكاليين *radical* .

*Liberalism* والمعتدلين الليبراليين *moderate Liberalism* .

- وإذا كان المحافظون يؤيدون ويؤكدون في مجال الاقتصاد على فلسفة

((دعه يعمل دعه يمر)) "*Laissez faire laissez passer*" (49) .

وهو الشعار الذي أطلقه الفيلسوف والباحث الاقتصادي "آدم سميث" \* .

"فإن (الراديكاليين) يطالبون بأن تلعب الدولة دوراً أكبر في مجال الاقتصاد

48 المرجع السابق ، ص 107 .

49 مصطفى عبد الله خشيم ، موسوعة علم السياسة ، ط 1 ، (الدار الجماهيرية ، ب م ، 1425) ، ص 341 .

نتيجة لتغير الظروف البيئية المحيطة على المستويين المحلي والدولي . أمّا المعتدلون فيتخذون في هذا الشأن موقفاً وسطاً يجسّد عمليّة التوفيق بين آراء اليمين واليسار " (50) .

ومن جملة الآراء الثلاثة تُعد الليبرالية رمزاً للحرية المطلقة في المال ، وعدم التقيّد بتدخل الدولة ، بل ومنعها من تولي وظائف صناعيّة أو تجاريّة ، ولا يحقّ لها - أي الدولة - التّدخل في العلاقات الاقتصادية ، وقد استفاد اليهود من ذلك في الرّبا والغش والسّرقة من خلال تكسّ الأموال . هذا ما يتعلق بالمجال الاقتصادي .

وهكذا ، ففي مجال التحديد الدقيق للمفهوم ، فإنّ "الليبرالية كغيرها من الظواهر الفكريّة تحمل دلالات مختلفة ولا يوجد اتفاق حول مفهوم محدّد ومتفق عليه ، بل وبلورة تعريف واضح ودقيق لليبرالية أمراً صعباً وربما عديم الجدوى" . (51) ومع ذلك ففي اعتقادنا في النهاية ، مهما تعدّدت المفاهيم يبقى المفهوم الإنساني لليبرالية هو التّحرر من كافة القيود في جميع المجالات ، رغم أنّها تتحرك وفق أخلاق وقيم المجتمع الذي يتبناها وتتكيف حسب ظروف كل مجتمع .

---

\* آدم سميت *Adam Smith* فيلسوف وعالم اقتصاد اسكتلندياً 1890 - 1723 ، أقام في فرنسا فتأثّر بعلمائها واقتصادها مما دفعه لنشر أبحاث عن "طبيعة وأسباب ثروة الأمم" 1776 ، فكانت هذه الأبحاث أول معالجة جادة للأسمالية الليبرالية مؤثراً بأبحاثه هذه في كمل المدرسة الليبرالية . *ALAIN REX : LEPETIT ROBERTZ . PARIS .*

50 المرجع السابق ، ص 342 .

51 وليد بن صالح الرميزان ، الليبرالية في السعودية والخليج ، ط 1 ، (ت ب ، ب م ، ب ت) ، ص .



## 2- مفهوم العلمانية وقضية الدين :

من المهم في إطار أشمل لمفهوم العلمانية إزاء القضايا الميتافيزيقية

لابد لنا من القول :

"إنّ مصطلح العلمانية هو نسبة - غير قياسية - إلى العلم "بمعنى العالم "بفتح

اللام" أو إلى "العالمية" *SECULARISM* والعلماني *SECULAR* هو الذي يتبناها

"فرداً كان أو جماعة أو مجتمعاً ... " (52) .

والمعنى الأكثر شيوعاً للعلمانية هو فصل الدين عن الدولة . فالعلمانية

بمفهوم العلم لا تنكر الدين ، والتعبير الشائع في الكتب الإسلامية المعاصرة

هو فصل الدين عن الدولة هو في الحقيقة لا يعطي المدلول الكامل للعلمانية

الذي ينطبق على الأفراد وعلى السلوك الذي قد لا يكون له صلة بالدولة .

ولو قيل : أنّها فصل الدين عن الحياة لكان أصوب ، لذلك فإن المدلول الصحيح

للعلمانية إقامة الحياة على غير الدين سواء بالنسبة للأمة أو الفرد" (53) .

من هنا ، اعتبرت العلمانية العلاقات الاجتماعية تقوم على أسس إنسانية

أي تقوم على معاملة الفرد على أنه مواطن له حقوق وواجبات ، ففصلت بين

الممارسات الدينية التي اعتبرتها ممارسة شخصية والممارسات السياسية التي

تراها ممارسة اجتماعية .

ومن ثمّ "تختلف الدول أو الأفراد في موقفها من الدين بمفهومه الضيق

المحدّد فبعضها تسمح به ، كالمجتمعات الديمقراطية الليبرالية وتسمى منهج

52 محمد عمارة ، النولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية ، ط 1 ، (دار الشرق ، القاهرة ، 1988) ، ص 168 .

53 بن عبد الرحمن الحوالي ، العلمانية نشأتها وتطورها وأثرها في الحياة الإسلامية المعاصرة ، ب ط (م ، ب ن ، ب ت) ، ص 16 .

(العلمانية المعتدلة *antireligious*) ، أي غير المضادة للدين ، التي يعنون بها المجتمعات الشّيعيّة وما شاكلها" (54) .

وهكذا تعدّدت "تعريفات العلمانيّة بتعدّد زوايا النظر والخلفيات الفكرية والثّقافيّة ثمّ بتعدّد الحقول المعرفيّة التخصصية التي تحثُّ بدورها على الاتّساع والتّشعب ، من ذلك مثلاً أنّ الفلاسفة غالباً ما يركّزون قراءاتهم للعلمانية على أبعادها النظرية ومستتبعاتها الأخلاقية من قبيل إحلال الرّوح الوضعيّة والتّسوية محلّ المعتقدات الدّينيّة الكليّة" (55) ، أي أنّ كلاّ منهما يعرّفها حسب منظوره . وفي المقابل نجد "علماء الاجتماع ينظرون إليها من زاوية ثنائية "الديني والسياسي" وعلى وجه العموم ؛ وعلاقة الكنيسة بمؤسسة الدّولة على وجه الخصوص" (56) .

وعلى هذا تشير العلمانية إلى المفهوم السياسي والاجتماعي الذي قلنا أنّه نشأ خلال عصر النهضة في أوروبا مناهضاً لسيطرة الكنيسة على الدولة والمجتمع ، وتوجيه كل ذلك في إطار الانتماءات الدينية والطائفية ، ومن ثمّ رأى مفهوم العلمانية أنّ من "شأن الدّين أن يعنى بتنظيم العلاقة بين البشر وربهم ونادى بفصل الدّين عن الدّولة وتنظيم العلاقات الاجتماعية على أسس إنسانية تقوم على معاملة الفرد على أنّه مواطن ذو حقوق وواجبات" (57) .

54 المرجع نفسه ، ص 17 .

55 رفيق عبد السلام ، العلمانية والدين والديمقراطية ، ط 1 ، (الدار العربية للعلوم ، بيروت ، 1429 هـ) ، ص 19 .

56 المرجع السابق ، ص 19 .

57 عبد الوهاب الكيالي ، الموسوعة السياسية ، ب ط ، ج 4 ، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ب م ، 1990) ، ص

ونستخلص من ذلك أن :

العلمانية تعني فصل الدين عن السياسة وفصل الدين عن النشاط البشري الذي يتحتم عليه الاحتكام للقوانين الوضعية ، وعلى هذا المبدأ يقوم النظام (الليبرالي) في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والفكرية ، أمّا العلاقة بين الإنسان وربه فهي قضية خاصة بالفرد طالما أنّها لا تتعارض مع القوانين الوضعية .

هذا يؤكد أنّ العلمانية بالنسبة للغربيين لا تستوجب الإلحاد ، لأنّها في إطار هذا المفهوم مشتقة من العلم والإيمان بالقوانين العلمية دون أن يكون في ذلك ضرورة لنكران الألوهية ، ومن هنا نرى أنّ أغلب علماء الفيزياء شرقاً وغرباً يرون في نظام الكون ودقة قوانينه حكمة إلهية ، ومن مبادئ الليبرالية العلمانية والعقلانية .

## تعقيب :

من هنا نلاحظ أنّ تشدد رجال الدين المسيحي الكنيسي في العصور الوسطى الأوروبية أدّى إلى ردّة فعل مضادّة ، انتهت بفصل الدّين عن الدولة انطلاقاً من الناحية السيكلوجية ، ومن القانون الثالث عند (نيوتن) في العلوم الطبيعية ((لكل فعل رد فعل مساوي له في القوّة ومضاد له في الاتجاه)). . ونحن في العالم العربيّ الإسلاميّ نأمل أن لا تؤدي موجة التشدّد الديني التي تجتاح عالمنا اليوم إلى ما وصلت إليه أوروبا في العصور الوسطى وخاصة أن الدين الإسلامي ملئ بمواعظ الوسطيّة والعقلانية ، وبتجارب تاريخية مرموقة في مجال الحضارة .

# الفصل الثاني

## (الخطاب الإخواني)

## الفصل الثاني

### الخطاب الإخواني

(نشأة الإخوان المسلمين ومؤسسها)

## نشأة الإخوان المسلمين ومؤسسها :

### (2) تسمية "الإخوان" من أين جاءت ؟

بدأت حركة الإخوان المسلمين كبرى الحركات الإسلامية المعاصرة في مصر كحركة شبابية أسسها "حسن البنا" بعد سقوط الخلافة العثمانية في أواخر 1924م ، على يد "مصطفى كمال اتاتورك" \* سنة 1928م ، وتحققت كتنظيم عملي سنة 1944م لتكون نواة الخلافة الإسلامي من جديد ، ثم تمددت الحركة وأصبح لها فروع في أغلب البلدان العربية مثل سوريا ، وفلسطين ، والأردن ، والسودان ، والجزائر وليبيا وغيرها بشكل رسمي أو بالعمل السري كما كان الحال في ليبيا بعد الاستقلال بسبب تجاهل دستور 1951م فكرة الأحزاب السياسية<sup>(58)</sup> . ومن بعده النظام الجماهيري الذي حافظ على التشريعات الإسلامية السالفة الذكر واختزال الحرية السياسية في مقولة "من تحزب خان"<sup>(59)</sup> حيث تدعو هذه الجماعة الأنظمة العربية إلى تطبيق الشريعة الإسلامية .

استمرت هذه الجماعة في إنتاجها الفكري وظهرت كتب لمنظري هذه الجماعة مثل "سيد قطب" ، و "عبد القادر عودة" ، ويوسف القرضاوي و(فتحي يُكن) وغيرهم .

---

\* مصطفى كمال اتاتورك (1881-1938) مؤسس الدولة التركية العلمانية الحديثة . اختلف المؤرخون في تصنيفه بين القائد الذي تأمر على الخلافة العثمانية فكان سبباً في إلغائها بعد تأمره عليها لصالح الغرب ، وبين القائد القومي التركي الذي انقذ تركيا من التمزق والانقسام إلى دويلات صغيرة وفقاً لمقولته "لا رغبة لدي ببسط سلطان خارج الأراضي التركية ، لكني لن أتنازل عن شبر واحد من الأراضي التركية" . فلكل من الرأيين حجتة ، لكن الأتراك اليوم بمجدونه ويعتبرونه بطلاً قومياً . ونحن كما يقول الفيلسوف الإنجليزي كارل بوبر : "لا يوجد شيء اسمه حقيقة تاريخية ، بل هناك قراءات وأوجه بشرية لها ، وهذه الأوجه لا تستطيع الرؤية بحياد مهما حاولت .  
راجع في هذا الشأن :

- محمود عبد الرحيم عرفات : إمام الأتراك (مصطفى كمال اتاتورك) ، ط 1 ، در هفن للنشر ، القاهرة ، 2010 .  
- من هو كمال اتاتورك ؟ قراءات مختلفة ، مجلة المجلة ، (مجلة العرب الدولية) ، القاهرة ، العدد الأسبوعي ، 2013.05.22 م .

<sup>58</sup> راجع الدستور الليبي عام 1951 م .

<sup>59</sup> راجع : معمر القذافي ، الكتاب الأخضر ، ط 25 ، منشورات المركز العالمي ، طرابلس ، 1999 م ، ص 19 .

لقد "كان مؤسس هذه الجماعة الإمام (حسن البنا) الذّي ولد في أكتوبر 1906م في محافظة البحيرة ، وبلغ عدد الأعضاء المؤسسين لها في ذلك الوقت سبعة أفراد ، ستة منهم من عمال المعسكر البريطاني بالإضافة إلى حسن البنا ، ومن هنا أعلنوا رسمياً إقامة جمعية الإخوان المسلمين . وجاء بروز الحركة كردّ فعل لسياسة بريطانيا المشجعة للحملات التنصيرية في مصر ، وقامت وسائلها على أساس استغلال فقر الناس وحاجاتهم" (60) .

من هذه الجماعة ظهرت العديد من الحركات تحت عدة مسمّيات ولها نفس الأهداف ولكنها مختلفة في أساليب العمل .

"في العام 1928 وفي مدينة الإسماعيلية حيث كان (حسن البنا) يعمل مدرساً في مدرستها الإبتدائية نشأت هذه الجماعة لتعمل في سبيل الإسلام والمسلمين . وكان البنا يدعو إلى الله قبل هذه النشأة بوقت قصير ولم يدع في المساجد فقط ، وإنما كان يدعو في كل تجمع بشري . كالمقاهي وسرايدات المآتم ، وما إلى ذلك" (61) .

ومن هنا بدأ (البنا) استقطاب الكثيرين بأفكاره "فأخذوا يزورونه في منزله ويستمعون إليه ويأمنون به ؛ وفي إحدى هذه الجلسات ، كان الحديث بينه وبعض هؤلاء الزوار الذّين حدّد لنا أسماءهم في ((كتاب الدعوة والداعية)) ، حافظ عبد الحميد ، أحمد المصري ، فؤاد إبراهيم ، عبد الرحمن حسب الله ، إسماعيل عز ، زكي المغربي - حول العمل في سبيل الإسلام والمسلمين" (62) .

<sup>60</sup> حسن حمدان الحكيم ، قضايا إسلامية معاصرة ، مرجع سبق ذكره ، ص 113 .  
<sup>61</sup> إسماعيل صبري عبد الله ، فهمي جدعان وآخرون ، الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي ، (ب ط ، مكتبة الشرق الأوسط ، ب م ، ب ت) ، ص 44 .  
<sup>62</sup> المرجع السابق ، ص 44 .



من هنا كان الانتشار سريع لهذه الجماعة فأقبل النَّاسُ على التعاون معهم كما لجأوا إلى بناء المساجد والمؤسسات الاجتماعية حيث كانوا يلقون المحاضرات ويكتبون المقالات ، فقد استقر حسن البناء في القاهرة حيث "تطوَّع بالوعظ في المساجد في هذا التاريخ عدد من أفضل العلماء كان لهم أثر جميل جداً في النفوس منهم الأستاذ (عبد العزيز الخولي) رحمه الله ، والأستاذ الشيخ محمّد محفوظ رحمه الله والشيخ محمّد العلوي مفتش الوعظ والإرشاد العام السابق ففكرت في أن أدعو إلى تكوين فئة من الطلاب الأزهريين" (63) .

هكذا كانت بداية الجماعة ففي بادئ الأمر كانت دعويّة إصلاحية وسرعان ما أخذت تتطور لتصل إلى ما هي عليه من عنف وتشدّد في الأمور الدينيّة ، وكانت الجماعة تهتم بالجانب الدعوي والعملي ، وتدعو إلى ذلك في المقاهي بعدما كانت مقتصرة على المساجد .

### (3) التطوُّر من الفكر النظري إلى التطبيق :

يقول الحسن البناء في مجال تطوُّر الحركة من مرحلة الإعداد الفكري إلى مرحلة الولوج في الواقع العملي المستهدف : "جاء الدور العملي بعد هذا الاستعداد العملي فعرضت عليهم "والحديث للحسن البناء" أن نخرج للوعظ في المقاهي فاستغربوا ذلك وعجبوا منه وقالوا : إنّ أصحاب المقاهي لا يسمحون بذلك ويعارضون فيه لأنّه يعطل أشغالهم" (64) فما كان من (الحسن البناء) إلا إقناعهم بضرورة ربط النظرية بالتطبيق .

<sup>63</sup> حسن البناء ، مذكرات الدعوة والداعية ، ط 1 ، (آفاق للنشر ، الكويت ، 2011) ، ص 50 .

<sup>64</sup> المرجع السابق ، ص 51 .

وهكذا نجحت التجربة بحسب قولهم حيث كان النَّاسُ يستمعون لهم باهتمام ، مما دفع (محمّد الباز) إلى القول : "أخذت الدعوة المباركة تشقُّ طريقها حتّى وصلت إلى كليات الجامعة وإلى المدارس العُليا وقابل بعض طلابها الأستاذ الكبير "الشيخ طنطاوي جوهرى" \* - وقد كان رئيس تحرير جريدة الإخوان - وتّفاهموا معه في شأن الدعوة ورغبتهم في الانضمام إليها والعمل لها" (65) .

لم تَقْتَصِر الدعوة على الرجال فقط بل كانت هناك فرقة اطلقوا عليها الأخوات المسلمّات في القاهرة التي استقطبتها الدعوة إلى أهمية الإسلام في إصلاح الشعوب والتمسك بالقيم الأخلاقية الدينية وتشكلت مجموعات "الأخوات المسلمّات" \* "من نساء بيوت الإخوان وقربياتهن واختيرت الحاجة "ليبية أحمد" \*\* رئيسة لها ولفرق الأخوات في الإسماعيلية وبورسعيد وقد وجّهت لهنّ كلمة نشرتها مجلة الأخوات قالت فيها : نحن نريد أن نصلح أنفسنا وأعتقد أنّ في تعاليم الإسلام وأحكامه إنّ علّمانها وعملائها ما يكفل لنا هذا الإصلاح المنشود وأذن فيها يا اخواتي وبناتي نصلح أنفسنا لنفهم الإسلام ونعمل به ونبتّ تعاليمه في المرأة المسلمة فإن صلحنا صلّحت للأسرة وكان ذلك صلاح الأمة جمعاء" (66) .

---

\* الشيخ طنطاوي جوهرى (1870-1940) العالم والفيلسوف صاحب "الجوهر في تفسير القرآن" ، من العلماء المغربيين الأزهريين الموسوعيين . راجع : أنور الجندي : إعلام الإسلام ، مرجع سبق ذكره ، ص 134 . ومحمد بلاسي ، الطنطاوي جوهرى وجواهره المنسوبة ، مجلة الراعي الشهرية ، دار العلوم ، القاهرة ، العدد (1-2) ، 2010 - 2011 م .  
65 محمد الباز ، مدافع الإخوان ، ط 1 ، (كنوز للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2008) ، ص 232 .  
\* (أ) راجع وجدي الكومي "كتاب جديد عن تأسيس قسم الأخوات المسلمات بـ "جماعة الأخوات" ، جريدة اليوم السابع ، 06.06.2011 م (ب) فاطمة عبد الهادي "رحلتي مع الأخوات المسلمّات" ، ط 1 ، دار الشروق ، القاهرة ، 2011 م .  
\*\* لبيبة أحمد عبد النبي (1875-1955) وأدت بمدينة المحمودية بالبحيرة ، "شاركت في ثورة 1919 م مع هدى شعراوي ونبوية موسى ، وقمن بالمظاهرة النسائية الكبرى في 16 من مارس 1919 م وتضمنت هذه المظاهرة 300 سيدة ، كان من بينهن حرم كل من : محمود سامي البارودي ، وسعد زغلول وقاسم أمين . وبعد تأسيس الاتحاد النسائي سنة 1923 م بزعامه هدى شعراوي أسست هي جمعية نهضة السيدات المصريّات عام 1921 م وكان من أهدافها ..... " ، راجع ، لبيبة أحمد أول مسؤولة إخوانية ، بوابة الحركات الإسلاميّة .  
66 المرجع السابق ، ص 233 .

وقد حقق هذا المدخل الأخلاقي العملي الديني في البداية نجاحاً استقطابياً هائلاً فانتشرت هذه الدعوة وأقبل عليها الكثير من أفراد المجتمع وطبقاته وقد ساعد على هذا الانتشار نشر الدعوة من خلال نشر وثائقهم وأوراقهم عن طريق دور النشر الإخوانية وفي مقدمتها نشر "البناء" لأجزاء من مذكراته "مذكرات الدعوة والداعية" التي تحدّث فيها عن حياته ورغبته في تكوين جمعيات ليقوم من خلالها بدور الداعية .

ومن هنا يتضح لنا أن دعوة الإخوان المسلمين بدأت - كما أشرنا سابقاً - في أساسها دعوية صرفة تعتمد على تعليم الأساليب الأخلاقية العملية السليمة للدين الإسلامي ، وأثرها في إصلاح المجتمع كما يرى البعض . لكن إنخراط الجماعة في الحياة السياسيّة قد بدأ من خلال الدعوة إلى مناهضة الوجود العسكري البريطاني ، ومحاربة الحكومات المصريّة القائمة والتي كانت في اعتقادهم تسيّر في فك الإحتلال البريطاني في ذلك الوقت ، ممّا مهّد في إعتقادنا لتحول فكر الإخوان المسلمين من العقيدة الدعويّة بالتّي هي أحسن ، إلى تطلّعات الوصول إلى السلطة ، من خلال خلق حكم موالى لهم ، ومنفذ لأفكارهم الدينيّة لإنشاء دولة تحتكم في أصولها لتطبيقات شرعيّة وفقاً لمفاهيمهم لهذه الشريعة .

فالتطورات الفكرية للجماعة جاءت في الأصل وفقاً للتطورات الفكرية والعمليّة لمؤسسها الحسن البنا والمؤثرات الفكرية في عصره ، والتي في مقدمتها ترسيخ تنفيذ فكرة تحويل العقيدة الإسلاميّة ودولة الخلافة إلى جماعة سياسية دينية .

## البرنامج الثقافي والسياسي للإخوان المسلمين :

### 1) البرنامج الثقافي :

عندما نشأت حركة الإخوان المسلمين كانت الساحة العربيّة والإسلاميّة ميداناً للصراعات السياسيّة والثقافيّة فقد سقطت الإمبراطوريّة العثمانية التي كانت آخر نظام يجمع بين الأقطار العربيّة المنهكة في ظل التخلف الثقافي والسياسي . فلم تكن الإمبراطورية تعبأ بتطور الأقطار العربيّة بقدر ما كانت تقوم على التتريك والاستغلال الاقتصادي وتجاهل النواحي العلميّة والثقافيّة والدينية ، فقد كان الولاة العثمانيون في الأقطار العربيّة همهم جمع الضرائب وتحويلها للباب العالي في اسطنبول<sup>(67)</sup> ، بجانب محاولة الولاة ذلك الوقت الإستفادة مادياً في إطار مدة ولايتهم التي كانت محدّدة بثلاث سنوات .

وقد كان التدخل الأجنبي الأوربي في الصراع لخلافة الإمبراطوريّة العثمانية لغرض أجندات ثقافية إنجليزية وفرنسية لغرض الاستحواذ على الفكر العربي الإسلامي المنهك بتداعي السّاحة الثقافيّة والسياسية طيلة عصر الركود الثقافي والسياسي الذي خلّفته الإمبراطورية السالفة الذكر .

واستفاد هذا الغزو من الحالة النفسيّة لتلك البيئة الراكدة لترويج أفكاره العلمانية التي تتناقض في عمومها مع الثقافة الإسلامية الملتزمة ، هذا بجانب انتشار فكرة التحرر العقلي في السلوك الأخلاقي وانتشار التصير (التبشير) فكان لدعاة الإصلاح الثقافي والديني وفي مقدمتهم حركة الإخوان المسلمين

<sup>67</sup> راجع في هذا الشأن : فاتح رجب قدارة : الدولة العثمانية في آثار الشيخ الطاهر الزاوي ، المجلة الجامعة ، العدد السادس عشر ، المجلد الرابع ، نوفمبر 2014 م ، جامعة الزاوية ، ص ص 16 - 17 .

الباع الطويل في استقطاب الشباب والعامّة من خلال برامج دعويّة وإغرائيّة تحوّلت فيما بعد من المتحمسين إلى جهاديّة ضد الاحتلال الأجنبي الغربي لمعظم الدول العربيّة ومناهضة لثقافة العرب التي بدأت تنتشر لغوياً وثقافياً في المجتمع العربي انتشار النّار في الهشيم .

ومن الأسباب التي دفعت الحركات الدينيّة لاقتحام الساحة العربيّة الإسلاميّة في ظل ذلك الفراغ الثقافي والسياسي السالف الذكر ، بروز الروح القوميّة في الوطن العربي انطلاقاً من الجزيرة العربيّة كردّ فعل ضد القوميّة التركيّة التي فرضت لعدة سنوات على المجتمع العربي الإسلامي باسم الخلافة العثمانية (68) .

وقد كان من دوافع تلك الروح في البداية تأصيل روح قوميّة عربيّة في مواجهة روح الإمبراطوريّة التركيّة لتجمع أقطار الوطن العربي المتراميّة الأطراف تحت لواء وطن عربيّ واحد من المحيط إلى الخليج ، وكان لمؤسسي المملكة العربيّة السعوديّة "الملك عبد العزيز" و"آل سعود" باع طويل في بداية مناهضة التتريك ، لكن التطورات الثقافيّة والسياسيّة دفعت بالمناهض الكبير للتتريك ثقافياً وسياسياً إلى الاحتكام إلى الشريعة الإسلاميّة كأساس للدولة السعوديّة لتكون بؤرة دعويّة للعرب والمسلمين في أنحاء الوطن العربي والإسلامي .

رفع الإخوان المسلمين الرايّة ضد الثقافة والسياسة الغربية أولاً ثم ضد التوجهات الدينيّة والدعويّة المنطلقة من المملكة السعوديّة ، ثم ضد الحركة

<sup>68</sup> راجع في هذا الشأن : أياد حرفوش : السعودية والقومية العربيّة : من العداة إلى محاولة الامتطاء ، موقع الميادين نت ، 2016.06.18 م .

القومية التي رفعت شعارها مصر في عصر الرئيس الراحل "جمال عبد الناصر" بعد فشل الإخوان في توجيه الثورة المصريّة عام 1952 م لتنهج نهجاً إخوانياً صرفاً ، وذلك اعتقاداً من الحركة الإخوانية أنّ القومية تتعارض مع الدين الإسلامي وإنّ نهجها يسير في إطار العلمانية وخاصة بعد اعتماد الحكومة المصريّة نوعاً من النظام الاشتراكي الإيماني لتحقيق شيئاً من العدل . وذلك انتهاجاً لمسلك حركة القومية العربيّة عند نشأتها إبان سقوط الإمبراطورية العثمانية وظهور الدولة الوطنية<sup>(69)</sup> .

من هنا بدأت حركة الإخوان المسلمين في مصر بالذات تعيش محنتها بعد إنخراطها الكامل في الحياة السياسيّة بغية رفع شعار الدولة الإسلاميّة ، فانطلقت منها فروع للحركة في أنحاء المعمورة حتى أصبحت الآن حركة دينية سياسية عالمية تدعو بأساليب مختلفة لإنشاء دولة إسلاميّة عودة لمبدئها الأصلي عند نشأتها ، وهو تأسيس دولة إسلاميّة تحتكم للشريعة بمرجعيّة الجماعة لفهم الإسلام \* .

ومن هنا فالثقافة عند الحركة تعني الثقافة الإسلاميّة التي تنطلق من الكتاب والسنة في مواجهة أي خلط للثقافة بعناصر أخرى معاصرة تمهّد لفكرة العلمانية ، وهو الأمر الذي وضعها في مجابهة الأنظمة السياسيّة العربيّة الليبرالية ، ثم تحوّلت هذه المجابهة لنظم سياسية شرقيّة وغربيّة في الوقت الحاضر .

<sup>69</sup> المرجع السابق .  
\* راجع في شأن دقة تنظيم الحركة ، وبرنامجها الثقافي والسياسي محلياً وقطرياً ودولياً ، كتاب : ريتشارد ميتشل ، أيديولوجية جماعة الإخوان المسلمين ، الجزء الثاني : التنظيم والأيدولوجية ، ترجمة : منى أنيس وعبد السلام رضوان ، ط 1 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، من ص 13 إلى ص 33 .

لقد ساعد البرنامج الثقافي للإخوان المسلمين المؤلفات الدعوية الضخمة لأقطاب الحركة من أمثال المؤسس "حسن البنا" في كتابه "مذكرات الدعوة والداعية" . والسيد قطب في كتبه "معالم في الطريق" و "العدالة الاجتماعية في الإسلام" و(عبد القادر عودة) في كتبه التي من أبرزها "التشريع الجنائي الإسلامي مقارنة بالقانون الوضعي" .

## (2) البرنامج السياسي :

إذا قلنا إنَّ أهداف حركة الإخوان المسلمين هي أهداف دينية وسياسية برامجية بحتة في آنٍ واحد ، فإننا قد لا نجانب الصواب ، فالفكرة في أساسها هي خلافة الخلافة الإسلامية من الخلافة العثمانية ، وإذا كانت البداية دعوية فإنها تركز على أسس تاريخية وعلمية منشأها أن النظر يسبق العمل فتمهيد الساحة الاجتماعية بثقافة دينية لطرح عقيدة إيمانية بمبادئ غير قابلة للجدال ، ثم تتلوه البرامج التطبيقية لما تمَّ الإيمان به فهي فكرة منهجية سليمة .

إنطلاقاً ممَّا سلف ذكره ، يكون من البديهيِّ عدم إيمان حركة الإخوان المسلمين والحركات الإسلامية الأخرى بفكرة الديمقراطية الغربية ، لأنَّها تتناقض في اعتقادهم مع مبدأ فكرة الخلافة الإسلامية القائمة على الشورى ، غير أنَّ الرفض المطلق المباشر لهذا النوع من النظام السياسي - المستورد من دول غربية لها باع طويل في الهيمنة على الساحة السياسيَّة في الوطن العربي والإسلامي - لئن يثمر ولن يكون فعالاً وخاصة في ظل تجربة الحركة في مصر ، فجاءت فكرة المهادنة واستغلال فكرة التَّسلل لنهج الانتخابات للوصول أولاً إلى السلطة ، ثم الانقلاب على فكرة الديمقراطية بالتحكم في مفاصل الدولة

، من خلال أعضائها وإقصاء المناوئين للسلطة لتتحول الدولة شيئاً فشيئاً إلى دولة إسلامية تتحكم في السلطة التشريعية لتغيير القوانين ، والسلطة التنفيذية للقضاء على المعارضين وفرض بالقوة سلطة الدولة الدينية المستهدفة وفقاً للشرعية الإسلامية بمرجعية إخوانية .

كانت البداية - كما ذكرنا - في مصر حيث لجأت "حركة الإخوان المسلمين" إلى تصفية الخصوم بعد أن تعهد (الحسن البنا) إلى تغييراً أقليمياً ، وأن تتطلق من مصر فاتفق مع بعض من إخوانه على تأسيس أول نواة لجماعة الإخوان المسلمين عام 1928 م حيث كانت البداية في الإسماعيلية .

وعند انتقاله إلى القاهرة عام 1932 م ما جعل للدعوة فرصة الإنفتاح الكامل مع العامة ، ومن هنا أسس "البنا" جماعة جهادية لمحاربة ما كان يرى أنهم طغاة وأعداء الأمة من المسؤولين السياسيين ، فكانت البداية في مصر ، حيث لجأت حركة الإخوان المسلمين إلى تصفية الخصوم فكان أحد المجنبي عليهم من ضحايا الحركة هو (النقراشي باشا) رئيس وزراء الداخلية المصرية الذي تم اغتياله ولم يكن أمر الإغتيال خارجاً عن إطار الفكر السياسي والديني لجماعة الإخوان المسلمين ، فما جاء في الأصول العشرين لفهم الإسلام بقلم الإمام (حسن البنا) يؤكد ذلك عندما قال : "الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر وقوة ورحمة وعدالة ، وهو ثقافة وقانون أو علم وقضاء ، وهو مادة أو كسب



وغنى ، وهو جهاد ودعوة أو جيش وفكرة ، كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة سواء بسواء" (70) \* .

## دور الإخوان المسلمين في الحراك السياسي :

### (1) نشأة الجهادية المعاصرة :

إذا نظرنا إلى الواقع المرير الذي تعيشه العديد من دول العالم الغربي ، ودول العالم الثالث ، ومنها دول العالم العربي على وجه الخصوص ، نلاحظ أنّ حركات الجهاد الإسلامي المتشدّدة قد اتّسعت رقعتها وأشدّت عنفها منذ تسعينات القرن العشرين إلى اليوم ، انطلاقاً من مبادئ الإخوان المسلمين الدّاعين إلى قيام الدولة الإسلاميّة العالميّة .

ففي الوقت الذي شجعت بعض الدول الإسلاميّة - بإيحاء من أمريكا مقاومة ظاهرة امتداد الشيوعيّة في الشرق الأقصى ، وخاصة في أفغانستان التي تُعدُّ بدون منازع الأكاديميّة العسكريّة المعاصرة لتخريج المتطرفين المسلمين - دُهِلت هذه الدول بارتداد الأفواج المتشدّدة من أفغانستان بعد إنهاء مهمتها المدعومة من الدول السالفة الذكر بتواصل أعمالها العسكريّة لبعض الدول المُموّلة والانتقضاض عليها ، بغرض توسيع المنجز الأول في أفغانستان ليشمل ثورة عالميّة لتحقيق ليس فقط دولة الخلافة في دول بعينها ، بل في دول

<sup>70</sup> حسن البنا : الأصول العشرين لفهم الإسلام ، الأصل رقم (1) ، الموسوعة التاريخية لجماعة الإخوان المسلمين ، موقع الكتروني .

\* راجع الحسن البنا : الأصول العشرين لفهم الإسلام . المرجع السابق الذكر ، حيث منها ما يوضح السلوكيات العمليّة لجماعة الإسلام السياسيّ الجهاديّة في التعامل مع بعض الظواهر في المجتمع الليبي المعاصر كهدم الأضرحة ونهب القبور ، ممّا يفيد العقليّة الدينيّة السياسيّة لهذه الجماعات التي تدور في فلك جماعة الإخوان المسلمين مهما كانت مختلفة معها عملياً في التعامل مع الواقع ، حيث يرد في الأصل رقم (14) : "وزيارة القبور أيّاً كانت سنّة مشروعها بالكيفية المأثورة ، ولكن الاستعانة بالمقبورين أيّاً كانوا ونداؤهم لذلك وطبق قضاء الحاجات منهم عن قرب أو بعد والنذر لهم وتشديد القبور وسترها وإضاءتها والتمسح بها والطف بغير الله وما يلحق بذلك من لمبتدعات كبائر يجب محاربتها ، ولا تتناول هذه الأعمال سداً للذريعة" .

العالم بأكمله ابتداءً من الدول المُمَوَّلَة لمشروع الجهاد الإسلامي في أفغانستان  
وانتهاءً بدور الإخوان المسلمين في هذه الحرب (71) .

ومن هنا من الصعب كبح جماح من بُعثوا لتحقيق دحض الشيوعية في  
بقعة بعينها باعتبار أفغانستان موقع لإلهام قيام الدولة الإسلامية العالمية .

من الواضح في هذا الأمر الصعوبة التي يلاقيها العائد من بُقع الجهاد  
الإسلامي - سواء في الشرق الأقصى أو الشرق الأدنى من الجماعات  
الإسلامية الداعية للجهاد في أوطانها - والتكيف مع رتبة السياسة التقليديّة في  
دولهم (72) .

ويبدو أن العودة تُعزّز نجاح التجارب الجهادية لجماعات الإسلام السياسي  
في مقدمتها حركة الإخوان المسلمين التي تقودُ حالياً صراعاً مريراً في مصر  
وليبيا وتونس والعراق وسوريا بشكل مباشر أو غير مباشر لتحقيق هدف الحركة  
الداعي لإرساء أسس الدولة الإسلامية عملياً .

من العودة في نظر حركة الإخوان المسلمين - للجهاديين الإسلاميين -  
تُستتبط دروساً لا يمكن تجاهلها في مقدمتها : أن شعار الدولة الإسلامية مرّ  
بمرحلتين : أولها مرحلة التّظهير من خلال موروث دعاة الجهاد المتشدّدين  
كأقطاب الإخوان المسلمين وفي مقدمتهم (الشيخ الحسن البنا ، والسيد قطب ،  
وعبد القادر عوّد) الباعثين لأصول الجهاد الإسلامي المتشدّد عند (ابن تيمية)

<sup>71</sup> راجع : عصام دراز : العائدون من أفغانستان - ما لهم وما عليهم - ، ط 3 ، الدار المصرية للنشر والتوزيع ، القاهرة ،  
1993 م ، الفصل الخامس ، "كذلك لا يستطيع أي دارس للتاريخ السياسي للعالم العربي الإسلامي إلا أن يلاحظ دور  
الإخوان المسلمين كحركة سياسية لها تأثيرها ولها وزنها في الشارع الإسلامي" .

- وعندما ذهبت إلى أفغانستان (والكلام لعصام دراز) لاحظت الاهتمام والتقدير الكبير الذي يحمله المجاهدون  
الأفغان لجماعة الإخوان المسلمين ، ويرجع ذلك التقدير إلى أنّها الحركة الإسلامية الأولى في العصر الحديث  
التي أحييت فرض "الجهاد" و"الدعوة الإسلامية" .

<sup>72</sup> راجع هشام النجار : من أفغانستان إلى سوريا "العائدون" ، تحدي أمني متجدد للدولة المصرية ، جريدة العرب اللندنية ،  
2017.02.28 م ، العدد 10557 ، ص 6 .

، والداعمين له من خلال "بن لادن ، وعمر عبد الرحمن" في الفترة المعاصرة من تطوّر الحركة جهادياً وذلك بتقديم نفسها جسوراً لإنتقال الحركة السالفة الذكر من عصر إلى عصر .

أمّا الدّرس الثاني فيمكن في أنّ داعمي فكرة الجهاد المتشدّد من الشرق والغرب زُدت بضاعتهم إليهم من خلال العائدين من بوئر التوتّر ، فجنوا على أنفسهم وعلى مجتمعات الربيع العربيّ ، أو مجتمعات الشرق الأوسط الجديد على حد قولهم .

## (2) الجهادية وإسلامو فوبيا :

أهم المظاهر الرئيسية للعلمانية هي الديمقراطية الداعية إلى السلطة بالانتخاب ، وهذا يعني تحوّل السلطة من الحقّ الإلهي إلى حقّ الشعب ، ولمّا كان هذا الأمر ترفضه الخصوصية الثقافية والدينية لدى الإخوان المسلمين على إعتبار أنّ هذا النهج يتناقض مع فكرة إنشاء دولة الخلافة التي تستلزم بالضرورة أن تكون أسسها قائمة على مرجعية القرآن والسنة . ولمّا كان هذا الأمر لم يعد مقبولاً في الغالب لدى كثير من الشعوب الإسلامية - لا كرهاً في الإسلام بقدر ما هو فزع من احتكار السلطة السياسية والدينية وإقصاء الآخر - أصبح هذا الوضع يمثل إسلامو فوبيا\* دفعت بالحذر من النهج الديني عند الإخوان المسلمين من خلال تجارب يذكرها التاريخ .

\* فوبيا *Phobia* "فوبيا من كلمة فوبوس اليونانية التي تعني الرهاب أو الخوف غير المبرر ، تلزم شخصاً وفي حالتنا مجتمعاً معيناً من قضية أو حالة أو جهة ، تؤدي به إلى اتخاذ تدابير معينة غير مبررة أيضاً . والإسلام فوبيا *Islamophobia* يعني الخوف من الإسلام بشكل غير مبرر مما يؤدي به إلى اتخاذ مواقف عدائية تجاه الإسلام والمسلمين دون مبرر حقيقي أو واقعي ....." .  
تيري بطرسي : الإسلام فوبيا ، إيلاف ، أول يومية الكترونية صدرت من لندن 21 مايو 2001 م .

هذا الوضع الناقد بل الراض للإخوان المسلمين ينطلق من أنّ المشكلة من رجال الدّين والجماعات الإسلاميّة وفي مقدمتها الإخوان المسلمين بالطبع هيّ أن المرء يجد نفسه ليس أمام وجهة نظر قابلة للجدل من خلال الإسلام على حقيقته السمحاء ، بل يجد نفسه أمام مرجعيّة دينيّة خاصة ، وإدعاء خطير وإشكالي بأنّ مرجعيتهم هذه جاءت من السماء<sup>(73)</sup> وفق خصوصيتهم لتلزم الآخرين بالتسليم والطّاعة ، ومع ذلك لا بدّ من القول أنّ حركة الإخوان المسلمين مشهوداً لها تاريخياً لنجاحها في الجانب الدّعوي فقد استقطبت هذه الحركة الملايين من المواطنين المصريين وغيرهم في أنحاء المعمورة ، وخاصة من خلال الجمعيات الخيريّة التي استقطبت من خلال الكبار والصغار - الرجال والنساء وخاصة من الطبقات الفقيرة في مصر على وجه التّحديد .

فقد ساعدت هذه الجمعيات على سدّ القوت ، وعلى تعليم الفقراء وعلى نشر الثقافة الإسلاميّة بين مختلف طبقات المجتمع العربيّ . وقد ظهر هذا التأثير الفعال واضحاً عندما أقدمت الحكومة المصريّة بعد الثورة الشعبيّة المصريّة عام 2013 م على إزاحة الإخوان من الحكم ، وقرار قفل الجمعيات الخيريّة التي أنشأها الإخوان المسلمين في مختلف أرجاء البلاد ، حيث تركت هذه الجمعيات فراغاً ملحوظاً ليس من ناحية السياسة فحسب بل من ناحية ضرورة سدّ الدولة للفراغ الاقتصاديّ الذي تضرر به المنتفعون من هذه الجمعيات ، وهو حمل مفاجئ اضطرت الحكومة المصريّة تحمله بالرغم من الوضع الاقتصادي للبلاد .

<sup>73</sup> راجع : أسعد البصري : صار للعالم خارطة جديدة غير مذكورة في الكتب المقدسة ، جريدة العرب اللندنية ، العدد (10555) ، ص 6 .

وقد اتخذت الحكومة المصرية قراراً بحل هذه الجمعيات على اعتبار أنّها " كانت تستخدم كغطاء سياسي للحصول على دعم الحشود والموالين للتيارات الإسلاميّة ، خاصة في الوجه القبلي ، وهي حالة استغلال فاضح لحالة الفقراء ويكفي هنا الإشارة إلى أنّ مراجعة الكاتبة للجمعيات الأهلية التي تمّ تسجيلها بعد ثورة يناير في مصر ، كشفت عن (4600) جمعية جديدة تمّ تسجيلها أكثر من نصف هذا العدد جمعيات تابعة للإخوان والتيارات السلفيّة " (74) .

ومع هذا التخوف من جانب الإخوان المسلمين في الجانب الدعوي في الفترة السابقة عن ثورة يناير ، نجد احباطاً لهم من الناحية السياسية وذلك بسبب ضآلة التجربة السياسية لديهم التي يأملون من خلالها بناء مشروع الدولة الإسلاميّة .

### (3) مزلق المشروع السياسي :

#### (أ) مزلق البداية :

بدأ الإخوان مشروعهم السياسي بأخطاء تاريخية بإعتراف المنتمين إليهم ومنها ما كتبه (عصام تليمة) \* تحت عنوان : عبد القادر عودة .. وسذاجة الإخوان السياسية !!! قائلاً : "أنّ عبد القادر عودة ومن سار على دربه من الإخوان كانوا يمثلون خط السذاجة السياسية داخل الجماعة ، ومن قبلهم ،

<sup>74</sup> أماني قنديل : صياغة جديدة لقانون الجمعيات الأهلية ، جريدة الأهرام ، العدد (46292) ، 2013.09.03 م .  
\* عصام تليمة : عبد القادر عودة وسذاجة الإخوان السياسية ، موقع عربي (21) 2015.12.31 م ، يقول عصام رداً على زميل له د. محمود عاكف " أنّ الموقف الذي نختلف حوله ، هو خروج جماهير حاشدة في مصر في مارس 1954 م ، بلغت حوالي نصف مليون متظاهر معظمهم من الشباب ينادون بعودة العسكر لتكناته ، وتسليم الحكم لقيادات مدنية ، وإذا (محمد نجيب) يظل من شرفة قصر عابدين يطالب الجماهير بالانصراف وأنّ الرسالة قد وصلت ، ولمّ يستجيب أحد - فننادى على (عبد القادر عودة) ليصرفهم ، فأمرهم بالانصراف ، وبعد دقائق معدودة كان الميدان خالياً تماماً من الجماهير ، قال لي المرحوم د. (جابر قميحة) : كنت موجوداً وقتها ، وكان بجانبني أحد المرينين الكبار من الإخوان فيكي ، وقال لي : هذا يوم وفاة (عبد القادر عودة) ، فقال له : كيف تقول ذلك ، ونحن في هذه القوة؟! قال : لقد كشف عبد القادر عن قوته الكامنة ، ومن ورائه الجماعة ..... " .

بحسن نية طبعاً ، أُتيت الجماعة ، وأكلها العسكر بطريقة تدعو للغرابة  
الشديدة، بل للحسرة أحياناً" (75) .

يقول عصام تليمة : "إنَّ مكمّن الخطأ الأكبر في هذه المعركة أن العسكر  
أحسن اختيار من يقوده فيها ، بينما أساء الإخوان اختيار من يُدير المعركة مع  
العسكر ، فلو نظرنا إلى من أدار المعركة في الطرفين ، نعلم لماذا كانت  
النتيجة لصالح العسكر ، فقد قادها في الإخوان (عبد القادر عودة) ، وهو  
قاضٍ قانوني ، والقاضي لا يقضي ولا يحكم إلا بعد السماع التام الكامل  
للأطراف كلها وليس معنياً بانتصار طرف على طرف وشعاره : الخطأ في  
العفو خير من الخطأ في العقوبة . أمّا قيادة العسكر فكان عبد الناصر  
عسكري ، قضى حياته في المعارك ، وهو مدرس مادة التكتيك الحربي في  
الكلية الحربية ، والأصل في تعامل العسكر : سوء الظن من حسن الفطن أي  
أنَّ سوء الظن مقدم على حسنه ، وبالتالي فقد كانت المعادلة محسومة لصالح  
العسكر (76) .

## ب) من الدعوة إلى السياسة :

يُشكل ما سلف ذكره المعتقدات الأساسية عند الإخوان المسلمين منذ نشأتها .  
لكن المعتقدات السالفة الذكر كانت ، صورياً خيريّة ، مع أنّها كانت  
تهدف إلى قيام دولة الخلافة كما طرحها مؤسسو الجماعة وفي مقدمتهم بالطبع  
(الحسن البنا) الذي يقوم مفهوم الإسلام على أنّه دين شامل ، ولكل زمان

<sup>75</sup> عصام تليمة : عبد القادر عودة وسداجة الإخوان السياسية ، موقع عربي (21) (1213 / 2015) (عربي 21 - 2015.12.31 م) .  
<sup>76</sup> المرجع السابق . ويضيف عصام تليمة قائلاً : وكان الصواب أن يقود المعركة في الإخوان عسكر الإخوان لا المدنيين ،  
وقد عرض عليهم ذلك عبد المنعم عبد الرؤوف الذي كان مسؤول عبد الناصر في التنظيم الخاص في الإخوان ، وقال لهم  
وقتها : "أريد فقط ثلاثمائة من الإخوان ، سأقوم بالقبيض على مجلس قيادة الثورة ونهني هذا العبث بمستقبل مصر  
والجماعة" . عصام تليمة : عبد القادر عودة وسداجة الإخوان ، مرجع سبق ذكره .

ومكان ولو بالسيف كما جاء في إحدى رسائله "نحن نعتقد أن أحكام الإسلام وتعاليمه شاملة تنظم شؤون الناس في الدنيا وفي الآخرة ، وأنّ الذين يظنون أنّ هذه التعاليم تتناول الناحية العباديّة والروحيّة دون غيرها من النواحي مخطئون في هذا الظن ، فالإسلام عقيدة وعبادة ، ووطن وجنسية ودين ودولة ، وروحانية وعمل ، ومصحف وسيف" (77) .

وقد لا يختلف المرء مع هذا المفهوم في اعتقادنا ، فالإسلام دين ودولة ، وصالح لكل زمان ومكان بمفهوم التأويل العقلي ، لكن تطبيق الشريعة الإسلاميّة في دولة الإسلام لا يعني إقصاء الآخرين وحياتهم الاعتقاديّة ، وحياتهم الشخصية طالما أنّهم يحترمون معتقدات الآخرين ، فالقرآن مليء بآيات تحذّر من المساس بحريات أهل الذمّة ، وغير المسلمين بصفة عامة ، وعدم إكراههم على قبول معتقدات الدّين الإسلامي طالما أنّهم يحترمون هذه المعتقدات . فلعنّ في قوله تعالى عِظَةٌ فَهُوَ الْقَائِلُ : (كُلُّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً) (سورة المائدة / الآية 48) . وقوله تعالى: (لا إكراه في الدّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنَ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (سورة البقرة / الآية 256) . وقوله تعالى: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) (سورة يونس / الآية 99) .

<sup>77</sup> حسن البنا ، مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا ، (ب ط ، دار الدعوة للطبع والنشر ، الإسكندرية ، 1990 م) ، ص 171 ، عن برهان عادل يوسف : الدولة المدنية عند الإخوان المسلمين ، مرجع سبق ذكره ، ص 86 .

### ج) منهج جديد لهدف قديم :

بعد التجارب السياسية العملية في المجتمع المصري على وجه التحديد ، وبعد ثورة 25 يناير الشعبوية ، لم يعد أمام حركة الإخوان المسلمين من باب الدخول للسلطة ، وتنفيذ برامجها الدينية السالفة الذكر سوى القبول بفكرة الدولة المدنية صورياً ، بالرغم من أن الإسلام لم يشهد في تاريخه السياسي فكرة الدولة المدنية . ولهذا فإن الدولة المدنية الإخوانية المقبولة تخلص من المعتقدات الدينية الأساسية المتشددة ، فهي تقوم على فكرة العدل والمساواة بين جميع مواطنيها في الحقوق والحريات ، معتمدة على مبدأ المواطنة ، الذي يقف أمامه الجميع سواسية من غير تمييز في اللون أو العرق أو الجنس<sup>(78)</sup> .

ومن المنطلق الجديد في فكر الإخوان المسلمين الممهد للانخراط في الحكم السلمي ، تسليمهم المستحدث بفكرة التعاقدية الدستورية غير المشروطة بتفاصيل التطبيقات المفترضة في مجال الشريعة الإسلامية ، ومع الاحتكام إلى أن الدولة تقوم أساساً على عقد بين الحاكم والمحكوم ، وقبول مبدأ الحكم البرلماني ، هذا بجانب قبول فكرة التعددية الحزبية ، وتداول السلطة ، وهي الوضعية التي كانت مرفوضة في إيديولوجية الإخوان المسلمين باعتبارها متعارضة مع فكرة دولة الخلافة .

من هنا نجحت جماعة الإخوان المسلمين كبرى الحركات السياسية الإسلامية في مصر والوطن العربي تحت شعار الوسطية في الولوج في

<sup>78</sup> برهان عادل يوسف دويكات : الدولة المدنية عند الإخوان المسلمين وأثرها على شكل الدولة والنظام السياسي في مصر ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ، فلسطين ، 2013.05.15 م (ملخص الرسالة) .



المجتمع المصري خلال الفترة المذكورة آنفاً اجتماعياً ، وسياسياً ، تحت عباءة الديمقراطية كما يطرحها الليبراليون والعلمانيون<sup>(79)</sup> .

ويرى الإخوان المسلمين في ضوء هذا المنحنى الوسطي الجديد انطلاقة من قوله تعالى : (وَمَا جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) (سورة البقرة / الآية 143) . أن الديمقراطية مرتبطة دورها بعملية ترتيب وتنظيم العملية السياسية ، فهي (أي الديمقراطية) آلية وليست مبدأ ، آلية لتسيير إدارة الدولة ومؤسساتها ، وليست مرجعية مطلقة للدولة ، فالمرجع فيها لحكم المجتمع وفقاً لمفهوم الحرية والعدل والشورى . أمّا التكفير فيرى الإخوان أنه ليس من اختصاصهم ، أو مبدأ من مبادئ دعوتهم ، وذلك إنطلاقاً من إعتقادهم في قوله تعالى : (وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ۗ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ) (سورة الكهف / الآية 29) ، أو أنه على الأقل شعار مسند لجماعات أخرى من الإسلام السياسي التي تدور في فلك الجماعة .

## (د) مزلق النهاية :

دخل الإخوان المسلمين في انتخابات رئاسة مصر سنة 2012 م\* مستفيدين من رصيدهم الشعبي بين المثقفين والبسطاء المستفيدين من برامجهم

<sup>79</sup> المرجع السابق ، ص 88 .

\* تأسس حزب الحرية والعدالة رسمياً يوم 2011.06.06 م لغرض الانتخابات البرلمانية وقد فاز الحزب و"التحالف الديمقراطي من أجل مصر" بأغلبية كبيرة 47 % في الانتخابات البرلمانية 2012 (مجلس الشعب المصري) .. ولكن في (14) يونيو صدر حكم الدستورية العليا في مصر بحل مجلس الشعب . وفي 2012.06.16 م في أول انتخابات رئاسية بعد الثورة المصرية ؛ أعلنت نتائج جولة لإعادة الانتخابات ليفوز الدكتور محمد مرسي عضو مكتب الإرشاد ، ورئيس حزب "الحرية والعدالة" كأول رئيس مدني .. ونجح الإخوان في الوصول إلى منصة الحكم بعد (84) عاماً من تأسيس الجماعة .  
- راجع في شأن تطور العمل السياسي للإخوان في مصر / موقع عربي / BBC "نبذة عن الإخوان المسلمين في مصر" 2013.07.07 م .

والخيرية ، وفي ضوء الحساسيات التي زرعوها في الأرياف بين المسيحيين والمسلمين ، كان لتلك المغامرة نتائج باهرة النجاح في تحقيق الأهداف ، لكنها كانت طريقاً عجولاً وصل بهم إلى موضع الخطر .

استطاع الإخوان الوصول إلى نسب 51.73 % من الأصوات ما مكّنهم من صدارة السلطة في مصر . لكن ضحالة الخبرة السياسية في مجال الحكم - التي سبق لنا الإشارة لها - لم تمكنهم من المحافظة على المستوى السياسي الرفيع الذي وصلوا إليه اجتماعياً وسياسياً من خلال أساسيات الديمقراطية الحديثة التي يصل إليها أيّ حزب سياسي من خلال الانتخابات .

فما أن تمكنوا من السلطة تحت رئاسة (محمد محمد مرسي) في الانتخابات الرئاسية كأول رئيس إخواني مدني من حزب ديني "حزب الحرية والعدالة" حتى بدأوا تحت شعار "الإسلام هو الحل" في تصفية الخصوم ، وتفريغ مؤسسات الدولة من المناوئين لتكون شاغرة لمصلحة أعضاء الحزب ، كما قاموا بشكل فاضح بتغيير ما يمكن تغييره من القوانين والتشريعات لإحالة الدولة من مدنية إلى دينية<sup>(80)</sup> .

---

- راجع أيضاً في هذا الشأن : حسين محمد فريد عبد الفتاح : إشكالية العلاقة بين التيارات السلفية وجماعة الإخوان المسلمين وأثرها على عملية التحول الديمقراطي في مصر ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح الوطنية 2014 ، ص 93 وما بعدها .

<sup>80</sup> كتب سعد الدين إبراهيم ، حين إذ في جريدة المصري اليوم تحت عنوان : هل هي نكبة برامكة ، أم مذبحه المماليك أم ثورة تصحيح ؟ قاتلاً : "ما فعله الرئيس محمد مرسي يوم 12 أغسطس من إطاحة بالمجلس العسكري ، وإلغاء الإعلان الدستوري المكمل ، وتعيين نائباً له ، ووزير دفاع جديد هو "انقلاب ..... أشبهه في تاريخنا العربي "بنكبة البرامكة" 803 م على يد هارون الرشيد ، أو (مذبحه المماليك) على يد محمد علي 1811 م التي فتك فيها بـ (470) مملوكاً دفعة واحدة وهم يغادرون قصره بالقلعة بعد انتهائهم من وليمة دعاهم إليها لتوديع ابنه طوسون قائد الحملة المصرية إلى نجد والحجاز" .

- سعد الدين إبراهيم : هل هي نكبة برامكة ، أم مذبحه المماليك أم ثورة تصحيح ؟ جريدة المصري اليوم ، 2012.08.17 م .  
- راجع أيضاً في أجواء السنة الأولى من الرئاسة ، صفاء عزب : محمد مرسي ... سنة أولى رئاسة ، الشرق الأوسط اللندنية ، العدد 12621 ، 2013.06.18 م .

هذا المزلق الجديد ، والتعجل في الإلتفاف على حكم الديمقراطية كان من الأخطاء الفادحة التي تنم على سوء نية ، التي أدت بتجربة الإخوان السياسية في الحكم إلى الفشل .

إنَّ ما آل إليه الإخوان من فشل في تجربة الحكم كانت تصاحبه مخاوف تجتاح عامة النَّاس المعتدلين والليبراليين على وجه الخصوص من حكم الإخوان المسلمين ، إذ قد لا يكون من السهل في عقل الليبراليين الفصل أيديولوجياً بين جماعة ثيولوجية تُمهّد للعنف عن جماعة تتبناه على الأرض ، وقد يكون من الصعب أيضاً القول أحياناً أنَّهم (أي الإخوان) موالون للجهاديين بصورة مباشرة ، لكن الملاحظ أن الإخوان يهيؤون البيئة المناسبة لهم ، لأنَّهم يعزفون الموسيقى التي يستمتع الجهاديون بالرقص عليها<sup>(81)</sup> .

وفي اعتقادنا فالحقيقة تؤكد ، أن جماعة الإخوان المسلمين تبعث على الريبة ، إذا وضعنا في اعتبارنا مواقفها الصامته من الأعمال الوحشية التي ترتكبها الجماعات التكفيرية في المنطقة وخاصة ليبيا ، هذا بجانب علاقتها الوطيدة بموارد تغذية الإرهاب من دول عربية وأجنبية .

---

<sup>81</sup> ماجد نواز : الإخوان تجسيد للثيوقراطية وعقبة أمام مكافحة المتطرفين ، جريدة العرب اللندنية ، 09 / 03 / 297 ، العدد 10566 ، ص 1 .

- يقول ماجد نوار الجهادي البريطاني سابقاً في نقده للإخوان : " ودعا قادة تاريخيون للإخوان ، من بينهم المرشد الأسبق مصطفى مشهور ، مراراً إلى إجبار الأقباط على دفع الجزية ، كما يعارض الإخوان في أدبياتهم أيضاً أي حق لتولي المرأة الحكم فجر الدولة الإسلامية " .

انتكاس التجربة والعودة للتطرف :

## 1) ارتباط الإخوان بالجهادية :

وفي سنوات الربيع العربي برز على الساحة الجهادية الشيخ (عمر عبد الرحمن المصري) الذي بنى قنطرة ما بين أيديولوجية (أبي الأعلى المودودي) و(سيد قطب) من ناحية ، وبين الجماعة الإسلامية التي منها الإخوان المسلمون وجماعات الجهاد اللأحققة لها من جهة أخرى . ولكن كتاب (عمر عبد الرحمن) المؤثر بفعالية على الفكر الجهادي المعاصر حتى يومنا هذا هو ((موقف القرآن من خصومه من خلال سورة التوبة)) ، حيث ضمن (عمر عبد الرحمن) في هذا الكتاب الضخم "رؤيته لقضية الجهاد والقتال ، وموقفه من اليهود والنصارى من خلال إعادة قراءة سورة التوبة وغزوات الرسول ومعاركه" (82) .

ينطلق عمر عبد الرحمن في كتابه السابق ذكره من صورة الواقع العربي الإسلامي اليوم الذي وصفه بواقع الشرك والكفر وأن "تحكيم الشريعة غائب في المجتمعات الإسلامية ، مستعيداً آراء (سيد قطب) في مفهومه للجاهلية المعاصرة" (83) .

وحاول وضع تصور لمفهوم الجيل الجهادي الجديد يقوم على أساس السيطرة على بقعة من الأرض والإعلان منها عن الدولة الإسلامية .

<sup>82</sup> إدريس الكنبري : عمر عبد الرحمن .. المرجع النظري لمنجز الجماعات الجهادية المعاصرة ، جريدة العرب اللندنية ، العدد (10553) بتاريخ 2017.02.24 م .  
<sup>83</sup> المرجع السابق ، ص 13 .

## 2) تأصيل التطرف في قضية الناسخ والمنسوخ :

لقد وصل بالسلفيين التكفيريين تأويل آيات القرآن الكريم بما يتمشى مع مرجعيتهم ، واستخدام الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم بما يتمشى مع أيديولوجيتهم ، وبما يبرر تجاوزاتهم . ففي شأن التكفيريين أن الآية الخامسة من سورة التوبة (فَإِذَا انسَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (سورة التوبة / الآية 5) ، رأَت السلفية التكفيرية أن الآية السالفة الذكر والتي يطلق عليها العلماء "آية السيف" أنها نسخت كل الآيات التي وردت في القرآن الكريم التي تدعو إلى التسامح مع غير المسلمين ، التي منها على سبيل المثال : (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۚ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ) (سورة البقرة / الآية 256) ، وقوله تعالى: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُم جَمِيعًا ۚ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) (سورة يونس / الآية 99) . وبقدر عدد الآيات التي طالها النسخ بهذه الآية ما يقرب عن 176 آية<sup>(84)</sup> .

ولكي نستطلع الأمر في حجج السلفية ابتداءً من معلمهم الأول الشيخ (ابن تيمية)<sup>(85)</sup> ، علينا أن نتدرج في سرد وتحليل قضية النسخ في حد ذاتها

<sup>84</sup> راجع بشأن سبب نزول الآية الخامسة من سورة التوبة والتي أطلق عليها العلماء "آية السيف" الموقع الإلكتروني : الإسلام سؤال وجواب ، المشرف العام الشيخ محمد صالح المنجد ، وانظر أيضاً بشأن فتاوى ابن تيمية : محمد حبش : ابن تيمية ، (428) فتوى بعنوان (يستتاب وإلا قُتل) ، موقع إلكتروني News yuion.Net .

<sup>85</sup> راجع في شأن الفتاوى المتشعبة لابن تيمية ، محمد حبش : ابن تيمية (428) ، فتوى بعنوان (يستتاب وإلا قُتل) ، المكتبة الإلكترونية ، موقع السوري الجديد News Syuin.Net

وتداعياتها في عصرنا هذا ، بعد أن طرحنا الظروف التي أدت بها في عصر  
المعلم الأول للسلفية الجهادية (ابن تيمية) .

### (3) حجة السلفية الجهادية بين الناسخ والمنسوخ :

#### (أ) الحجة في التكفير :

يعتمد السلفيون الجهاديون فيما يوصفون به بالتطرف في الدفاع عن الدين  
الإسلامي بالقوة على نصوص قرآنية اختلف المفسرون والفقهاء في تحديد  
المعنى الدقيق لها ، وفي صلاحيتها زمنياً ، وفي وجوب الأخذ بها من عدمه  
في ضوء ملحمة الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم .

ولعل من أسباب ما يرى البعض أنه سوء فهم ، وما يرى البعض الآخر  
أنه حق في قضية الجهاد بالقوة ما جاء في كتاب الله تعالى في الآية الخامسة  
من سورة التوبة (فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ  
وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا  
الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (سورة التوبة / الآية 5) .

هذه الآية أطلق عليها العلماء "آية السيف" ، التي كما أسلفنا القول ، أنها  
بحسب السلفية الجهادية نسخت كل الآيات القرآنية التي تدعو إلى التسامح  
وقبول أهل الذمة باعتبارهم من أهل الكتاب مما لم يشهروا إسلامهم أو  
يدفعون الجزية .

ولكي نتدرج في محاولة فهم إشكالية هذه القضية العقدية الخطيرة في  
عصرنا هذا ، علينا أن نقف على توضيح ما يمكن توضيحه في الأمر من  
خلال محاولة فهم معنى فكرة الناسخ والمنسوخ وأسبابها بصفة عامة ، ومدى

فعالية "آية السيف" فيما ترفعه السلفية الجهادية في عصرنا هذا من شعار القتل.

لقد اختلف الفقهاء القدامى في قضية المنسوخ ، وكان رأي معظمهم أنّ آية السيف تشير إلى واجب يقتضي تنفيذه في حال قوّة المسلمين واستطاعتهم على مخايرة أهل الذمّة بين دفع الجزية أو القتل ، وتأجيل التنفيذ في حالة عدم استطاعتهم<sup>(86)</sup> .

وفي هذا المجال نرى (لابن تيمية) حضوراً بارزاً فيما نحن بصدده ، أي آية السيف ، وله الرأي نفسه المشار إليه أعلاه ، أي وجوب قتلهم ، إلا في حالة ضعف المسلمين<sup>(87)</sup> .

وفي عصرنا هذا أشعل الجهاديون المعاصرون (الجماعات التكفيرية) بآية السيف حرباً مفتوحة على كل من لا ينتمي للإسلام ، وتعدّ هذه الآية (آية السيف) في اعتقادهم أنّها بمثابة إيدان عام بمحاربة (الكفار) حتى ولو لم يبادروا بقتال المسلمين طالما أنّهم لم يعانون إسلامهم ، وهو أمر في اعتقادي بجانب للصواب . وهذا التوجه لا يقبل منطقياً في اعتقادي .

### ب) الناسخ والمنسوخ في القرآن :

من المتفق عليه عند الفقهاء والمفسرين الأوائل أنّ "النسخ في القرآن يعني استبدال أمر بأمر آخر أفضل منه أو مثله"<sup>(88)</sup> . آخذاً بقوله تعالى : (مَا نَنْسَخْ

<sup>86</sup> راجع الزركشي : الرهان في علوم القرآن ، ج 2 ، ط 3 ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، 1984 م ، ص 42 .  
<sup>87</sup> راجع في هذا الشأن كل من :

- عبد الله بجاد العتبي : ابن تيمية والجهاد : جريدة الرياض ، العدد (13335) ، 2004.12.27 م .  
- بدر الخريف : رسالة ابن تيمية عن قتال الكفار أنارت ضجة في السعودية قبل نصف قرن ، وتم منعها ومصادرتها والتشكيك في نسبتها لشيخ الإسلام ، جريدة الشرق الأوسط الدولية ، العدد (8981) 2003.07.01 م  
<sup>88</sup> يوسف حامد الشنين : الأديان السماوية بين العقل والنقل ، ط 1 ، مرجع سبق ذكره ، ص 29 .

مِنْ آيَةٍ أَوْ نُسِيهَا نَأَتْ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (سورة البقرة / الآية 106) .

والناسخ والمنسوخ من القضايا الشائكة التي قابلها الفقهاء الأوائل فاختلقت آراؤهم في تأويلها ، وإن أجمعوا على ضرورة مراعاتها في تفسير وتأويل القرآن اعتماداً على قول الأئمة "لا يجوز لأحد أن يُفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ ، وقد قال على بن أبي طالب رضي الله عنه لأحد المفسرين : أتعرف الناسخ والمنسوخ ؟ قال : الله أعلم ، قال : هلكت وأهلكت" (89) .

هذا وأنا كباحثة أعرض أفكارى في هذا الصدد بتصريف في إطار ما أجمع عليه في الغالب الفقهاء وفقاً لظروف وسياق وأسباب نزول الآيات مستبعدة ما لا يتلى في المصحف أي ما نُسخت تلاوته مثل ما قيل إنّه كان موجوداً في سورة النور وحُذف منها بسبب نسخه<sup>(90)</sup> .

ومن المتفق عليه أنّ النسخ في القرآن الكريم ورد في عدة وجوه منها : نسخ فعل آية من آيات القرآن الكريم ، بعد أن كان مجازاً بآية سابقة ، ممّا يعني أنّ هذا الأمر تحريم الفعل المراد إبطاله على مراحل ، يؤخذ في إقرارها

<sup>89</sup> الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، ج 2 ، ط 3 ، (مكتبة دار التراث ، القاهرة ، 1984 ، القاهرة) ، ص 29 .  
<sup>90</sup> المقصود بذلك : " الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله " ، والحقيقة أن هذه الآية لم تكن قرآنية ، وإنما هي آية توراتية ورد سابقتها في التوراة / سفر التثنية / الإجماع (21) . وأن علاقتها بما جاء من التباس قد نجم (وفقاً لتفسير الطبري ، ج 6 ، ط 1 ، دار هجر للطباعة والنشر ، القاهرة ، 2001 ، ص 157 .  
عن أن نفرأ من اليهود طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم : ما الحكم في يهودي ويهودية زنيا . فطلب الرسول صلى الله عليه وسلم من أحد رجال دينهم ماذا تقول التوراة في ذلك ؟ قال : أن يرجم . فقال الرسول صلى الله عليه وسلم فليرجموا استناداً لما ورد في كتاب الله (التوراة) . وقد أخذ بها الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين في الشريعة الإسلامية . وذكر أنّ الرسول رجم والمسلمون رجموا ، وهذا ما دفع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى القول في هذه الآية المنسوخة : " لولا أن يقول الناس زاد عمر في كتاب الله ، لكتبتها بيدي " (الزركشي . البرهان في علوم القرآن ، مصدر سبق ذكره ، ص 35 . هذا والجدير بالاعتبار في رأيي كباحثة أن حكم الرجم جاء - وفقاً لما ذكرناه سابقاً زمنياً - عن نزول ما جاء في سورة النور (آية 2) ((الزانية والزاني فأجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله)) ، الأمر الذي أبطل حكم الرجم الذي يُعد في اعتقادي كباحثة سنة منسوخة بآية قرآنية .



الواقع ، وارتباط النَّاس بالفعل المعني ارتباطاً وثيقاً يستدعي أخذه من الناحية النفسية على مراحل<sup>(91)</sup> ، كما حدث في تحريم الخمر<sup>(92)</sup> .

### ج) ضروب النسخ وألية المعالجة :

- هذا وقد صنَّف الفقهاء المنسوخ في القرآن من ثلاثة أضرب<sup>(93)</sup> وهي :

- ما نُسخت تلاوته وبقِيَ حكمه .

- ما نسخ حكمه وبقيت تلاوته .

- ما حُذف من التلاوة ، فلا يجوز تلاوته ولا يجوز العمل به .

ما يهمننا في الأضرب الثلاثة السابقة هو الضرب الثاني أي ما نُسخ

حكمه وبقيت تلاوته من حيث أنَّه خلق إشكالية فيما يعرف بالآية الخامسة

"آية السيف" من سورة التوبة .

هذا ولصعوبة تحديد يقيني لدي كباحثة كغيري من السابقين في قضية

المنسوخ من آيات القرآن الكريم ، أكتفي بطرح بعض الأفكار الإيضاحية

التي لا ترقى إلى مستوى الفتاوى بقدر ما هي محاولات المتواضعة في

تأويلات ملحمة تداعيات قضية الناسخ والمنسوخ . وفي هذا الصدد سأنتظر

لبعض النقاط في هذا المجال عسى أن تساعد في تدليل فهم هذه القضية ،

قضية "الناسخ والمنسوخ" وتداعياتها في واقع السلفية الجهادية . ولعلَّ من

أوائل هذه الأفكار البحث في النقاط التالية :

<sup>91</sup> يوسف حامد الشين : الأديان السماوية بين العقل والنقل ، ط 1 ، مرجع سبق ذكره ، ص 329 .

<sup>92</sup> راجع الآيات : 219 / البقرة . 43 / النساء . 90 / المائدة .

<sup>93</sup> للمزيد في هذا الموضوع راجع : الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، ج 2 ، ط 1 ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1972 ، ص 35 وما بعدها .

- ترتيب السور وما يُعتقد من آيات ناسخة وأخرى منسوخة حسب ما ورد في ترتيب سور القرآن حسب النزول .

- الظروف التي نزلت فيها الآية الخامسة التي يطلق عليها "آية السيف" من سورة التوبة .

- النظر إلى كل آية داخل السياق الذي وردت فيه (94) .

وإذا بدأنا بترتيب سور القرآن الكريم حسب النزول نرى أن سورة يونس ، بما فيها الآية (99) في قوله تعالى : (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا ۖ أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) لوجدنا أنها لاحقة لسورة التوبة التي جاءت في ترتيب النزول تحت رقم (9) بما فيها الآية (5) الملقبة "بآية السيف" ، والتي قال فيها تعالى : (فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرْمِ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) . ومن المنطق إذا وجدنا تشابهاً بين الآيتين ، فإن الآية اللاحقة هي الناسخة للآية السابقة ، ومن هنا يتضح لنا عدم حجّة النهج الجهادي القتالي للسلفية مع دوام الجهاد بالحجّة .

وإذا تتبعنا الظروف التي نزلت فيها سورة التوبة بما فيها الآية (5) الملقبة بآية السيف ، نجد أمراً يدعم ما ذكرناه سابقاً في حجّة ترتيب السور بحسب النزول ترقياً في المصحف ، أن لكل آية ظروفها ومناسبتها ومقصدها .

<sup>94</sup> انظر : يوسف حامد الشين : الأديان السماوية بين العقل والنقل ، مرجع سبق ذكره ، ص 334 .  
- راجع في شأن مفهوم النسخ ووظيفته وأنماطه ، نصر حامد أبو زيد ، مفهوم النص - دراسة في علوم القرآن - ط 4 ، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر ، بيروت ، 1998 م ، ص ص 117 - 123 .

ولعلّ من الحكمة أنّ أنوه إلى أن آيات السّيف (القتال) كثيرة في القرآن الكريم ، وأنّها نزلت لقهر ظروف ظالمة ومحدّدة ينتهي الأمر فيها بزوال ظروفها وأسبابها ، ومنها قوله تعالى في سورة الحج آية (39) : (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا ۖ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) .

وقد أشارت الآية التي تليها وتكمّلها إلى الجهة التي ينصرف فيها الخطاب ، فبينت أن المقصود هم : (الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ۗ) ، أي المسلمون الذين اضطروهم تضيق قريش وحصارهم لهم في مكة إلى الهجرة إلى المدينة خاصة" (95) .

ومن آيات القتال المشروطة بظروف محدودة ما جاء في سورة البقرة / آية 190 (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) ، وقد أوضحنا الآيتان اللاحقتان الأمر بالقتال مُقيدة إيّاه ، وشرح القصد منه ، في قوله تعالى : (وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۗ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ۗ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ۗ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٥٦﴾ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ) (سورة البقرة / الآيتان 191 و 192) .

وأما مناسبة الآية الثانية في آيات السّيف (آية 5) من سورة التّوبة فهي الأخرى جاءت في ظروف قاهرة استوجبت القتال لكنها زالت بعد تحقق ردّ الظلم . فقد خرج النّبي صلّى الله عليه وسلّم من المدينة إلى مكة المكرمة للعمرة فاعترضته قريش ومنعته من دخول مكة في مكان يطلق عليه (الحديبية)

<sup>95</sup> مَحْمَدُ عَابِدُ الْجَابِرِي ، آيَاتُ الْقِتَالِ وَالنَّسْخُ وَالْعُمُومُ وَالْخُصُوصُ ، 2003.06.17 م ، WWW.aloaliab-d.com

، بالقرب من مكة . وكانت حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم تقتضي إجراء الصلح بينه وبين قريش المعروف (بصلح الحديبية) \* . وخلصته : أن يرجع المسلمون إلى المدينة دون أن يدخلوا مكة في تلك السنة ، على أن يحق للمسلمين دخولها والإقامة فيها ثلاثة أيام في السنة القادمة . وقد نصَّ الصلح على وقف القتال بين الطرفين لمدة عشرة سنين .

وعندما عاد المسلمون إلى المدينة بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم تشاوروا في الأمر من جديد فخافوا أن تغدر بهم قريش وتحاوروا في فسخ الصلح بعد أن فسخته قريش بالاعتداء على بني خزاعة والرجوع للقتال من جديد ، لكنَّ الأشهر الحرم التي لا يُسمح عادةً بالقتال فيها اعترضتهم ممَّا دفعهم لطلب المشورة من الرسول صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية المثيرة للجدل (آية السيف) التي أباحت لهم القتال موضحةً لهم المسالك الذي يجب أن يسلكوه ، وقيدته عند المسجد الحرام بقيام قريش بذلك ، وأمرتهم بقتال من يقاتلونهم دون غيرهم من النساء والأطفال والعجزة . والآية مرتبطة في اعتقادي بظروف كما رأينا ، وهي فتح مكة وبانسلاخ الأشهر الحرم ما يعني أنَّه لا معنى لتعميمها في غير مثل هذه الظروف أيَّ الدفاع عن النفس .

---

\* صلح الحديبية من أهم الأحداث التي جرت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وكان هذا الصلح في شهر ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة ، وهو يوافق شهر مارس من عام 628 م . وقد سبق هذا الصلح عدة غزوات منها : غزوة بدر ، وغزوة أحد ، وغزوة بني قريظة ، وغزوة بني النضير وغيرها . وقد توجه الرسول صلى الله عليه وسلم بعدد من المسلمين يقدر بألف وخمسمائة من أصحابه إلى مكة لغرض أداء مناسك العمرة ، وكانت مكة في ذلك الوقت بأيدي الكفار . وعندما علم الرسول صلى الله عليه وسلم بتأهب قريش لقتاله ، تقادى الصدام معهم ، وغير طريقه حتى وصل إلى الحديبية ، وهي قرية تبعد شمال مكة مسافة 20 كم حيث فيها بئر ماء . وأرسل إلى المشركين عثمان بن عفان لإخطارهم بأنه قادم لأداء العمرة وليس للقتال . وبعد مداوات أرسلت قريش سهيل بن عمرو الذي عقد مع الرسول صلى الله عليه وسلم الصلح بالشروط المذكورة منها أعلاه وكانت قبيلة خزاعة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ودخلت قبيلة بني بكر في عهد قريش . وكانت الحروب والعداوة بين القبيلتين متكررة فأضحت بصلح الحديبية كل منهما في أمن من الأخرى ، ولكن قبيلة بني بكر غدرت وخرقت الصلح مُغيرة على بني خزاعة ، وأعانها قريش في القتال ، وعندما استعانوا بنو خزاعة بالرسول ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم لمرسلهم عمر بن سالم الخزاعي : (نصرت يا عمر بن سالم) ، فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالجهاد لفتح مكة بعد أن نقضت قريش ومن معها صلح الحديبية فكان فتح مكة .

- راجع في تفاصيل صلح الحديبية : تفسير الطبري ، الفقرات من 22/239 إلى 22/249 .

#### 4) جماعة الإخوان المسلمين الحاضر والمستقبل :

لم تُسَنح لجماعة الإخوان المسلمين فرصة لتجسيد أفكارها الدّعويّة أكثر مما سُنحت - بعد انتكاساتها السابقة على طول وعرض الوطن العربيّ - أكثر ممّا أتاحه لها ما يسمى (الربيع العربي) الذي اجتاحت اضطراباته معظم الوطن العربيّ ، وطالت تداعياته الكثير من دول العالم .

فقد استطاعت حركة الإخوان المسلمين في هذا الخضم وبفضل منهجها الدّعويّ النّاجح ، وتغلّغها في المجتمع المصريّ الذي انطلقت منه عام 1928م ، ومن خلال الجمعيات الخيريّة الإنسانيّة في الأرياف وحتّى في المدن الكبرى التي استقطبت ربما الملايين من الفقراء البسطاء ، ومن الحالين بالسلطة استطاعت الحركة أن تخوض غمار رئاسة الجمهوريّة في مصر ولأوّل مرة وبنجاح ، ومن خلال ما ذكرناه إنّ الاستقطاب الدّعوي المدعوم بالجمعيات الخيريّة في ربوع المجتمع المصريّ نجح في تجربة الحكم ممّا أدى إلى الهيمنة العاجلة على مؤسسات الدولة بأفرادها والسعي لإقصاء التنظيمات الأخرى والوصول بها إلى دولة دينية ثم جعلوا من الديمقراطية وسيلة للوصول من خلالها إلى السلطة وهو أمر يتعارض مع دستور الدولة ، ومع تكوين الشعب المصريّ الذي يستوعب كل الطوائف الدينيّة وفي مقدمتها اتباع الديانة المسيحية ، وكل الأطياف السياسيّة من خلال أحزابها وأيديولوجياتها .

هذا الاندفاع المتعجل من جانب حركة الإخوان المسلمين السالف الذكر أدّى إلى انتكاسها سياسياً ، من خلال الخروج عن المألوف ، فمصر عُرفت طيلة تاريخها بأنّها الأمّ الحنون للجميع في إطار الحرّيّة الليبراليّة ، وهكذا

انجرت حركة الإخوان المسلمين من حيث لا تدري إلى فشل سياسي في مصر ومعظم الدول العربيّة .

هذه الأحداث في مصر والدول العربيّة انعكست على حاضر الحركة ومستقبلها وأصبحت ضمن الحركات الإرهابيّة التي تخشاها دول العالم فصدرت القرارات السياسية هنا وهناك في الدول العربيّة باعتبار حركة الإخوان المسلمين حركة إرهابيّة .

ولم تنجُ سمعة الحركة في ظلّ تداعيات (الربيع العربي) من الزّبيّة منها حتّى في الدول الأوروبيّة ، وأمريكا الشماليّة عندما أصبح التمييز بينها كحركة دعوية ، وبين الحركات الجهادية أمر يصعب استيعابه .

### (5) صفوة القول في شأن النسخ :

من الجدير بالذكر أنّ قضية النسخ والمنسوخ في القرآن الكريم وأسباب وظروف نزول الآيات ليست من الأمر الهين على الباحثين وفقاً لما ورد من اجتهادات يعترضها الكثير من الصعاب بعضها فقهي ، وبعضها يكمن في غياب الحقيقة الواقعيّة التي يمكن التأويل بناءً عليها ، وفق المعطيات المطلوبة للعرض الصحيح .

لذلك من واجبي كباحثة لا أعني في عرضي هذا تقديم نهاية المطاف في هذا الشأن ، وقد لا أعني من جاء قبلي ، ومن سيأتي بعدي ويقف على الحقيقة النهائيّة ، اعتماداً على أن القرآن صالح لكل زمان ومكان ، وذلك بمفهوم مقاصد الشريعة الكبرى ، وليس بظاهر النّص ، ناهيك عن قوله تعالى :

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) (سورة الأسراء / 85) ، وقوله تعالى : (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا) (سورة الكهف / الآية 109) .

وهذا الأمر (ظاهر النص) أكد عليه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : "أنتم أعلم بأمر دنياكم" <sup>(96)</sup> وقوله : الشاهد يرى ما لا يراه الغائب ، وقد ألتزم الصحابة بها في بناء الدولة ففرضوا حدوداً جديدة ، وأهملوا أخرى قديمة ، ودخلوا في نظم حديثة يعارضها ظاهر النص ، وشرعوا أبواباً للزكاة لم يشر إليها النص ، وأوقفوا حروباً كثيرة أمر بها ظاهر النص ، وأطلقوا حروباً أخرى نهاهم عنها ظاهر النص .

وقد عارض هذه الإجراءات الخوارج بشدة عبر شعارهم (لا حكم إلا لله) ، ورفضوا التأويل في أي نص من كتاب الله ، واعتبروا كل تأويل في النص هرطقة\* (وَضَلَالًا وَلَوْ كَانَ مِنْ اجْتِهَادِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى بَابِ مَدِينَةِ الْعِلْمِ ، نَاهِيكَ مَعَاوِيَةَ ، أَوْ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ أَوْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ)) .

### تعقيب وتنبية :

(أ) ولما كان لما يعرف بآية السيف ردود فعل لا تناسب في اعتقادي - من قبل المشككين في القرآن قديماً وحديثاً - مع حكمة الباري عز وجل ، ومع القرآن الكريم (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ

<sup>96</sup> أخرجه مسلم عن أنس .  
\* الهرطقة هي الإتيان بالبدع المخالفة لأصول الدين ، معجم المعاني الجامع .

مَنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (سورة فصلت / الآية 42) ، ومع تلك التدايعات القول  
(وأعوذ بالله من الشيطان الرجيم) بوجود تناقض في القرآن الكريم ، فإن  
الباحثة ترى أن الآية الخامسة من سورة التوبة لم تنسخ آيات الرحمة  
لأنها تدعو للرد على ظلم الكفار الذين أخرجوا المسلمين من ديارهم حتى  
يعيدوا حقهم (أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ  
لَقَدِيرٌ) (سورة الحج / الآية 39) .

ومن هنا نرى أن الآية المذكورة آنفاً حثت المسلمين أن لا يعتدوا في غير  
الظروف (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ  
الْمُعْتَدِينَ) (سورة البقرة / 190) .

علماً بأن هذا الأمر - الدفاع عن الديار - صالح لكل زمان ومكان . كما أن الدليل  
على ترجيح ما ذكرناه عن الآية (190) من سورة البقرة الداعية لمحاربة المشركين الذين  
أخرجوا المسلمين من ديارهم ما جاء من قبل في الآية رقم (114) من السورة نفسها في  
قوله تعالى : (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا  
أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ  
عَظِيمٌ) . وتلك إشارة للمشركين الذين صدوا رسول الله عنها عام الحديبية ، وعندما أذن  
الله للرسول والمسلمين بفتح مكة ومنع المشركين من الاقتراب من بيته حيث  
قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ  
عَامِهِمْ هَذَا ...) (سورة التوبة / الآية 28) .

ولما كانت قضية النسخ قد شغلت مساحة شاسعة في علوم الشريعة قديماً  
وحديثاً ، وكتب فيها علماء على اختلاف مشاربهم من فقهاء وأصوليين فقد قام



الكثير من هؤلاء لدعم نكران النسخ بمعنى استبدال آية قرآنية بآية أخرى معتمدين في اعتقادهم على سوء فهم مفردات القرآن الكريم وخاصة المعنى اللغوي لكلمة آية التي يرون أنها تعني نسخ لشرائع سابقة عن الإسلام (97) .  
وجاء هذا التيار لإبعاد فكرة المغرضين قديماً وحديثاً عن التشكيك في القرآن ورفع فكرة التناقض عنه . ولعل من أشهر القائلين بهذا الرأي من القدماء ، أبو مسلم وهو محمد بن بحر الأصفهاني ، المعتزلي (332 هـ) والمتكلم في كتابه ((الناسخ والمنسوخ)) الذي حمل حجته على نسخ الشرائع السابقة .

(ب) ونظراً لهذا الرأي (نكران النسخ في القرآن) من أهمية تحتاج للغوص فيه وإعطائه حقه وهو أمر خارج عن نطاق هذا البحث المتواضع رأيت كباحثة أن أكتفي بالإشارة لمصادر قديمة وحديثة تشبع حاجة القارئ (98) .

### صفوة القول :

إنَّ آيةَ السَّيفِ لم تنسخ ما جاء قبلها من آياتِ الرِّحْمَةِ لِأَنَّهَا مشروطةٌ بالمقاتلةِ (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) (سورة الحج / الآية 190) .

<sup>97</sup> تقى ديارى ، وآخرون ، إنكار النسخ في القرآن الكريم ، ب ط ، مركز البحوث المعاصرة ، بيروت ، 2017 ، ص .  
<sup>98</sup> راجع :

- 1) أبو مسلم محمد بن بحر الأصفهاني ، المعتزلي (332 هـ) والمتكلم في كتابه ((النسخ والمنسوخ)) الذي حمل حجته على نسخ الشرائع السابقة ، وهو أول الناكرين للنسخ .
- 2) ابن الجنيد (381 هـ) أبو علي محمد بن محمد بن حنيد البغدادي وهو أعظم فقهاء الأمامية ، وله كتاب واضح من عنوانه وهو ((النسخ على من أجاز النسخ)) .
- 3) محمد عبدة ، شرح نخب البلاغة ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .

كما أنه في اعتقادي ، لا منسوخ في التلاوة ، وما يراه البعض تحت فهم الناسخ والمنسوخ من تناقض بين بعض الآيات ، إلا بسبب عدم مراعاة ظروف وأسباب نزول الآيات ، وعدم النظر إلى كل آية داخل السياق الذي وردت فيه .

وفي النهاية فإن آية السيف كما أرى ليست ناسخة لأن المنسوخ لا يكون بالضرورة له حضور في التلاوة ، إلا إذا كان علماً يتطور أو تدرج في النهي أو التحريم . فالقرآن الكريم واضح في قوله تعالى : (مَا نُنَسِّخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (سورة البقرة / الآية 106) . فالملاحظ أن القرآن لم يقل نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا ، بل بخير منها ، مما يفيد ضرورة غياب المنسوخ في التلاوة .

# الفصل الثالث

## (الخطاب الليبرالي)

## نشأة الليبرالية وجذورها :

### (1) النشأة :

نشأت الليبرالية *Liberalism* - أي مذهب الأحرار نسبة لحرية الرأي في أوروبا - منذ بداية القرن السادس عشر الميلادي . وهي "لم تتبلور كنظرية في السياسة والاقتصاد والاجتماع على يد مفكر واحد ، بل أسهم عدة مفكرين في إعطائها شكلها الأساسي وطابعها المميز .

فالليبرالية ليست اللوكية (نسبة إلى جون لوك *Lock* j. 1632 - 1704) ، أو الروسوية (نسبة إلى جان جاك روسو *Rousseau* j. 1712 - 1778) والمليّة (نسبة إلى جون ستورات مل *Mill* S. j. 1806 - 1873) وجيرمي بنتام *BONTHAM* j. 1748 - 1838) بل كان كل واحد من هؤلاء أسهم إسهاماً بارزاً أو فعالاً في إعطائها كثيراً من ملامحها وخصائصها"<sup>(99)</sup> .

فقد نشأت الليبرالية في أوروبا نتيجة الأوضاع المصادرة للحرية السائدة في تلك الفترة .

ولهذا "فقد نشأت الليبرالية كردة فعل غير واعية بذاتها ضد مظالم الكنيسة والإقطاع\* ثم تشكلت في كل بلد بصورة خاصة ، وكانت وراء الثورات الكبرى في العالم الغربي (الثورة الإنجليزية ، والأمريكية والفرنسية) ولكن نقاط

<sup>99</sup> عبد الرحيم بن صمايل السلمي ، الليبرالية : نشأتها ومجالاتها ، مرجع سبق ذكره ، ص 24 .  
\* الإقطاع Feodalism نظام سياسي واجتماعي ساد أوروبا الغربية ابتداءً من القرن التاسع الميلادي وحتى القرن الثالث عشر وقد اختفى في فرنسا بقيام الثورة الفرنسية عام 1789 م وهو كما جاء في المعجم الفلسفي "تكوين اجتماعي واقتصادي ينشأ بعد تحلل النظام العبودي" .  
النظام الإقطاعي يضم النبلاء ورجال الدين من جهة وطبقة الفلاحين المستغلة من جهة أخرى . مراد وهبة ، المعجم الفلسفي ، ط 3 ، دار مانون للطباعة ، القاهرة ، 1979 م ، ص 39 .

الإلتقاء لم تكن واضحة بدرجة كافية ، وهذا يتبين من تعدد اتجاهاتها وتياراتها)<sup>(100)</sup> .

من هنا يتضح لنا أنّ الليبراليّة نشأت في ظروف وتغييرات اجتماعية مختلفة وليست على يد مفكر واحد وبالرغم من ذلك ، ورغم تعدّد أطوارها بحسب الزمان والمكان ، إلاّ أنّها تتفق على استحقاق الحرّية بصفة عامة وإعطاء الفرد حريته في المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، وهذا يعني أنّ "الليبراليّة هي أيديولوجية ذات نزعة فردية حرّة تستهدف حماية وصيانة حقوق وحرّيات الأفراد الطبيعيّة . ولقد ورث العالم الغربي عن الإغريق فكرة (الحرّية الفردية *Liberty* *individuel*) فقد أعتبر الإغريق الحكومات الاستبدادية وحكومات الأقلية حكومات غير صالحة "طاغية" لأنّها تعسف بالحريّات ، ثم تطوّرت هذه الفكرة بعد ذلك وأصبحت مذهباً سياسياً"<sup>(101)</sup> .

بذلك نشأت الليبراليّة مع نشأة النهضة الأوروبية\* ، ثم تطوّرت في عصور مختلفة إلى ما وصلت إليه اليوم .

<sup>100</sup> سليمان بن صالح الخراشي ، حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها ، مرجع سبق ذكره ، ص 15 .  
<sup>101</sup> عادل ثابت ، النظم السياسية ، ب ط ، (دار الجامعة الجديدة للنشر ، الإسكندرية ، 2001) ، ص .  
\* يقصد بعصر النهضة الأوروبية *Larenaisnce* ، العصر الذي ثارت فيه العقول من الناحية الفكرية على عقلية الفكر الديني الكنيسي المتحجر في مختلف المجالات ، ويرى المؤرخون أن عصر النهضة بدأ في إيطاليا من القرن الخامس عشر الميلادي مجتاحاً الدول الأوروبية .

## (2) جذور الليبرالية :

أما بخصوص جذورها ، فالبعض يرى العودة "لجذور الليبرالية إلى ديمقراطي أثينا في القرن الخامس من قبل المسيح والرواقيين\* في المراحل الأولى من المسيحية ثم حركة الإصلاح البروتستانتية" \*\* (102) .

وبالرغم من أن الأصول الحديثة لليبرالية تعود إلى القرن الخامس عشر ، إلا أن الليبرالية لم تعتبر منهجاً سياسياً إلا في القرن السابع عشر حيث يعتبر (جون لوك) من أوائل الفلاسفة الليبراليين وأن فلسفته تتعلق بالليبرالية ، ولأنه معروف بكرهه للعبودية التي يراها لا تتناسب مع الإنسانية ، هذا بجانب أنه "يعتبر النظام الإقطاعي الذي سيطر على أوروبا في العصور الوسطى من أقسى الأنظمة وأكثرها عنصرية وطبقية . وهو مكوّن من طبقتين إحداهما السادة (النبل والملوك) وهم الطبقة السياسية ، ورجال الدين (الأكليروس) وهم الطبقة الدينية ، والطبقة الثانية : الفلاحون (الرقيق) وعمامة الشعب" (103) .

وهكذا فالظهور الأول لليبرالية كان في أوروبا ، ثم انتقلت إلى كثير من دول العالم غير أن تداولها بوضوح في الفكر الغربي كان في القرن التاسع

---

\* راجع في هذا الشأن : د. مقبولة مسعود علي العوامي ، الفعل الإنساني وأثره في قيام الحضارات وانهارها ، ط 1 ، مجلس الثقافة العام ، الجماهيرية الليبية ، 2010 ، ص 120 - "تعتبر الحضارة اليونانية حديثة العهد بالنسبة للحضارات السابقة ، ومع ذلك نجدها قد ارتقت إلى الوجود تاركة كما هائلاً من العلوم والمعارف الإنسانية .. ففي تلك الفترة الوجيزة ظهر في اليونان عمالقة الفكر في القرنين الخامس والرابع ق.م الذين تناولوا جميع نواحي الفكر الإنساني ... " .

\*\* البروتستانتية Protestantism أحد المذاهب المسيحية أو كنائسها الرئيسية السائدة حالياً في الديانة المسيحية وهي الكنيسة الأرثوذكسية أي الكنيسة الشرقية التي تنتشر في منطقة البلقان وروسيا وبعض الدول الشرقية ، والكنيسة الكاثوليكية Alholiue ومقرها روما ، ثم الكنيسة البروتستانتية التي انطلقت من أفكار مارتن لوثر خلال القرن السادس عشر في ألمانيا والتي جاءت لتطهير المسيحية من المقولات السائدة في الكنيسة الكاثوليكية كصكوك الغفران وغيرها ، ومن هنا دعت العقيدة اللوثرية أي البروتستانتية إلى اعتبار الإنجيل المصدر الوحيد للعقيدة الإسلامية .

<sup>102</sup> عبد الرحمن بن صمائل السلمي ، الليبرالية : نشأتها ومجالاتها ، مرجع سبق ذكره ، ص 11 .  
<sup>103</sup> سليمان صالح الخراشي ، قضية الليبرالية وموقف الإسلام منها ، مرجع سبق ذكره ، ص 37 .

عشر ، حيث كان أبرز مفكريها في هذا العصر (جون لوك) ، (آدم سميث) ، (جيرمي بنتام) ، و(جان جاك روسو) كما سبق لنا ذكره .

قلنا أنّ جذور الليبرالية تعود إلى أفكار (جون لوك) ، الذي يؤكد على فكرة القانون الطبيعي *NATURAL LAW* ، التي مفادها أنّ الأفراد بحكم كونهم بشر فلهم حقوق طبيعية غير قابلة للمصادرة وفي مقدمتها الحرية الشخصية ، وحرية التعبير ، وحرية الاجتماع والملكية

وقد تطوّر مفهوم الليبرالية كغيره من المفاهيم بحيث مرّ بعدة مراحل وهي :

أولها: مرحلة التكوين والمفهوم الأساسي لليبرالية في هذه المرحلة ، هو مفهوم ذات الإنسان باعتباره الفاعل ، صاحب الاختيار والمبادرة .

وثانيها: "مرحلة الاكتمال ومفهومها الأساسي ، وهو مفهوم الفرد العاقل المالك لحياته وبدنه وذهنه وعمله وعلى أساس هذا المفهوم شيّد علم الاقتصاد العقلي المخالف للاقتصاد الإقطاعي المتفكك ، وشيّد علم السياسة العقلية المبني على نظرية العقد \* . وكذلك مرحلة الاستقلال وثم مرحلة التوقع" (104) .

وتقوم الليبرالية على ثلاثة أسس وهي : الحرية ، والفردية ، والعقلانية . ومن أبرز مجالاتها ؛ الليبرالية السياسية ، التي تعتمد على الحرية الفردية ، كما تعود الفكرة إلى نظرية العقد الاجتماعي *SOCIAL CONTRACT* . وكذلك الليبرالية الاقتصادية على يد (آدم سميث *SMITH* 1790 A. - 1723) ويُعاد ظهورها من جديد بما يُعرف

بالليبرالية الجديدة *NEW LIBERALISM* .

---

\* راجع عمار بو حوشي بشأن نظرية العقد الاجتماعي : تطور النظريات والأنظمة السياسية ، ط ، 1979 م ، الشركة الوطنية للنشر ، الجزائر ، 1976 م ، ص 132 .  
104 عبد الرحيم بن صمايل السلمي ، الليبرالية نشأتها ومجالاتها ، مرجع سبق ذكره ، ص 7 .

## تطور الليبرالية ومجالاتها :

### (1) مراحل تطوّر الليبرالية :

إنّ الليبرالية كغيرها من النظريات أو الإيديولوجيات التي تمرُّ بمراحل حتّى وصولها إلى ما هي عليه الآن ، فمن الطبيعي أن تمرُّ بمرحلة التأسيس ثم النضج ، ومن ثمّ تتطوّر وتتعدّد اتجاهاتها ومجالاتها بحسب الزمان والمكان والظروف والتغيرات الاجتماعية حيث ظهرت الليبرالية الكلاسيكية (أي تحرير الاقتصاديين من سيطرة الدولة) ، ثم الفكرية والاجتماعية والبرجماتية .

أمّا الليبرالية الجديدة فهي كما سنرى في الفقرة التالية ذات ميول اشتراكية تهتمّ بالعدالة الاجتماعية التي تهدف للتوفيق بين حقوق الفرد والجماعة .

ومهما تعددت الاتجاهات تُعدّ القيمة العليا المشتركة في الفكر الليبرالي هي الحرية . غير أنّ هذه الحرية تنقلب من حين لآخر بحسب ظروف الأزمات الدولية ، تارة حرية الفرد (آدم سميث) وتارة حرية الدولة (جون كينز 1946 م) \*

ومن ناحية أخرى "تتعدد مجالات الليبرالية حسب النشاط الفردي للإنسان ، فالليبرالية مفهوم يتسم بالشمول والتعدّد ويخضع إلى ما يضاف إليه من نشاط بشري للفرد ، فهي في جوهرها تركز على إرادة الإنسان وحرية في تحقيق هذه الإرادة" (105) .

\* جون ماينارد كينز (1883 – 1946) Jon Maynard (Kegnes) عالم اقتصاد إنجليزي كان لأفكاره تأثير كبير على الاقتصاد المعاصر والنظريات السياسية ، وعلى السياسات النقدية للحكومات ودافع عن سياسات التدخل الحكومية في الاقتصاد ، حيث تتدخل الحكومات عن طريق إجراءات مالية ونقدية لتخفيف الآثار العكسية للركود الاقتصادي والكساد والوفرة الاقتصادية .. ومن مؤلفات كينز :

(1) كتاب "النظريات العامة في التشغيل والفائدة والنقود" عام 1936 م .

(2) كتاب "العواقب الاقتصادية للسلام" ، 1919 م .

(3) موسوعة الجزيرة .

<sup>105</sup> وليد بن صالح الرميزان ، الليبرالية في السعودية والخليج ، ب ط ، د ت ، ب م ، ب ت ، ص 37 .



## (2) الليبرالية الجديدة :

"الليبرالية الجديدة هي حزمة من السياسات الاقتصادية التي انتشرت على نطاق واسع في العقود الأخيرة . رغم ندرة استخدام المصطلح إلا أن تأثيراته واضحة ؛ حيث يزيد الفقراء فقراً ، ويزيد الأثرياء ثراءً" .

ولكي نُعرّف الليبرالية الجديدة علينا أن نرجع لليبرالية القديمة التي اشتهرت بالمدرسة الاقتصادية في أوروبا عندما نشر الاقتصادي الاسكتلندي آدم سميث كتاب ((ثروة الأمم)) عام 1776 م "ودافع مع آخرين عن إلغاء التدخل الحكومي في الشؤون الاقتصادية بحيث يجب رفع الحدود عن عملية التصنيع ، ورفع الحواجز و التصريفات الجمركية ورأى أن التجارة الحرة هي أفضل وسيلة للنهوض باقتصاد دولة ما .. وهذا التطبيق للنزعة الفرديّة شجع على المشروعات (الحرة) و(المنافسة الحرة) التي تعني أن أصحاب رؤوس الأموال أحراراً في اختيار الوسيلة التي يجنون منها ثروات طائلة" (106) .

وقد ساد هذا النوع من الليبرالية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر حتى ظهر الكساد العظيم في الثلاثينيات من القرن العشرين الذي حدث نتيجة وفرة الإنتاج وقلة الاستهلاك .

يعتبر الكساد الكبير أو ما يُعرف *The Great Depression* الذي حدث خلال فترة الثلاثينيات من القرن العشرين ، أسوأ كارثة اقتصادية عالمية عرفها التاريخ . فقد انطلقت من الولايات المتحدة الأمريكية وعمت دول العالم . ومن أسبابها وفرة الإنتاج للسلع الاستهلاكية بشكل كبير ، وإغراق السوق

<sup>106</sup> اليزابيث مارتيز وآنولاد حارسيا : ماهي الليبرالية الجديدة ، ترجمة : نصر عبد الرحمن ، 2014.10.21 م ، موقع قراءات .

الأمريكية والأوروبية تحت شعار آدم سميث "دعه يعمل دعه يمر" ، حيث تحولت المصانع في أوروبا إلى التصنيع الحربي ، فغرقت الأسواق بالسلع مع اختفاء السيولة النقدية بسبب ارتفاع نسبة البطالة ، وتمحورت نتائج الأزمة في التفاوت الهائل بتدفق القدرة الإنتاجية للاقتصاد المحلي ، مقابل القدرة الضعيفة على الاستهلاك فتوالى الانهيارات في أسواق المال وأزمات البنوك (107) .

من هنا وضع عالم الاقتصاد (جون ماينارد كينز) نظرية اقتصادية جديدة ناقشت الليبرالية كأفضل سياسة رأسمالية ، جاء فيها أن "التوظيف الكامل ضروري لنمو الرأسمالية ، ولن يحدث هذا النمو إلا بتدخل الحكومات والبنوك المركزية لزيادة التوظيف حيث راقبت فكرته العقول من قبل بعض الحكومات ، فأصبح تدخل الدولة للصالح العام أكثر قبولا" (108) .

غير أن الأزمة الاقتصادية في العقود الأخيرة التي اتسمت بتقلص معدلات الربح دفعت الشركات العملاقة بضرورة إعادة إحياء الليبرالية الاقتصادية ، بالصورة المذكورة أعلاه تحت اسم الليبرالية الجديدة التي انتشرت على نطاق عالمي " (109) \* .

<sup>107</sup> راجع في هذا الشأن : كريمة حسين ، الكساد حزب أمريكا ، عام 1929 م فأفلست بنوك وتجار مصر في الثلاثينيات ، صحيفة المصري اليوم العدد (1601) 2018.10.31 م .

<sup>108</sup> المرجع السابق .

<sup>109</sup> المرجع السابق .

\* من المهم توضيح الملامح الدينية لليبرالية الجديدة التي تتبلور في النقاط الرئيسية التالية :

- (1) هيمنة السوق بمعنى رفع كافة القيود التي تفرضها الحكومات على المشاريع الخاصة مهما كانت الاجتماعية والأضرار التي تنتج عنها هذه القيود ، هذا بجانب تشجيع المزيد من الانفتاح على الاستثمار العالمي ، وتخفيض الأجور ، وحل النقابات العالمية وتهميش حقوق العمال ، وعدم التدخل بضبط الأسعار ما يعني فتح المجال كاملاً لحركة رؤوس الأموال .
  - (2) تخفيض النفقات على الخدمات الاجتماعية في مجالات التعليم ، والصحة ، والضمان الاجتماعي .
  - (3) تقليص أي إجراءات حكومية قد تخفف الربح .
  - (4) الخصخصة بيع المشروعات وكل ما تمتلكه الدولة من مؤسسات خدمية إلى رجال الأعمال .
- اليزابيث مارتيز وأرنولد حارسيا : ما هي الليبرالية الجديدة .  
- لمعرفة المزيد عن العلمانية الجديدة ، راجع عبد الله الغدامي : الليبرالية الجديدة ، ط 1 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2013 .

يرى أصحاب المدرسة الإسلامية أنَّ الوسطية هي قيمة جوهرية تعني العدالة ، ومع ذلك "الإسلاميون ينطلقون من فكرة أنَّ الإسلام هو الحل ، وهو دين شامل جامع ، ومن هذا المفهوم يشيدون تصورهم للدولة على هذا الأساس ، في الوقت الذي يطرح فيه العلمانيون فكرة المواطنة القائمة على أساس شعار ((الدين لله والوطن للجميع)) ، وهو أمر يرى فيه أهل الفكر السياسي الإسلامي دعوة مضادة لتجديد الدين . ويرى الدكتور (عبد الله الخزامي) أنَّ هذه المفاهيم شهدت تحولات بعد ما سُمى ثورة الربيع العربي ، حيث يرى أن كلا المشروعين - العلماني والإسلامي - للدولة سقطا على حدٍ سواء<sup>(110)</sup> .

## علاقة الليبرالية والعلمانية *Secularism* بالدين :

### 1) اتفاق واختلاف :

من خلال الفصول السابقة يتضح لنا ما يعنيه مفهوم كلمتي الليبرالية والعلمانية فكليهما يرفض الدين كمحور أساس أو حتى كشریک في صياغة القوانين الاجتماعية والسياسية والاقتصادية . ومن هنا فالليبرالية التي تدعو لحرية الفرد في كافة الميادين لا تختلف في بعض الوجوه عن العلمانية التي يرى البعض أنَّها تنقسم إلى العلمانية الملحدة أي ذات الاتجاه المادي التي تتكر الدين بُرمته ، والعلمانية التي تكتفي بفصل الدين عن الدولة دون الضرورة لنكران الدين .

<sup>110</sup> راجع : عبد الله الغدامي : الليبرالية الجديدة ، ط 1 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2013 ، ص

وهذا يعني أنّ "العلمانيّة النّبي ترفض أي صورة من صور ارتباط الدّين بالدنيا .. والنّبي تعني اللاّ دينية أو الدّنيوية فصل الدين عن شؤون الحياة" (111) ، تطالب باستحقاقات القوانين الوضعيّة بعيداً عن أي أحكام ميتافيزيقية .

العلمانيّة ظهرت في الغرب وتحديدأ في الغرب المسيحي وهذا يختلف عن الإسلام الذّي يتغلغل بتشريعاته القرآنية والسنيّة في كافة الميادين العمليّة . والعلمانيّة تعني في النهاية "فصل الكنيسة عن الدولة ؛ والإسلام ليس فيه كنيسة لفصلها عن الدولة" (112) . ومن هنا يتضح أنّ الليبراليّة كذلك تعارض المؤسسات الدّينية التي ترى أنّها تحد من الحرّية الفرديّة إذا ما دخلت بتشريعاتها في سن القوانين الفاعلة في المجتمع .

لاشك أنّ هذه التوجهات الفكرية (المتملتة في الليبراليّة والعلمانيّة) خرجت من الفكر العقلاني الذّي يعتمد على استقلال العقل في إدراك المصالح الإنسانية دون الحاجة إلى الدّين طالما أنّ هذا الأخير لا يتجاوب مع احتياجات الإنسان العمليّة ، ومع حرّية التفكير كما هو الحال في كنيسة القرون الوسطى الأوروبية .

وحتّى يتم تجاوز كنيسة العصور الوسطى ، فإنّ بيئة الحرّية الليبراليّة والانعتاق من كابوس التّطرف الدّيني الكنيسي شجع الإيمان بهذه الأخيرة .

ويحق القول "من المؤكد أنّ هذه النماذج النظرية لم تُبنى من فراغ بقدر ما أسستت على واقع التجربة الغربيّة الحديثة التي اتسمت بتراجع الحضور الدّيني لصالح التوجهات والقيم الدّهريّة . إذ لعب الدّين دوراً محفزاً لقاطرة التحديث

<sup>111</sup> محمد الحفر حسين ، العلمانية فصل الدين عن السياسة ، ط 1 ، (ب ت ، القاهرة ، 2001) ، ص 8 .  
<sup>112</sup> جورج طرابيشي ، هرطقات عن العلمانية كإشكالية إسلامية ، ط 1 ، (ب ت ، بيروت ، دار الساقى ، 2008) ، ص 9 .

الاقتصادي والسياسي في الغرب لكنه شهد تراجعاً لصالح البنى الذنوبية  
المُعَلَّمة" (113) .

من الواضح أيضاً أن لبُّ العلمانية هو نبذ الدين وإقصاؤه من الحياة العملية  
أخلاقياً وسياسياً وجعل الفيصل في حياة المجتمع ، القوانين الوضعية وهنا  
يجب القول إنّ "الاتجاه العلماني نشأ وتبلور في ظل الثورة الفرنسية منذ 1789  
م بعد أن رفض الأوروبيون الخضوع للكنيسة الكاثوليكية ، ووساطة البابا  
صاحب الحق في الغفران ، والجزاء باللّعن نيابة عن الله . ومن هنا ترك هذا  
المجتمع الاعتماد على الله إنّ لم يكن قد خالجه الشك في وجوده . وبدأ  
الإنسان في هذا المجتمع يعتمد على نفسه في تفكيره ونظمه" (114) .

إذاً ، العلمانية كمفهوم حياتي نشأت إبان ظروف معينة ، وأخذت تتطور  
بهذا المعنى ، وتأثرت بالإنحيازات والإيديولوجيات السياسية .

وكانت نتائج الثورة الفرنسية المحقّزة للتحرر من الكنيسة "نتائج بالغة  
الأهمية ، فقد ولدت لأول مرة في تاريخ أوروبا المسيحية دولة جمهوريّة لا دينية  
، تقوم فلسفتها على الحكم باسم الشعب وليس باسم الله ، وعلى حرّية التدين  
بدلاً من الكتلّة ، وعلى الحرّية الشخصية بدلاً من التقيد بالأخلاق الدينية ،  
وعلى دستور وضعي بدلاً من قرارات الكنيسة" (115) .

<sup>113</sup> رفيق عبد السلام ، العلمانية والدين والديمقراطية ، ط 1 ، (الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ب ت) ، ص 24 .  
<sup>114</sup> السيد أحمد فرج ، الجذور التاريخية للصراع بين العلمانية والإسلامية ، ط 3 ، (دار الوفاء ، المنصورة ، 1987 م) ، ص 12 .  
<sup>115</sup> سفر بن عبد الرحمن الحوالي ، العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة ، ب ط (ب ن ، ب م  
، ب ت) ، ص 117 .

## (2) بوادر العولمة الغربية :

لقد نشأت هذه الأفكار في أوروبا وأخذت تتسلل شيئاً فشيئاً للدولة العربية الإسلامية ، سواء عن طريق الاستعمار ، أو عن طريق الحركات الإصلاحية التي قام بها المفكرون العرب حيث بدأ الصراع بين هذه الأفكار والدين هي محاولة هذه الأفكار إقصاء الدين بوجه عام والإسلام بوجه خاص ، حيث ظهر لنا ما يُعرف بالإسلام الليبرالي ، أو الليبرالية الإسلامية التي تحاول التوفيق بين الإسلام والحداثة\* . وفي مقابلة في جريدة العرب اللندنية مع الكاتب الليبرالي الأردني (عبد الله طوالبه) الذي صدر له كتاب أثار جدلاً تحت عنوان ((العرب والديمقراطية .. أين الخلل؟)) . يعتقد طوالبه بأن تنظيمات الإسلام السياسي لم ترق بنفسها إلى مستوى العصر وكان الرقي للعصر من أهم شروطه فصل الدين عن الدولة .

إنّ دعاة الإسلام الليبرالي يرفضون تعاليم ديننا الحنيف ويستبدلوننا بتعاليم لا تمت للدين الإسلامي بصلة بل بما يتمشى مع منطق العولمة الغربية التي تصدر الموروث الثقافي والأخلاقي الإسلامي كما جاءت في آراء فوكوياما\*

---

\* ويضيف عبد الله طوالبه بأن "تنظيمات الإسلام السياسي لا تزال بمختلف تنوعاتها تفتقر إلى خطاب يواكب تحولات العصر ويُلبي طموحات الإنسان العربي ، فضلاً عن أن فهم هذه التنظيمات للدولة لا يزال ضبابياً ولا يحتكم إلى منطق العصر ، بل هو بعيد عنه ، هذه التنظيمات ، أصلاً ، لا تؤمن بالدولة القائمة ، ولا يوجد لديها البديل ، بل هي تتغنى بما يعرف بـ "دولة الخلافة" التي أصدر التاريخ حكمه بحلها وفضي الأمر .  
جريدة العرب اللندنية ، سلام شماع : العرب والديمقراطية "إشكالية العقل والنقل ، 2017.04.03 م ، العدد (10591) ، ص 6 .

\* فرانسيس فوكوياما Francis Fukuyama yoshihiro عالم وفيلسوف واقتصادي سياسي ولد عام 1952 م ، صدر له كتاب "نهاية التاريخ" و"الإنسان الأخير" الذي يرى في محمله أن ما وصل إليه الغرب حالياً في مجال الحياة السياسية والاجتماعية والدينية هو قائمة التطور الإنساني داعي أمم العالم إلى تتبنى هذا النموذج .  
"يقول فوكوياما : وكأنه يريد أن يقول : أن المحور الرئيسي للتاريخ هو نمو الحرية .. فليس التاريخ سلسلة عمياء من الأحداث .. وإن كنا اليوم قد بلغنا مرحلة لا نستطيع معها أن نتخيل عالماً شديداً الاختلاف عن عالمنا .. أو طريقة ظاهرة وواضحة يصبح المستقبل بها أفضل بكثير مما نحن فيه .. فعلياً أيضاً أن نأخذ بعين الاعتبار احتمال أن يكون التاريخ قد بلغ نهايته .

في كتابه (نهاية التاريخ) . كما أنهم ينادون بالعلمانية كمذهب سياسي حاكم لإدارة البلاد وغيرها من الأفكار الليبرالية والعلمانية فهو ليس توفيقاً بل هو محاولة للقضاء على الدين الإسلامي أو استبعاده على الأقل عن ساحة التشريعات تحت شعار ضرورة مراجعة الموروث الثقافي والديني والسياسي كشرط للنهضة ، وهذا باختصار يعني تفريغ الفكر العربي المسلم من هويته .

ربما كانت هذه إجابة على السؤال "هل يتفق الإسلام مع النزعة الإنسانية العلمانية ، أو هل أن الإسلام والحداثة في انسجام" (116) .

إن من ينادون بالإصلاح الفقهي أو تجديد الدين هم من يكون لديهم إجابة واضحة ومؤيدة لهذه الحداثة . أو بمعنى آخر "إن كل من يستمد فلسفته حالياً من حركة الإصلاح العظمى هذه ويعتبر نفسه سبيلاً ووريثاً لإنجازاتها الفكرية والاجتماعية والدينية لن يجد أي صعوبة أبداً في الإجابة على أسئلة من هذا القبيل" (117) .

فالليبرالية مذهب رأسمالي ينادي بالحرية المطلقة في النظام السياسي والاقتصادي وهذا يتضمن اسقاط حاكمية الله في السياسة وكذلك اسقاط ركن من أركان الإسلام وهو الزكاة وإستباحة الربا ، والتنازل عن تشريعات الأحوال الشخصية من زواج وطلاق وكل ما يتعلق في الإسلام بالحياة العملية ؛ وفي

---

فرنسيس فوكو ياما : نهاية التاريخ والإنسان الأخير ، ترجمة : د. فؤاد شاهين ود. جميل قاسم رضا الشايبى ، ط 1 ، مركز الإنماء القومي ، بيروت ، 1993 م ، ص 77 .  
<sup>116</sup> صادق جلال العظم ، ترجمة : فالح عبد الجبار ، الإسلام والنزعة الإنسانية العلمانية ، ب ط ، (دار المدى للثقافة والنشر ، دمشق ، 2007 م) ، ص 10 .  
<sup>117</sup> المرجع السابق ، ص 10 .

النهاية رفض "الأحكام الواردة في القرآن الكريم تؤكد أنّ الإسلام دين ودولة"<sup>(118)</sup> على عكس المقولة العلمانيّة التي تؤكد على فصل الدين عن الدولة .

إنّ فصل الدين عن الدولة هو أكثر التعريفات شيوعاً للعلمانيّة في العالم ، سواء في الغرب أو الشرق والعبارة تعني حرفياً فصل المؤسسات الدينيّة (الكنيسة) عن المؤسسات السياسيّة (الدولة) وهي تحصر عمليات العلمنة في المجال السياسي وربما الاقتصادي أيضاً . ((وفي بعض المجالات في رقعة الحياة العامّة ، وتستبعد شتى النشاطات الإنسانيّة الأخرى أو تلزم الصمت بخصوصها ، أي أنّها تشير إلى العلمانيّة الجزئية وحسب)).

ولكن ما هي العلمانيّة الجزئية .. ؟

### 3) العلمانيّة الجزئية :

يقول عبد الوهاب المسيري : أنّ " الواقع الإنساني يتكون من بنيتين أو مستويين : البنية الظاهرة والبنية الكامنة ، وعادة ما تكون البنية الظاهرة تدياً للكامنة . وأفضل أن أراها باعتبارهما دائرتين متداخلتين : الأولى صغيرة (ونشير إليها بالجزئية) ، والأخرى كبيرة (ونشير إليها بالكلية أو الشاملة) وهي تحيط بالأولى وتشملها"<sup>(119)</sup>

هذا يعني أنّه لا يمكن فهم الأولى التي هي عبارة عن إجراءات وأفعال إلّا بالرجوع إلى الدائرة الأشمل والأعم التي تشمل الأمور النهائيّة والمنظومات المعرفيّة والأخلاقيّة الكلية ...<sup>(120)</sup> .

<sup>118</sup> محمد محسن ، مصر بين الدولة الإسلاميّة والدولة العلمانيّة ، ط 1 ، (مركز الإعلام العربي ، القاهرة ، 1992م) ، ص 30 .

<sup>119</sup> المرجع السابق ، ص 16 .

<sup>120</sup> المرجع نفسه ، ص 17 .



وهناك من أخذ التعريف بشكل كلي مطابق للحقيقة العلمانية بأنها إقامة الحياة على غير الدين أو العلمانية اللادينية سواء العلمانية المُلحِدة لدى اتباع المذهب المادي التي تنكر وجود الله ولا تعترف بالدين ، أو العلمانية غير الملحِدة وهي التي تؤمن بوجود الله إيماناً نظرياً وتنادي بعزل الدين عن الدنيا والحياة وهذا ما يعرف بالعلمانية الشاملة التي سبق وأن أشرتُ إليها .

#### (4) الحداثة الإسلامية في مواجهة العلمنة :

رغم كل ما ذكرناه عن تظاهر حركة الإخوان المسلمين الخروج من الفكر الأصولي إلا أنها ظلت منظمة عسكرية يؤمن بكفاية الإسلام من خلال القرآن والسنة جاهدة لإحياء مبدأ الجهاد ، كما أنها على غرار (محمد عبده 1905 م) لم تؤمن بضرورة إعادة النظر في مبادئ الإسلام ، ومن خلال تطورها وفقاً لتطورات العصر .

في الحقيقة أن حتى الأصولية الإسلامية ساهمت بصورة مباشرة وغير مباشرة في الجدل الفكري الذي كان يدور في الغرب والشرق ولعدد من السنين لا يستهان بها ، وعلى هذا فهي أي الأصولية تشكل نقداً للفلسفة والأيدولوجية السياسية ، إذا أنها من الناحية الفلسفية " ترفض الأصولية الادعاء الإنساني القائل بكونه مصدراً للحقيقة أو الادعاء بأنه لا توجد حقيقة مطلقة . ولكن الأكثر أهمية من هذا ، أن الأصولية تقدم طريق حياة وفكر تدور حول تشريع الله والطبيعة الإنسانية " (121) .

<sup>121</sup> الموسوعة الفلسفية الحديثة ، ط 1 ، المجلد الثاني ، معهد الإنماء العربي ، بيروت ، 1988 ، ص 150 .

ومن الناحية السياسية فالأصولية بما فيها حركة الإخوان المسلمين بالطبع ترفض فكرة ملكية السلطة للشعب ، وأنها تدفع بالعودة إلى أصول الدين أي القرآن والسنة ، لكن الرفض الذي يقابلها يكمن في عدم الاتفاق على مرجعية تفسير أو تأويل النصوص المقدسة ، وعلى ضرورة العودة إلى برنامج الخلافة الناسف لأي مفهوم معاصر في مجال الديمقراطية .

يُطلق على اتجاه الحداثة المعاصرة التي قادها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ((السلفية الجديدة)) ، التي يرى فيها النقاد أنها سلفية ناعمة في مقابل السلفية الجهادية ، المتمثلة في جماعات الإسلام السياسي المتشددة .

برز تيار الحداثة - كما أسلفنا القول - متأثراً بروح العصر ، وتطورات الحضارة الغربية الحديثة في مجال التقنية ، وتطور الحياة السياسية ، والاقتصادية ، ورأى هذا التيار ضرورة الاستفادة من التطور العلمي المعاصر دون التضحية بالقيم والأخلاق الإسلامية الحاضرة لكرامة الإنسان ويقر المحدثون في هذا المجال بوجود القوانين الطبيعية حقيقة مع إمكانية البرهنة عليها بالعقل .

ويرى (جمال الدين الأفغاني) في هذا الصدد ، أن العقل يمكنه التوصل إلى القوانين الطبيعية ويُصر على " وجود قوة باعثة في الإنسان تدفعه إلى الارتفاع فوق مستوى الوحشية أو الغريزة من أجل تحسين حياته .. وهذا لا يحدث عن طريق الفطرة ، ولكن أساساً عن طريق البحث المعرفي وعن طريق

التوصل إلى تلك الفنون والمهارات التي حصلت عليها الحضارات الأخرى»<sup>(122)</sup>.

هذا وبمنأى عن التطرف في السياسة حاول المحدثون (المصلحون) أمثال (جمال الدين الأفغاني) و(محمد عبده) أن يسعوا لتحقيق هدفين أولهما إظهار الأسس التقدمية للإسلام لغرض البرهنة على أن قيم الحرية والعدالة وازدهار الإنسانية تكمن في جوهر الإسلام وهكذا كرس جمال الدين الأفغاني جهده على إعادة بعث تعاليم السلف الصالح وديمومته وتجديده متجاوزاً ورفاقه النظرة التقليدية لمفهوم الدين الإسلامي ، وضرورة كسر الواقع . من هنا يُعد جمال الدين الأفغاني رائد حركة الإصلاح في العصر الإسلامي الحديث .

### تعقيب :

يبدو أن هناك خلط عند دعاة العلمانيّة من العرب بين مفهوم الدّين المسيحي والدّين الإسلامي ، الأمر الذي دفع بالبعض إلى الدعوة بالعلمانيّة على حساب العقيدة الإسلاميّة على غرار ما حدث في دول الغرب المسيحي . فمن الأسباب التي دعت المسيحيين إلى إسقاط الكنيسة هو أن تشريعاتها في جُلّها غير واردة في الكتاب المقدس الذي يروي في أنجيله الأربعة قصة حياة المسيح ومواعظه ، دون أن تُرد فيه نصوص تشريعية ، خاصة بالفصل في قضايا الحياة العمليّة الخاصة بالمؤمنين بها .

---

<sup>122</sup> المرجع السابق ، ص 733 .

هذا الأمر دفع من ناحية رجال الدين المسيحي إلى إقرار تشريعات إجتهادية لمعالجة القضايا الجزئية والكلية للفرد والمجتمع والتي لا تتناسب مع حرية الفرد وتطور المجتمع ، ممّا أدى إلى الثورة ضد الكنيسة لفصل الدين عن الدولة وهو في مضمونه إستبعاد لاجتهادات وتدخلات رجال الدين المسيحي في حرية الفعل الإنساني كما لاحظنا القمع والتكيل بأهل العلم لمخالفتهم النهج العلمي الذي تتبناه الكنيسة ، ولعلّ أوضح ما يستدل به لجان التفتيش والتكيل بالعلماء ما حدث على سبيل المثال "جاليليو" في قضية مركزية الكون . وفي اعتقادنا أنّ العلمانية ظاهرة غريبة خاصة بالغرب ولها أسبابها الغربية المبررة التي في مقدمتها التطرف الديني الذي لا يعتمد على غير حب التسلط مخالفة لسماحة الدين الإسلامي التي تحدث الكثير من آياته على التسامح واحترام العلم والعلماء .

ومن خلال الدراسات الاجتماعية والأخلاقية للمجتمع العربي والإسلامي يتضح أنّ أساسيات أخلاق المسلم تتبع من المصدرين الأساسيين للدين الإسلامي القرآن والسنة ، ومن ثمّ فإنّ فصل سلوك الفرد عن الدين الإسلامي فصلاً ممنهجاً ، وتحرره من سلطانه يقضي به إلى إنحلال الأخلاق الموروثة وإنحطاطها ، عاجلاً أم آجلاً ، واللجوء إلى أخلاق مادية مثلما حدث في الحضارة الغربية المعاصرة . نتيجة لإبعاد الدين وإلى العبثية فنتامت في مجتمعاتها مشكلات اجتاحت الأغلبية من الناس كانهيار الأسرة وما تبعها من زوال قيم اجتماعية إنسانية وأخلاقية تشكو منها المجتمعات الغربية المعاصرة .

والمجتمع العربي الإسلامي لا مفر له من الوقوع في المحذور في حالة فصل الدين عن الدولة والجنوح إلى العلمانية .

إنّ توازن المجتمع العربي الإسلامي يكمن في الإسلام الوسطى الذي يجمع الجميع تحت لواء التنظيمات العملية للأحوال الشخصية دستورياً من ناحية ، وفتح المجال لحرية الفرد فيما يخص العلاقة بين الفرد وربه نظرياً وعملياً ، وعلى أن تكون حدود حريته حرية الآخرين والمجتمع . فليس من الحكمة إجبار الناس على السير في الطريق المؤدي إلى الجنة بالرغم من وضوح الدّين الإسلامي في هذا المجال .

وتتميز الإنسان بملكة العقل التي وهبها الله تعالى له ، وهذا ما ورد في قوله تعالى: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) (سورة البقرة / الآية 256) .

ومع ذلك فالإصرار على نهج التّطرف والتشدد والتكفير وما إلى ذلك من فتاوي دينية متشددة في مجال تطبيق الشريعة من خلال التهديد والوعيد قد تدفع الكثيرين إلى الجنوح إلى العلمانية ؛ ففكرة العلمانية لم تبدو في أفق الحضارة العربية الإسلامية في أزهى عصورها ، تلك الحضارة التي صنعت الكثير من أسس الحضارة المعاصرة .

# الفصل الرابع

(مقارنة بين كل من الخطابين تجاه قضايا معينة)

- حقوق المرأة .
- الديمقراطية .
- الدولة .
- العدالة الاجتماعية .

استخدم الدِّين الإسلامي - من خلال القرآن الكريم - المنهج التربوي التدريجي في معالجة الكثير من القضايا التي تحكمت في عقول البشر لعصور طويلة حتى كاد يصعب التخلص منها مرة واحدة ، واستخدام القرآن لهذا المنهج أشبه بالدواء الذي لا يحقق المعجزات إلا بجرعات متوالية .

وطبق القرآن هذا المنهج في حالات كثيرة طالما أنها لم تتعلق بقضية حياة أو موت عاجلة كما هو الحال في عادة وأد البنات التي كانت مطبقة في الجاهلية عند بعض القبائل .

وقد عجل القرآن الكريم في وقف هذه العادة الإنسانية المقيتة بدون تدرج فقد كان عرب الجاهلية في بعض القبائل يدفنون المولودة الأنثى حيّة حسب اعتقادهم أنها عار على القبيلة ، قال القرآن عنهم في سورة النحل (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ \* وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ \* يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) (سورة النحل / الآيات 57 - 59) .

ولم ير القرآن الكريم من معالجة تدريجية لهذه القضية الخطيرة في حق الإنسانية سوى المبادرة بمنعها نهائياً بدون تدرج واعتبرها كفر لا يتناسب مع الإنسان المسلم ، ولذا قال تعالى في هذا الشأن في سورة التكوير (وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ \* بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ) (سورة التكوير / الآيتان 8 - 9) \* .  
على اعتبار أنها جريمة يُحاسب عليها المسلم يوم القيامة .

---

\* تباينت الروايات في تحديد تاريخ ظهور هذه العادة السيئة بين العرب ، وأول من غرسها في ثقافتهم ، ومن الروايات ما نقول أنها ظهرت أولاً عند قبيلة تميم على يد زعيمهم قيس بن عاصم المنقري ، ثم انتشرت في بعض القبائل العربية الأخرى .

لم يكن حال المرأة جيداً على مر العصور في الأمم المختلفة قبل الإسلام وبعده من سبائا وعبيد ، فقضى الإسلام بضرية واحدة وأدها وحررها بدخول الإسلام من الرق والعبودية .

ومن الناحية الاجتماعية نعلم أن الإسلام رفع من شأن المرأة وجعلها شريكة الرجل في كثير من الحقوق والواجبات وأعتبرها أختاً للرجل وشريكة له في حياته هي منه وهو منها ..... " (123) .

وقد جاء في كتاب الله عز وجل قوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ) (سورة النساء / الآية 1) . وقوله تعالى : (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ...) (سورة الأعراف / الآية 189) .

مما لا شك فيه أن الإسلام لم يُفرق بين الرجل والمرأة في الحقوق تفريقاً ظالماً بل لأسباب يقبلها العقل والمنطق فقد " أفرَّ (حسن البناء) بالتفريق بين المرأة والرجل في الحقوق ، جاء ذلك تبعاً للفوارق الطبيعية التي لا مناص منها بين الرجل والمرأة وتبعاً لاختلاف المهمة التي يقوم بها كل منهما

---

ويروي لنا هاني أبو الرب أن أسباب انتشار هذه العادة التي حرّمها القرآن فيما بعد ، أن قبيلة تميم رفضت دفع الإتاوة المقررة عليها للنعمان بن المنذر ملك الحيرة ، فأرسل إليهم النعمان جيشاً معظمهم "من بني بكر بن وائل" ، واستاق النعم (الإبل) وسبى الذراري (البنات) ، فوفدت القبيلة على النعمان ، وكلموه في رد ذراريهم ، حكم النعمان بأن يجعل الخيار في ذلك للنساء ، أي امرأة اختارت أباهما ردت إليه ، وإن اختارت صاحبها (سائبها) تركت عليه ، كانت بينهم ابنة القيس بن عاصم ، اختارت سائبها ، ورفضت العودة لأبيها ، فنذر قيس أن لا تولد له ابنة إلا وقتلها ، فانتشرت هذه السنة في تميم ، والعرب قاطبة من بعده" .

راجع التفاصيل في دراسة هاني أبو الرب : "الوأة عند العرب قبل الإسلام وموقف الإسلام منه" (مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية ، الجامعة الأردنية ، عمان ، الأردن ، عام 2009 م .  
123 محمد الباز ، مدافع الإخوان ، ب ط ، (كنوز للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ب ت) ، ص 160 .



وصيانة للحقوق الممنوحة لكليهما ، وقد يكون الإسلام فرّق بين الرجل والمرأة في كثير من الظروف والأحوال ولمّ يساوي بينهما تسوية كاملة<sup>(124)</sup>.

وهذا الأمر على ما يبدو ليس ظلماً للمرأة بقدر ما هو احترام لطبيعتها الأنثوية ولغريزة التناسل ، وحتى تظل مدرسة الطفولة في الحنية واحتضان أطفالها بالودّ والمحبة والحنان الذي هو حاجة ماسة للطفل .

ومن هنا جاءت الحاجة لمراعاة الفوارق الطبيعية بين الرجل والمرأة لتكون ظاهرة كأنها مخرجات لعدم المساواة بينهما في الإنسانية .

وقد جعل الإسلام للمرأة دور هام وواضح في المجتمع ، فقد كرمها ورفع من شأنها ، لأنه الدين الوحيد الذي أعطى للمرأة حقّها وكتب لها حقّ الميراث والنفقة وحقوق كثيرة .

### حق الميراث :

ولما كان الليبراليون والعلمانيون عرب وغير عرب ينتقدون الإسلام فيما يتعلق حسب زعمهم بعدم المساواة في الإرث بين الرجل والمرأة رأيتُ من واجبي إبراز شيء من عدالة الإسلام في هذا الشأن .

لقد شاعت في عصرنا هذا انتقادات الدّين الإسلامي في مجال العدالة الاقتصادية فيما يُعرف بحق المرأة المعاصرة في المساواة بين الرجل والمرأة في تقاسم الإرث بالتساوي ، رافضين ما جاء في قوله تعالى : (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ ...) (سورة النساء / الآية 11) .

<sup>124</sup> المرجع السابق ، ص 160 .

وقد أصبحت هذه الدعوة قضية للمزايدين الجاهلين بمفهوم منظومة تشريعات الإرث في الإسلام كما وردت في معظمها في سورة النساء ابتداءً من الآية 7 ، وأبعادها في مجال المساواة بين الرجل والمرأة ، وهم في ذلك يتبارون استجابة لموضة العولمة ودعوة العلمانية التي تطلب بها المجتمعات الغربية وتماهياً مع ما هو مُطبق في الحضارة الغربية المعاصرة ، التي ترفع شعار مدينة الدولة . وقد انخرطت بعض الدول الغربية في هذا الاتجاه تحت شعار حرية المرأة ومساواتها بالرجل بشكل رسمي من خلال دساتيرها وإقرار قوانين رسمية بها (125) .

وبسبب اللبس في تفسير الإسلام في قضية الإرث وحقوق كل من الرجل والمرأة رأيت طرح بعض الإيضاحات في عدالة الإسلام في هذا الشأن ، وهو أمر لا يختلف على ما قرأت عن رأي الإخوان المسلمين .

وإذا أردنا تعريف الميراث لغةً فهو من " ورث بكسر الراء يقال ورث أباه يرثه ووراثته وميراثاً بكسر الكل بمعنى البقاء ومنه اسم الله تعالى : الوارث ، أي الباقي بعد فناء الخلق " (126) .

ويُسمى الميراث أيضاً بعلم الفرائض على اعتبار أن سهامه مقطوع بها كما جاء في كتاب الله عز وجل في قصة الموارث ( ... فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ ... ) (سورة النساء / الآية 11) ، والفريضة هي النصيب المقرر شرعاً للوارث على

<sup>125</sup> راجع في هذا الشأن : الأزهر ينتقد دعوة السبسي إلى المساواة بين الجنسين في الإرث " انتقد وكيل الأزهر عباس سومان دعوة الرئيس التونسي إلى المساواة بين النساء والرجال في الميراث " معتبراً أنها تتصادم مع أحكام شريعة الإسلام .. وقال أن " دعوات التسوية بين الرجل والمرأة في الميراث تظلم المرأة ولا تنصفها .. مطبقاً أن الموارث مقسمة بآيات قطعية الدلالة لا تحمل الاجتهاد ولا تتغير بتغير الأحوال والزمان والمكان وهي من الموضوعات القليلة التي وردت في كتاب الله مفصلة لا فجملة .... في سورة النساء " صحيفة الحياة الدولية 15 / 80 / 2017 .

<sup>126</sup> محمد حسن أبو ملحم ، المرأة بين الشريعة وجاهلية العصر ، ط 1 ، دار أمواج للطباعة والنشر والتوزيع ، 2011 ، ص 158 .

اعتبار أن المرأة في الجاهلية كانت مُغيبية تماماً عن حق الميراث وأن مجتمعات كثيرة في ذلك العصر لم تراعى حقوق المرأة في هذا الشأن . " وقد أعطى الإسلام الأنثى نصيباً من الميراث حفاظاً على كرامتها وتحسباً للظروف والأحوال التي قد تمرّ بها كأن تبقى أرملة دون إرث من زوجها ، فقد ذلك يكون لها ما تنفق به على نفسها ممّا ورثته من أبيها أو غيره (127) .

وقد اقتضت قاعدة العدل في الإسلام بناءً على توزيع الأعباء والحقوق والواجبات ، وبما أن الرجل مُكلف إسلامياً بالإنفاق على الأولاد بعد دفع المهر ، والإنفاق لذلك على الأنثى أيضاً كانت زوجة أو أختاً أو بنتاً أو عمّة ، مع عدم تكليف المرأة بشيء من ذلك كان من المنطق أن يكون تقاسم الميراث في حالة من حالاته وفقاً لقوله تعالى :  
(لِلذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ) (سورة النساء / الآية 11) .

هذا وقد فضلت عدالة الإسلام في توزيع الميراث بما يتماشى مع العدالة الإنسانية بحيث جعل في النهاية المرأة في هذا المجال هي الرابحة مادياً ، على اعتبار أن نصيب المرأة في الميراث يختلف في أحكامه لحالات متباينة . " فقد جعلت الشريعة الإسلامية نصيب المرأة كنصيب الرجل في الميراث أحياناً ومع ذلك نجد الأخوات الأم والأخوة لأم تتساوى أنصبتهم الأثرية حيث يأخذ الواحد منهم السدس ويشترك الاثنان فأكثر في الثلث لا فرق بين الذكر والأنثى ، وهذا يدفع الزعم القائل بأن المرأة على النصف من الرجل في الميراث " (128) .

وقد جاءت عدالة الإسلام في قضية الميراث في سورة النساء التي جعلت من الرجل والمرأة تؤمان من نفس واحدة لا تقوم البشرية بأحدهما دون الآخر

<sup>127</sup> المرجع السابق ، ص 165 .

<sup>128</sup> المرجع السابق ، ص 162 . راجع التفاصيل أكثر في هذا الموضوع المرجع نفسه ، الفصل الرابع .

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا  
وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ  
كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ) (سورة النساء / الآية 1) .

إنَّ عدالة الإسلام في قضية الميراث ترفض أن تحمل الأنثى عبء الرجل  
في الحياة فكان مراعيًا لطبيعتها الأنثوية وكرامتها الحضارية والذي لا نجده في  
حضارة الغرب المعاصرة . وقد شهد شاهد من أهلها عن هذا الإنصاف وهو  
العالم الجليل (غوستاف لوبون 1931م) \* عالم الاجتماع عندما قال : " منح  
القرآن المرأة حقوقها الإرثية أحسن مما في قوانيننا الأوروبية . وإنَّ قوانين  
الميراث التي نصَّ عليها القرآن على جانب كبير من العدل والإنصاف ، وإنَّ  
الشريعة الإسلامية منحت الزوجين حقوقاً في الموارث لا نجد مثلها في  
قوانيننا" (129) .

وفي النهاية فمن يزعم من الليبراليين عدم المساواة بين الرجل والمرأة في  
الميراث ، وأن الإسلام جعل المرأة نصف الرجل في هذا الشأن ، مما يعني  
التعدي على حقوقها مستدلين على ذلك بقوله تعالى : (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي  
أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ مِثْلِ الْأُنثِيَيْنِ ...) (سورة النساء / الآية 11) ، وزاعمين في  
ذلك إنقاص من حق المرأة . فقد زاغوا عن الفهم الصحيح لهذه الآية ، فالقرآن  
يقطع بإنصافه وعدله بين الذكر والأنثى ، لأن ما ورد في الآية السالفة الذكر  
ليس بالمبدأ المطلق في كل ذكر وأنثى .

\* غوستاف لوبون Gutane Lebon طبيب وعالم اجتماع فرنسي ولد في باريس عام 1841 م وتوفي عام 1931 ، من  
مؤلفاته الحضارة العربية عام 1884 ، وحضارات العالم عام 1887 م ، Lepentrobets  
129 غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ترجمة : عادل زعيتر ، ب ط ، مؤسسة هنداوي ، ص 174 ، عن محمد حسن  
أبو ملحم ، المرأة بين الشريعة وجاهلية العصر ، مصدر سبق ذكره ، ص 164 .

والحقيقة أن التوارث في أنظمة الوارثين في الإسلام يعود إلى أسباب معينة ، كدرجة القرابة بين الوارث والموروث ، وموقع الجيل الوارث ، وكذلك العبء المالي الواقع على الموروث ، ولا يرجع في النهاية إلى اختلاف النوع من الذكورة أو الأنوثة (130) . وفي حالات عدة ترث المرأة النصف وأحياناً أكثر من الرجل ، ما يعني أن المساواة فيها ظلم للرجل وليس للمرأة .

ولعل ما يبطل رأي الليبراليين في ظلم المرأة أن الإسلام تجاوز قيم الجاهلية والأديان السابقة في هذا الشأن ، فالنظام الجاهلي السابق للدين الإسلامي يحرم الأنثى من الميراث ، فجاء الإسلام ليبطل ذلك في قوله : (لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَمِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا) (سورة النساء / الآية 7) \* .

ولابد من الإشارة أيضاً إلى أن الإسلام تجاوز الأديان السابقة في عدله بشأن ميراث المرأة ، وفي مقدمتها اليهودية ، فالميراث في الكتاب المقدس العهد القديم مخصص للذكور فقط ، وهذا ما نراه على سبيل المثال في سفر التثنية : " إذا كان للرجل امرأتان ، إحداهما محبوبة والأخرى غير ذلك فولدتا له بنين ، المحبوبة والغير محبوبة . فإن كان الابن البكر لغير المحبوبة فيقسم لبنيه كان له ، حيث لا يحل له أن يقدم ابن المحبوبة بكراً على ابن الأخرى البكر ، بل يعرف ابن الغير محبوبة بكراً ليعطيه نصيب من كل ما يوجد عنده لأنه هو

<sup>130</sup> سالم البهنساوي : المرأة بين الإسلام والقوانين العالمية ، ط 1 ، دار الوفاء ، القاهرة ، 2003 م ، ص 185 .  
\* وللتوضيح فإن أسباب نزول هذه الآية (7) من سورة النساء ، كما قال المفسرون " إن أوس بن ثابت الأنصاري توفي وترك امرأة يُقال لها أم حجة وثلاث بنات له منها ، فقام رجلان : هما أبناء عم الميت ووصياه ، يقال لهما سويد وعرفجة ، فأخذ فأخذوا ماله ولم يعطيا امرأته ولا بناته شيئاً ، وكانوا في الجاهلية لا يرثون النساء ولا الصغير وإن كان ذكراً ، إنما يرثون الرجال الكبار .. فجاءت أم حجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت يا رسول الله إن أوس بن ثابت مات وترك لي بنات وأنا امرأته ، وليس عندي ما انفق عليهن ... " فأنزل الله تعالى هذه الآية .  
(أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي : علوم القرآن أسباب النزول - ب ط ، دار الكتب العلمية ، 2000 م ، ج2 ، ص 295) .

الأول قدرته له حق البكورية " (سفر التثنية " 21 " 15 - 15) ، وهذا يعني أن البنات يُحرمن من الميراث إذا كان للميت ابن .

أما في المسيحية التي ليست بها تشريعات في أنجيلها (العهد الجديد) فقد سارت على النصوص التوراتية (العهد القديم) لأن شريعة موسى عليه السلام ملزمة لهم اطلاقاً مما جاء في إنجيل (متى) على لسان المسيح : " لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لأنقض ، بل لأكمل ... " (131)

### موقع المرأة في تراث الإخوان :

أما بخصوص موقع المرأة في فكر الإخوان المسلمين " كتب أحد الكتاب إلى (حسن البنا) يسأله عن المرأة وموقعها في فكر جماعة الإخوان المسلمين .. على الفور كتب (حسن البنا) رأيه كاملاً وقد جمع هذا الرأي بعد ذلك ضمن مجموعة رسائله التي أصدرتها الجماعة بعنوان : مجموعة رسائل الإمام الشهيد (حسن البنا) .. من البداية تُظهر موقعية المرأة عنده فهي النصف الذي يؤثر في حياة المجتمع أبلغ التأثير لأنها المدرسة الأولى التي تُكوّن الأجيال وتصوغ الناشئة وعلى الصورة التي يتلقاها الطفل من أمه يتوقف مصير الشعب واتجاه الأمة ، وهي بعد ذلك المؤثر الأوّل في حياة الشباب والرجال على السواء " (132) .

للمرأة حقوق وعليها واجبات ، فالكلام عن المرأة في المجتمع في نظر

الإسلام كما يراه (البنا) كالاتي :

<sup>131</sup> (متى " 5 " : 17 - 20) نقلاً عن : علاء أبو بكر : إنسانية المرأة بين الإسلام والأديان الأخرى ، ط 1 ، مركز التنوير الإسلامي ، القاهرة ، ب ت ، ص 453 . للمزيد راجع ، صلاح سلطان : المتقارن بين حقوق المرأة في الميراث والنفقة في الشريعة الإسلامية ، مجلة كلية دار العلوم ، العدد 19 ، ص 157 - 165 .  
<sup>132</sup> محمد الباز ، مدافع الإخوان ، مرجع سبق ذكره ، ص 159 .

" أولاً وجوب تهذيب المرأة . حيث يرى الإسلام بوجوب تهذيب خلق المرأة وترتيبها على الفصائل والكمالات النفسية منذ النشأة ويحثُّ الآباء وأولياء أمور الفتيات على هذا ، ويعدّهم عليه الثواب الجزيل من الله ويتوعدّهم بالعقوبة إن قصرُوا " (133) \* .

هذا ما يتفق فيه الإخوان المسلمين مع الإسلام . وكذلك حق التعليم إلا أن "الإخوان يرون أن تتعلم المرأة القراءة والكتابة والحساب والدين والتاريخ - تاريخ السلف الصالح كما يقولون وتدبير المنزل والشؤون الصحيّة ومبادئ التربيّة وسياسة الأطفال وكل ما تحتاج إليه الأمُّ في تنظيم بيتها ورعاية أطفالها ، أما غير ذلك من العلوم لا حاجة للمرأة بها وليس لها حاجة في التبحر في اللغات المختلفة .... " (134) .

من هنا حدّدت جماعة الإخوان المسلمين العلوم التي يجب أن تدرسها المرأة وهذا مخالف لما جاء في الإسلام كما رأَت الجماعة أنه لا حق للمرأة في التبحر في دراسة الحقوق والقوانين وهذا مغاير لما جاء في الإسلام الذي لم ينقص من قيمة المرأة ولم يُحرّم عليها الخوض في مجال دون آخر ، والدليل على ذلك عدم وجود آيات قرآنية دالة على هذا الحرمان ، وأنّ الأصل في الإباحة فيما لا يرد فيه نصّ في القرآن والسنة يُحرّمه ، أو ما لا يتعارض مع مقصد من مقاصد الشريعة وعلى هذا فالإسلام أعطى للمرأة الحقّ نفسه الذي

<sup>133</sup> المرجع السابق ، ص 161 .

\* راجع في شأن المرأة : حسين سليمان فريد عبد الفتاح : إشكالية العلاقة بين التيارات السلفية وجماعة الإخوان المسلمين ، مرجع سبق ذكره ، ص 106 وما بعدها .

<sup>134</sup> المرجع السابق ، ص 162 .

أعطاه للرجل في التعليم فلها حقّ التعليم والتثقيف ، وتحصيل العلوم والفنون والآداب بمختلف شعبها وفروعها .

" مع أنّ للمرأة الحقّ إسلامياً في أن تتولى مهام عضوية وتتولى المناصب القيادية والفضائية " . (135) .

ولكن هذا يناقض ما فعله (حسن البنا) عندما أسس قسم الأخوات المسلمات - كما أشرنا لذلك في الفصل الأول - " وكانت أول رئيس لهذا القسم هي (لبيبة أحمد) ، وأنشأ أيضاً معهد المؤمنين في الإسماعيلية ، كما أنّ الجماعة رشحت أكثر من مرّة نساء على قوائمها الإنتخابية مثل د. (منال أبو الحسن ود. مكارم الديري وجيهان الحفاوي) في مصر ، أم نضال ومريم صالح في فلسطين ود. (حياة المسيمي) في الأردن . غير أن الجماعة في مصر تتمسك بعدم أهلية المرأة لرئاسة الدولة ولكن لها ما دون ذلك من المناصب بما فيها رئاسة الوزراء " (136) ، وهذا يعني أن هناك تطوراً نسبياً في موقف الإخوان من حرية المرأة .

### تعقيب :

وانطلاقاً من مبدأ المساواة في الدّين الإسلامي بين الرجال والنساء في حق التعليم الشامل دون تحريم أو إباحة لعلم معين لأحدهما دون الآخر ، جاء في القرآن الكريم قوله تعالى : (... قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَظُنُّونَ وَالَّذِينَ لَا

<sup>135</sup> المرجع نفسه ، ص 166 .

<sup>136</sup> ريتشارد ميشيل - جيمس جانكوسكي ، ترجمة : هند رشدي ، الإخوان والشيطان ، ب ط (دار الحياة للنشر والتوزيع ، ب م ، ب ت) ص 15 ، 16 .



يَعْلَمُونَ ... (سورة الزمر / الآية 9) . وقوله تعالى : (...إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ...) (سورة فاطر / الآية 28) .

ومن الملاحظ أن المخاطب في الآيتين السابقتين يشمل الرجل والمرأة على حد سواء . وخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم جمهور المسلمين فقال : ((طلب العلم فريضة على المسلم)) . (رواه الإمام أحمد ، حديث رقم 26588) ، وقال شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح على شروط مسلم) . والخطاب هنا موجه للذكور والإناث ، كما أن تكرير كلمة مسلم هنا يفهم منه الاستغراق كما يقول علماء البلاغة ، بمعنى أنه يستغرق كل المسلمين والمسلمات .

**الديمقراطية :**

## **1) المفهوم العام للديمقراطية :**

أ) لقد شاع مصطلح الديمقراطية في دول العالم الثالث خلال النصف الثاني من القرن العشرين ، وانتشر في هذه الدول انتشار النار في الهشيم وبمزايدة مبالغ فيها على الديمقراطية الليبرالية . فقد اجتاح هذا الاصطلاح فكرة القارئ والمتقف ، وامتنعت امتهاناً أكثر من أي مصطلح من حيث المعنى وتعدد الاستخدام ، " فما هي الديمقراطية الشعبية أو الجماهيرية - التي قامت بزعم مجاوزة شكلية للديمقراطية الليبرالية ومن أجل تحقيق الديمقراطية "الحقيقية" ، فإذا بها - وبعد أن سقطت الواحدة

بعد الأخرى - تكشف عن وجهها السافر ، فلا هي ديمقراطية كما لم تكن شعبية أو جماهيرية " (137) .

وفي الفترة السالفة الذكر وربما حتى الآن تزدهم استخدامات مصطلحات الديمقراطية قولاً وكتابة وشعارات في وسائل الإعلام وكملصقات ورموز في الشوارع والميادين ، غير أنه لا يكفي أن نردد القول حكم الشعب بالشعب " ولن يكفي إقامة البرلمانات والمجالس النيابية ، أو الحديث عن التعددية السياسية وغير ذلك من الرموز والشعارات ، كل هذا ضروري ومهم ولكنه دون أن يتدرج في نسق متكامل منسجم مع روح وجوهر المجتمع الديمقراطي سيظل قاصراً ، شكلاً بلا مضمون ومؤسسات بلا روح " (138) .

ب) وتعتبر الديمقراطية من حيث المفهوم الليبرالي هي " نظام سياسي اجتماعي يقيم العلاقة بين أفراد المجتمع والدولة وفق مبدأ المساواة بين المواطنين ومشاركتهم الحرة في صنع التشريعات التي تنظم الحياة العامة " (139) . وهي نظام مُطبق في معظم دول العالم وخاصة أوروبا وأمريكا .

ج) أما الديمقراطية في فكر (حسن البنا) فهي نظام سياسي واجتماعي واقتصادي مرتبطة بالدول الاستعمارية وأنها مستوردة من الغرب ، أما الديمقراطية الحقيقية في اعتقاده فهي تقوم على مبدأ الشورى الذي يجعل الحكم تشاوري بين أفراد المجتمع .

<sup>137</sup> حازم البيلوي ، الديمقراطية الليبرالية قضايا ومشاكل ، ط 1 ، (دار الشروق ، القاهرة ، 1993 م) ، ص 7 .

<sup>138</sup> المرجع السابق ، ص 8 .

<sup>139</sup> عبد الوهاب الكيالي ، موسوعة السياسة ، ب ط ، ج 1 ، (دار المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ب م ، ب ت) ، ص 751 .

إذاً فالديمقراطية في اعتقاده هي الشورى وهذا يعني أن (حسن البناء) يؤكد على الأخذ بالديمقراطية وذلك تمشياً مع مفهومها الإسلامي ، أي الأخذ بديمقراطية الإسلام كسبيل للإصلاح والتغيير من خلال مبدأ الشورى وليس ديمقراطية الغرب القائمة على تعدد الأحزاب ونظام الانتخابات ، وتداول السلطة من خلال الأقلية الحاكمة من خلال الحزب الفائز في الانتخابات مقارنة لعدد أفراد الأمة .

فالديمقراطية هي الشورى والنزول في اتخاذ القرارات عند رأي الأغلبية كما كان سائداً في العصر الإسلامي ومن ثم فالإخوان ساروا على الدرب من بعده .  
وقد طبق (البناء) وإخوانه أسس الشورى والديمقراطية في اختيار القيادات فيما بينهم بالطبع ، وذلك انطلاقاً من قوله تعالى : (وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) (سورة الشورى / الآية 38) ، وقوله تعالى : (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) (سورة آل عمران / الآية 159) .

## 2) مفهوم السلطة لدى الحسن البناء :

جاءت أفكار (الحسن البناء) السياسية انطلاقاً من مفهومه للسلطة والحكومة الإسلامية في مجال السلطة بدأ من طبيعة السلطة المرتبطة بعقيدة دينية تجمع الأمة تحت مظلة كما هو في النظام الإسلامي ، وهذا يعني أنها نظام إلهي

شامل يجمع ولا يفرق ، خلافاً لما هو في السلطة الناشئة عن الديمقراطية الغربية التي تفتت الأمة في شكل أحزاب وآراء متصادمة .

هذا التوجه لدى " البنا " يراد به الالتفاف حول الدين الإسلامي من خلال ما جاء في آياته وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أمر يجعل السلطة مرتبطة بعقيدة دينية تجمع الأمة الإسلامية ولا تفرقها ، لذلك يقول البنا في رسالته ، "وكانت الأمة مجتمعة باستمساكها بأهداب الدين ، واعتقادها فضل ما جاء به من أحكام ، ورعايتها لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشديده في الوحدة حتى أمر بقتل من فارق الجماعة أو خرج على الطاعة" (140) .

وانطلاقاً من ذلك حاول البنا جاهداً نفي الفصل بين الدين والسياسة كما جاء لدى دعاة العلمانية ، ورفض فكرة الحزبية لأنها تفرق ولا تُجمع ، كما أكد على فكرة أن الدين الإسلامي شامل محاولاً أن يوحد بين الدين والدولة ، فالدين الإسلامي من خلال القرآن والسنة هو مصدر التشريع ، والحكومة الإسلامية أداة تنفيذية ، ولتجنب التصادم بين السلطة التشريعية (الفقهاء) ، والسلطة التنفيذية (الحكومة) رأى البنا أن تكون الدولة تحت سلطة المسلمين الملتزمين بالفرائض دون غيرهم ، وهذا في اعتقاده ما يميز بين الدولة الإسلامية عن حكم كنيسة العصور الوسطى الأوروبية ، وعن الدولة العلمانية القائمة على فكرة المواطنة في ذات الوقت .

ومع ذلك ، حذر البنا من فكرة الأحزاب السياسية - بحجة الخوف من التفتت والتشتت - يضع سلطة الدولة الإسلامية في اعتقاد الليبراليين تحت

<sup>140</sup> إبراهيم عبد الله البنا ، الفكر السياسي عند الإخوان ، آراء حسن البنا نموذجاً ، مجلة العلوم السياسية والقانون ، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية ، العدد الأول ، لسنة 2017 م ، ملخص دكتوراه .

طائفة حكم الدولة الشمولية ، التي تقوم على فكرة الحزب الواحد . وهذا الأمر في اعتقادي مردود عليه على اعتبار أن الشمولية \* تفرض فكرة فردية واحدة أو نخبة ، بينما الدولة الإسلامية تفرض عقيدة الأغلبية المؤمنة وهي القرآن والسنة التي إذا اختلف الأفراد فيها فيضل الاختلاف بعيداً عن المبادئ ولا ينصب إلا على الاجتهادات التي يفترض فيها أن تُطرح في إطار الشورى ، أي الإجماع . وكل ما يخالف ذلك من تفسير فهو موقف عدائي من الطرح الإسلامي المعتدل .

ويهاجم (الحسن البنا) في رسائله في المقدمة تحت عنوان ((دعوتنا)) فكرة الأحزاب السياسية ويبرز تداعياتها السلفية من خلال الصراع على السلطة في المجتمع من تقسيم الأمة إلى طوائف حيث يريد الحزبيون " بدعوتهم الوطنية تقسيم الأمة إلى طوائف تتناحر وتتطاحن وتتراقب بالسباب وتترامى بالتهمة ويكيد بعضها لبعض وتنتشيع لمناهج وضعية أملت لها الأهواء وشكلتها الغايات والأغراض وفسرتها الأفهام وفق المصالح الشخصية والعدو يتدخل في كل ذلك ... " (141) .

وقد صرح (الحسن البنا) في رسائله تحت عنوان : الإسلام لا يُقر الحزبية قائلاً : " وبعد هذا كله أعتقد أيها السادة إن الإسلام وهو دين الوحدة في كل

---

\* " تُعرف السلطة التوتاليرية (الشمولية) *Totalitarianism* بأنها سلطة الحكومة المركزية التي تهيمن على كل نواحي الحياة ولا تتسامح مع الأطراف المختلفة معها في الرأي . وقد صاغ مصطلح التوتاليرية (الشمولية) لأول مرة الرئيس الإيطالي بنيتو موسوليني عام 1920 م لوصف الدولة الجديدة التي يقودها الحزب الفاشي في إيطاليا ، حيث وصف التوليتارية بأنها كل ما هو داخل الدولة وليس خارجها ، فلا شيء ضد الدولة . ومنها أصبح مصطلح الشمولية " يطلق على النظرية ايدولوجية - اجتماعية - سياسية وشكل من أشكال النظام السياسي للمجتمع ، يقوم على إذابة جميع الأفراد والمؤسسات والجماعات في الكل الاجتماعي (المجتمع ، الشعب ، الأمة ، الدولة) عن طريق العنف والإرهاب ، ويمثل هذا الكل قائد واحد يجمع في يديه كل السلطات ، ويشار بهذه التسمية إلى أنظمة تتفاوت في عدد من الخصائص ، إلا أنها تشترك في هذه الصفة المشتركة ، كإيطاليا موسوليني وألمانيا هتلر ، وإسبانيا فرانكو ، وبرتغال سالازار .... " (الموسوعة الفلسفية العربية ، المجلد الثاني ، ط 1 ، معهد الإنماء العربي ، بيروت ، 1988 ، ص 408) .

<sup>141</sup> رسائل الإمام الشهيد حسن البنا ، تحت عنوان " وطنية الحزبية " ، ص 8 .

شيء ، وهو دين سلامة الصدر ، ونقاء القلوب ، والإخاء الصحيح ، والتعاون الصادق بين بني الإنسان جميعاً فضلاً عن الأمة الواحدة والشعب الواحد ، لا يقر نظام الحزبية ولا يرضاه ، ولا يوافق عليه ، والقرآن الكريم يقول : (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ...) (سورة آل عمران / الآية 103) . ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (هل أدلكم على أفضل من درجة الصلاة والصوم والصدقة ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : إصلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة ، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين) (حديث صحيح أخرجه أحمد أبو داوود وابن حبان في صحيحه) .

### (3) الإخوان ومواكبة العصر :

هذا وقد تطور تطبيق الديمقراطية لدى الإخوان الجدد الذين أعادوا تنظيم أنفسهم وتخلوا عن الكثير من الثوابت السابقة - كما أشرنا في الفصول السابقة - ، فنرى كثيراً من الازدواجية في خطاب الإخوان المسلمين مما يجعل بعض الغموض لهذه الحركة ، خاصة القطيعة لفكر الحُقب السابقة وتكيفها مع الظروف مثل إيمانهم بالديمقراطية الغربية .

فهناك من يرى أن الإخوان بخوضهم الانتخابات ودخولهم في العملية السياسية وقعوا في خطأ أضطربهم لتقديم تنازلات كثيرة .

هكذا دخلت الدعوة مجالات لم تدخلها من قبل وتدريب أفرادها على الممارسة السياسية بعيداً عن أفكار المؤسس ، والتعرف على أدوات العملية السياسية وهذا لتزداد الثقة بكل من يتعاون مع الإخوان .

فالديمقراطية التي نعرفها الآن التي أوجدها الغرب تعطي مخرجاً شرعياً لذلك لأن الحركة أمام الخيارين : أما حكم الفرد (الدكتاتورية) أو حكم الشعب (الديمقراطية) والإسلام برئ من كليهما ففي الإسلام الحكم لله وحده وهذا ما قال به الإخوان الأوائل .

وهناك مواقف كثيرة مثل دخول الانتخابات " إن الذي يوافق على دخول الانتخابات تحت مظلة الديمقراطية يجعل ما تأتي به الديمقراطية فوق كل شيء حتى الإسلام " (142) . فالديمقراطية هكذا نظام مخالف للإسلام كما رأها البنّا حيث تجعل سلطة التشريع للشعب أو من ينوب عنهم وعليه يكون الحكم لغير الله تعالى بل للشعب ونوابه .

#### 4) الديمقراطية الليبرالية :

أ) لما كان لكل شيء جذور ، فمن الحق القول : إن الجذور الفكرية للديمقراطية الليبرالية الحديثة نشأت انطلاقاً من قيام الثورة الفرنسية عام 1789 م التي رفعت شعار الحرية والثورة الليبرالية . وظن العالم في ذلك الوقت أن الطريق قد فُتح على مصراعيه إلى غير عودة للأنظمة الاستبدادية ، لكن القرن التاسع عشر فاجأ البشرية بزخم شديد من الدعوات الشمولية والسخرية من شعارات الفردية والحرية .

<sup>142</sup> فهمي هويدي ، الإسلام والديمقراطية ، المستقبل العربي ، 15 ، العدد 16 ، شهر ديسمبر 1992 ، ص 57 .

وقد عشنا على طول القرن العشرين الكثير من التجارب لنظم شمولية وتجارب تدخلية تعبت بمفهوم الحرية والديمقراطية الليبرالية ، وكان في مقدمتها نظم فاشية ونازية وماركسية وفي خضم هذه التجارب الشمولية ظن الفكر الإنساني أن الليبرالية أصبحت من التراث الفكري للبشرية (143) .

ب- هذا والديمقراطية الليبرالية القائمة على فصل الدين عن الدولة سائدة في الدول الأوروبية وكذلك في معظم دول العالم تقريباً بشكل أو بآخر في القرن الحادي والعشرين .

وتؤكد الليبرالية من خلال الديمقراطية على حماية حقوق الأفراد والأقليات وهذا يقيد الأغلبية في التعامل مع الأقليات والأفراد بخلاف الأنظمة التي لا تشتمل على دستور يلزم حماية الأفراد والأقليات .

والديمقراطية الليبرالية هي شكل من أشكال الديمقراطية التمثيلية التي تعمل وفقاً لمبادئ الليبرالية أي حماية الفرد وحقوقه .

ومن خلال متابعة الحياة السياسية المعاصرة يلاحظ المرء تركيز "الديمقراطية الليبرالية على حرية الفرد ، واستقلالية سلوكه الخاص ، فأنها تذهب إلى أبعد من ذلك عندما نقول بأن تناقض النزعة الاستقلالية للفرد مع متطلبات السلوك الاجتماعي للمجتمع هو حتمي ولكن يجب ألا يحسم على حساب حقوق الفرد بل عن طريق التوفيق والموازنة وحسب مبدأ حكم الأكثرية مع الضمانات الضرورية المتضمنة في نظرية حقوق الأفراد" (144) .

<sup>143</sup> حازم البيلوي ، الديمقراطية الليبرالية قضايا ومشاكل ، مرجع سبق ذكره ، ص 9 .  
<sup>144</sup> عبد الوهاب الكيالي ، موسوعة السياسة ، ب ط ، ج 2 ، (دار المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ب م ، ب ت) ، ص 752 .



ج- هذا التدقيق في تطبيقات الديمقراطية عبر التاريخ يفتح رؤانا على مشاكل لا حصر لها منبعثة من العلاقة بين الديمقراطية والحرية .

ولتوضيح العلاقة بين الديمقراطية والحرية علينا التأكيد على أن الفكر الليبرالي ليس دعوة فقط إلى الحرية ، لأنه بالدرجة الأولى دعوة إلى الفردية بحيث يتبع الفرد فيه بمجال استقلال دون إزعاج أو تدخل .

وعلى هذا فالمتتبع لمفهوم الحرية في الفكر السياسي من خلال التطبيقات العملية يلاحظ أنه ينطلق من مفهومين أساسيين : أولهما : حق الفرد في المشاركة السياسية واتخاذ القرار ، وثانيهما : يتمثل في اعتراف الآخرين بحيز خاص من الحرية يكون خاصاً بالأفراد لا يجوز التعدي عليه (145) .

المفهومان السالفان الذكر للحرية يمثلان التفرقة بين المفهومين القديم والحديث للحرية . وهذا يعني أن " الحرية بالمعنى الحديث هي الاعتراف للفرد بمجال خاص يتمتع فيه بالاستقلال ولا يخضع فيه لغير القانون ، في حين أن الحرية بالمعنى القديم السائد في المدن اليونانية .. تشير إلى الحق في المشاركة في اتخاذ القرارات السياسية " (146) .

وهكذا ففي الوقت الذي يتمتع فيه اليوناني بالمشاركة في القرارات العامة يضل في حياته الخاصة عبداً ولا يعرف نوعاً من الاستقلال في أموره الخاصة .

<sup>145</sup> حازم البيلوي ، الديمقراطية الليبرالية ، قضايا ومشاكل ، مرجع سبق ذكره ، ص 11 .

<sup>146</sup> المرجع السابق ، ص 11 .

أما في المفهوم الحديث للحرية فالفرد يتمتع بالاستقلال في حياته الخاصة لكنه لا يكاد يتمتع بأي سيادة في القرارات العامة لأنه سبق أن تخلى عنها لنوابه في البرلمان (147) .

واستناداً لما سبق ، فلا بد من الانتباه لسطوة الأغلبية على الأقلية ، إذ لا بد من الاعتراف بحقوق الأفراد على نحو لا يُسمح بالمساس بها ، ولعل الضمان الكافي لحماية حقوق الأفراد يكمن في "الديمقراطية الدستورية أي التي تصنع حدوداً على كل سلطة حماية لمجال خاص لحرمة الأفراد في أموالهم وحياتهم" (148) .

## 5) مآخذ الديمقراطية :

أ) إذا كان حكم الدين الإسلامي قد أفسده في عصور مختلفة زمرة من دعاة الإسلام المتشدد ، والمارق بعضهم في كثير من الأحداث عن حكم العدالة الإلهية التي حثت على حكم الوسطية الملتزمة بأخلاق الدين الإسلامي ، كما جاء في قوله تعالى : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا...) (سورة البقرة / الآية 143) . فتاريخ الحضارة العربية الإسلامية في ذروة تطورها يشهد بأنها كانت مدفوعة بحكم وسطي لا يُجرجر المسلم للجنة بالسياط ، ولا يقف حجر عثرة أمام من نوى التقوى بالعبادات ، والدعوة بالقول المعروف مستقيماً من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن

<sup>147</sup> المرجع السابق ، ص 11 .

<sup>148</sup> المرجع السابق ، ص 12 .

لم يستطيع فبقبله وذلك أضعف الإيمان " (رواه مسلم ، راجع ابن رجب الحنبلي : جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً ، ج 2 ، ب ط ، مؤسسة الرسالة 2001 م ، ص 243) .

هذا وفي اعتقادي أن الغرب خلق في العالم العربي والإسلامي منذ منتصف القرن الماضي ، ظروفاً تهيئية أشبه بتلك التي عاشها هذا الأخير في تحوله من حكم الكنيسة إلى حكم الليبرالية والعلمانية ، وذلك لدفع العرب والمسلمين للإيمان من خلال العولمة *Globalization* بقضية العلمانية والحكم الليبرالي ، ولينأى العرب والمسلمون في سلوكهم الأخلاقي عن أخلاق الدين الإسلامي التي قال فيها الرسول صلى الله عليه وسلم : " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " (رواه صحيح الألباني في ..... ) ، وقوله : " أن أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً " (رواه أحمد والترمذي وابن حبان) .

ب) والحقيقة أن الدعوة للتمسك بالموروث الثقافي لأي أمة لا يعني رفضها لقيم الآخرين ، ولا للجوانب الإيجابية لأي حضارة أخرى في مجال التطبيقات العملية الخاصة في مجال التقنية ، بل على أي أمة أن تستوعبها ، وتحاول المشاركة في تطويرها والاستفادة منها لصالح الإنسانية .

هذا الأمر لا يتنافى مع المحافظة على الموروث الثقافي في الدين الإسلامي ، طالما أنه لا يتعارض مع حرية الفرد ولا يتعارض مع سنة التطور وتواصل الحضارات .

وإذا يُعيب العلمانيون على الفكر الإسلامي المعاصر موقف الحذر من بعض العناصر في الحضارة الغربية ، فإن ذلك راجع لفرض الغرب قيمه

الاجتماعية والأخلاقية على المسلمين من خلال سيناريوهات مختلفة ظهرت في نهاية القرن السابق ، في مقدمتها فكرة العولمة ، والشرق الأوسط الجديد ، والفوضى الخلاقة ، ثم الربيع العربي ، وهي سيناريوهات أعلنها صراحة وفرضها بما فيها من نتائج مدمرة كما نشهدها في هذا العصر .

(ج) قبل أن يصدر كتاب صامويل هنتغتون (S. P. Hintington 1927 - 2008) ((صراع الحضارات)) ، وما أثاره هذا الكتاب من جدل ، كان الرئيس الأمريكي (نيكسون) قد غادر سدة الحكم في بلاده بسبب ما أطلق عليه ((فضيحة وترغيت)) الشهيرة . ولمواصلة مسيرته السياسية قام بزيارة الاتحاد السوفيتي حيث كانت الشيوعية في ذلك الوقت لازالت في عنفوانها .

ومن خلال تصريحاته كان الهدف من الزيارة اقناع أقطاب الشيوعية بأنه يمكن التعايش بين نظامي الحضارة الغربية الشيوعية والرأسمالية ، وذلك بناءً على حقيقة أن النظامين نتاج لحضارة واحدة وثقافة واحدة ، وأن العداة الحقيقي بين الحضارة الغربية والإسلام .

وعند تفكك الاتحاد السوفيتي عام 1991 م وانتصار العالم الغربي الحر ، "وعى الناس جميعاً تصريح الأمين العام للحلف الأطلسي ((هيل كلاس)) بأنه بعد انهيار الشيوعية ، أصبح العدو الظاهر للغرب هو الإسلام " (149) ، وهذا يعني أن الاستراتيجية للغرب كانت ممنهجة لفرض ثقافة الغرب السياسية والاجتماعية والاقتصادية كما طرحها فيما بعد فرنسيس فوكوياما في كتابه

<sup>149</sup> راجع : موقع ، معهد دار الهجرة للقراءات وعلوم القرآن الكريم .

((نهاية التاريخ والإنسان الأخير)) ، وتلك كانت رسالة لمن يرفضون نظرية المؤامرة الخارجية المنفذة بأدوات محلية.

على أية حال ، فإذا أراد الغرب اقتناع الغير بالديمقراطية كما هي مطبقة لديه على أنها حكم الأغلبية ومبعث حرية الاختيار فإن التسويق لها فكراً جازماً ، كما يجوز التبشير بالإسلام في مواطنها . لكن فرضها على أنها منهج مقدس يفوق كل أساليب التمتع بالحرية الفردية غير جائز فالتاريخ والبحث العلمي والواقع يشهد بعكس ذلك \* .

فقد دخلت الأنظمة الديكتاتورية في معظمها من بوابة الأغلبية الديمقراطية وفي مقدمتها النازية والفاشية والماركسية وغيرها في مناطق مختلفة من العالم الثالث .

د- وقد حذر الكاتب السياسي والاجتماعي الفرنسي أليكس توكفيل ( Alexis de Tocqueville 1805 - 1859 ) قبل عصرنا هذا في كتابه الشهير ((الديمقراطية في أمريكا)) من طغيان الأغلبية في نظام الديمقراطية . حيث تسأل كيف يمكن أن نجعل الحرية والمساواة متساويتين أو ممتكنتين معاً ؟

ويرى توكفيل أن سلطة الأغلبية القائمة على قوانين وضعية ، كثيراً ما تتحول إلى قوة ظالمة ومفرطة الطغيان إزاء حرية الفرد . ويقول : " الأغلبية في جملتها ، لا تعدو أن تكون فرداً ، كثيراً ما تتعارض آراءه ومصالحه مع آراء شخص آخر ومصالحه ، وذاك الشخص الآخر يسمونه أقلية .

\* راجع في شأن المآخذ على الديمقراطية الغربية ، الصديق محمد الشيباني : أزمة الديمقراطية الغربية المعاصرة ، ط 2 ، المركز العالمي للدراسات والأبحاث ، طرابلس ، ليبيا ، 1990 م .

فإن نحن سلمنا بأن الرجل الذي يملك قوة مطلقة قد يُسيء استخدام هذه القوة فيظلم خصومه ، فما الذي يمنع الأغلبية أن تكون معرضة لمثل هذا الخطأ ؟ ، فالناس لا يغيرون أخلاقهم إذا ما اتحدوا بعضهم مع بعض " (150) .

ومن ناحية أخرى يقول توكفيل محذراً من سلطة الأغلبية في الديمقراطية :  
إن السلطة غير المحدودة شيء سيء وخطر " إذ ليس لأحد من بني الإنسانية الأهلية لممارستها في حزم وعقل فليس غير الله وحده قادر على كل شيء ،  
فحكمته وعدالته توازيان قدرته " (151) .

ويشترط (توكفيل) ممتعضاً من حكم الأغلبية في الديمقراطية قائلاً : " ليس على الأرض قوة جديرة في ذاتها بالشرف أو لها حقوق تبلغ من قداستها درجة تجعلني أسلم بسلطتها الطاغية التي لا حد لها " (152) . ويضيف توكفيل في تقسيمه لأنظمة الحكم السياسي المنبثقة عن الديمقراطية قائلاً : " فعندما أرى حق الأمر المطلق ، ووسائله تُعَدَّق على سلطة ما أياً كانت هذه السلطة ، وأياً كان اسمها ، شعباً كان أو ملكاً ، أو ارسقراطية ، أو ديمقراطية أو ملكية ، أو جهوية ، عندما أرى ذلك أقول ، إن فيها بذور الاستبداد والطغيان " (153) .

<sup>150</sup> اليكسيس دو توكفيل ، الديمقراطية في أمريكا ، ج 1 ، ترجمة وتعليق : أمين مرسي قنديل ، ط 1 ، دار عالم الكتب ، القاهرة ، ص 228 .

<sup>151</sup> المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

<sup>152</sup> المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

<sup>153</sup> المصدر السابق ، ج 1 ، ص 229 .

## مفهوم الدولة لدى العلمانيين والمسلمين :

### (2) مفهوم الدولة لغةً :

" إنَّ كلمة دولة في اللغة العربيّة مشتقة من فعل دالة ، يدول دولاً ، أي بمعنى دار أو تبدّل أو تغيير من حال إلى آخر ، ودالت الأيام دارت وتحوّلت عن قوم إلى آخرين ودال الدهر أي تحوّل من حالٍ إلى حال ، والدولة بضم الدال الشيء المتداول " (154) .

وقد جاء في هذا السّياق في القرآن الكريم الدولة من الشيء ما يعني المتداول بالاحتكار من الشيء بين الناس (...كَي لَا يَكُونُ دَوْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ...) (سورة الحشر / الآية 7) .

أي لا يكون الفيء \* شيئاً يتداوله الأغنياء ويتمارونه فلا يناله أحد من الفقراء . كما جاء بمعنى الظفر أي الانتصار في قوله تعالى : (... وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ...) (سورة آل عمران / الآية 140) أي نصرفها بينهم فجعلها لهؤلاء مرة ولهؤلاء أخرى (155) .

وفي الإطار العام فأننا عندما نتحدث عن الدولة فأننا نعني مفهوم الدولة الثيوقراطية الدينية من ناحية ، ومفهوم الدولة المدنية أي الليبرالية من

<sup>154</sup> معجم ألفاظ القرآن الكريم ، المجلد الأول ، ط 2 ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، 1970 م ، ص 425 .  
\* الفيء : هو ما أخذ من مال الكفار بحق ، من ، ومن غير فقال كهذا المال الذي فروا وتركوه خوفاً من المسلمين ، وسمي فيئاً ، لأنّه رجع من الكفار الذين هم غير مستحقين له ، إلى المسلمين الذين لهم الحق إلا وفر فيه . وحكمه العام كما ذكره الله في قوله تعالى : (مَّا أَقَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرْبَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَأِثْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دَوْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (الحشر / الآية 7)

وجاء في المختصر في تفسير القرآن ما نصه ((ما أنعم الله على رسول من أموال أهل القرى من غير قتال فله ، يجعله لمن يشاء وللرسول ملكاً ولذوي قرابته من بني هاشم وبني المطلب تعويضاً لهم عما منعه من الصدقة ، والأيتام والفقراء ، وللغريب الذي نفذت نفقته لا يختصر تداول المال على الأغنياء دون الفقراء) .

راجع كتابه : جماعة من علماء التفسير ، المختصر في تفسير القرآن الكريم ، مجلد 1 ، ط 3 ، مركز تفسير الدراسات القرآنية ، الرياض ، 2016 ، ص 546 .

<sup>155</sup> معجم ألفاظ القرآن الكريم ، المجلد الأول ، مصدر سبق ذكره ، ص 425 .

ناحية أخرى ، علماً بأن الفارق وضح الحرية الشخصية بين المفهومين السالفي الذكر .

وللوقوف على إشكاليات الخلط بين المفهومين والصراع الدائر في عصرنا في طرح التناقضات العملية والتطبيقية في تصوراتنا لمفهوم حرية الإنسان المعاصر ، يمكن القول إنَّ الدولة الدينية تُعدُّ أقدم التصورات في تحديد مفهوم الحرية ، وتحديد سلوكيات الفرد ، وتتميز بأن هو الله جلَّ جلاله ، لكن تطبيقاتها المتباينة تعود إلى فهم نصوص الكتب المقدسة التي جاءت عن طريق الرسل والأنبياء بصرف النظر عن ملابسات ما تمَّ من تحريف أو تلفيق أو إسقاط لبعض من أجزائها ، أو تفسير تأويل مقاصدها من ناحية أخرى . فالعقيدة المسيحية التي حُسم أمرها عندما تمَّ فصل الدين عن الدولة في نهاية القرون الوسطى الأوروبية ، بسبب ما ذكرناه سابقاً في الفصل الثاني من أن فحوى نصوصها المشكوك فيها غالباً لم تحتوي على تشريعات عملية محورة ومفصلة لحياة الفرد كما هو الحال في الديانة الإسلامية ، ما دفع برجال الكنيسة إلى إصدار فتاوي وقرارات لأسباب سلطوية واقتصادية ، كثيرة منها ما كبَّل حرية الفكر ، وحدَّ من تطوُّر المعرفة وبلوغ الحضارة ، ما أدَّى في النهاية إلى تراجعها لصالح العلمانية .

أمَّا في الإسلام ، فالدولة الدينية لها خارطة طريق اعتقادية وسياسية واقتصادية ، واجتماعية ، وأخلاقية محددة بنصوص قرآنية ، ما جعلها نواة برنامج حياتي دستوري متكامل إذا ما تمَّ التعامل مع مفهوم النصِّ بشيء من العقلانية في ضوء مقولة " القرآن صالح لكل زمان ومكان " ، وفي ضوء



الدلالات الحاثّة لكل من راعى التطوّر الحضاري . فقد روي عن أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال : " إنّ الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة ما يجدد لها دينها " \* .

ومن ثم فدعاه العلمانية من العرب الداعون لاستتساخ الدولة المدنية تحت شعار الحرية الفردية يقعون في موقف التناقض بين ظروف مخاض المصادر والولادة بين الديانتين الساميتين .

## 2- موقف الجماعات الإسلامية من الدولة المدنية :

إذا قارنا الجماعات الإسلامية من خلال وجهة نظر في الدولة المدنية نجد لها مواقف متباينة أحياناً ، وإن تتفق في النهاية على رفضها مع اختلاف الأساليب والنوايا .

أ - **السلفية الجهادية** ترفض جذرياً فكرة الدولة المدنية ، وترى - كما أشرنا في الفصل الثاني - فرض الدولة الدينية بقوة السيف ، وهؤلاء هم من يثيرون القلق المحلي والإقليمي والدولي . وينطبق نموذج السلفية الجهادية على كل من يسعى عملياً لفرض الدولة الإسلامية ، ونبذ فكرة الديمقراطية بالمفهوم الغربي .

ب - **أمّا السلفية الدعوية** فهي في كثير من الأحيان أخفّ حدة من سابقتها . وقد تأسست هذه الجماعة حديثاً عن طريق الشيخ السعودي "ربيع المدخلي" ، ما يطلق عليها أحياناً اسم "السلفية المدخّلة" وتلزم

\* رواه أبو داود (رقم 4291) وصححه البخاري في (المقاصد الخمسة) (149) ، والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم / 599) .

هذه الجماعة فيما بينها بتعاليم السلف الصالح ، حيث تدعو بالحجة العقلية إلى الإيمان بذلك ، مع نبذ التقرب بالأضرحة ومحاربة ما تراه بدع من طقوس شكلية في العبادة .

ومن الناحية السياسية ترفع هذه الجماعة شعار الدفاع عن حجة وحكم ولي الأمر ، حيث " تمنح للحاكم الذي تعيش في إطار حكمة سلطة مطلقة دون تقبل الآراء المعارضة ، مع تشجيع استخدام القوة ضد المعارضين ، وهي آراء تُعرض العملية السياسية للخطر " (156) .

وقد كان ولا زال لهذه الجماعة دوراً مناهضاً كل من يخالف ولي الأمر (الحاكم) ، وقد استخدمت هذه الجماعة في فترات حديثة ضد جماعة الإخوان المسلمين كلما كانت هذه الأخيرة الممنهجة في موقف المعارضة الحادة.

ج- أما جماعة الإخوان المسلمين التي تُعدُّ من أقدم الجماعات الإسلاميّة سياسياً في العصر الحديث - التي تقدم نفسها كتيار إسلامي أكثر اعتدالاً من التيار السلفي - فمواقفها تتناقض حيناً بين الدكتاتورية كجماعة جهاديّة بشكل مباشر أو غير مباشر ، وحيناً بين دعوتها إلى تحكيم صناديق الانتخابات ، وأياً كان موقفها فهي تظل دائماً في خدمة السعي لتحقيق دولة الخلافة .

<sup>156</sup> أحمد صلاح عليّ : " أتلانتيك كاونس " : الفضائل أن بدأت لعبة الخطر مع السلفية المدخّليّة . الموقع الإلكتروني للمجلس الأطلسي "أتلانتيك كاونس" بوابة الوسط 07 / 11 / 2017 .  
راجع أيضاً : د. عبد الباسط ناسي : إشكالية المرجعية في الفكر السلفي "المدخلي" ، ط 2 ، الدار التونسية للكتاب ، 2013 ، " لا مجال لاعتبار ظاهرة السلفية مجرد حركة ظرفية عابرة ، دائماً هي إفراز فكري وعملي تمخض عن تراكمات من الجدل العقائدي والصراع الإيديولوجي والتجاذب السياسي مما لا سبيل لنكرانه ، ولكن هذا الاعتبار يُولد بدوره أسئلة أخرى أكثر إلحاحاً حول طبيعة هذه الظاهرة السلفية . فهل هي إحياء مذهب أم حركة إصلاح أم هي مجرد اجتهاد " ص 10 ، راجع أيضاً ص 17 ، عن مصطلح السلفية الهوية والمرجع .

ومن خلال تاريخ هذه الجماعة يلاحظ المرء التقلبات الفكرية إزاء الدولة المدنية وفكرة الديمقراطية ، " فبالعودة إلى نصوص مؤسس الجماعة حسن البنا (1906 - 1949) نلاحظ اضطراباً ما بين خطاب الإصلاحية الإسلامية مطلع القرن العشرين ، التي قبلت الدولة الدستورية والتعددية السياسية ، وبين إحيائية إسلامية ، تركزت مع المنظر اللأحق للإخوان المسلمين وهو (سيد قطب) ، التي رفضت نموذج الدولة الغربية في تحكيمها للشعب كمصدر للسلطات واحترامها للدستور وتشديدها على التعددية السياسية " (157) ، وبين مواقفها الأخيرة من الانتخابات الداعية للمشاركة بحماس في الانتخابات في مصر وليبيا في مطلع الربيع العربي .

2- وحديثاً ، فإن مفهوم الدولة المدنية جاء انطلاقاً من مفهوم الدولة الحديثة الذي أول من أثاره الفيلسوف الإيطالي في القرن الخامس عشر (نيكولو ميكافيللي) منطلقاً من تحليله للواقع الإيطالي القائم على إصلاح الدولة الذي ينبغي أن يقوم على فصل الأخلاق والدين عن السياسة .

ولم يأتي موقف (ميكافيللي) من الدين في الحقيقة من كونه رافضاً لفكرة الدين بصفة عامة ، بل لكونه كان ممتعضاً من موقف الديانة المسيحية ، ومعارضاً لتعاليمها بشكل صارخ ، فهو يرى في الديانة المسيحية مدرسة لتعليم فضائل مغلوبة في رأيه . فهي ، أي المسيحية تُعلم الخضوع والذل وإنكار

<sup>157</sup> مجلة العرب الدولية ، الديمقراطية عند الإسلاميين ، صناديق الاقتراع ، العدد الأسبوعي ، 27 يناير 2013 م .

الجسد وإعطاء الخد الآخر للطم ، ثم تأجيل أصل الإنسان في الفرح والسعادة إلى ما بعد الموت" (158) .

هذا الموقف الخنوعي في المسيحية من حياة الإنسان رفضه (ميكافيلي) رفضاً قاطعاً ، فالإنسان في اعتقاده "يستوحى نبهه ومجد الحياة على الأرض ليس من إدخال الذل على النفس ولكن من الاعتزاز والفخر ... وليس في معاناة الأذى والصبر عليه بل في رفضه والانتقام له .. وليس في الصلاة بل في العمل ، وباختصار ، فإنّ الفضيلة تكمن في لبس دروع الحرب والاعتزاز بالنظارة والشجاعة والبطولة وعظمة الإنسان ومجده" (159) .

يبدو أن ميكافيلي قد استوحى فكرة قوة الإيمان بالفضيلة من تاريخ انتشار الإسلام القائم على الإيمان بهدف تحقيق حياة الدنيا سياسياً ، مع عدم تجاهل طاعة الألوهية في الحياة الآخرة ، وإنّ انتقاده للكنيسة المسيحية يوصي بإعجابه بمسيرة الدين الإسلامي في عصره ، وبقوة الدولة الرومانية التي كان مفتوناً بتطبيقاتها ، ومخذولاً بجانب هذا وذاك بموقف الكنيسة المسيحية البابوية التي ساهمت في تقطع أوصال الأمة الإيطالية ، وشجعت بشكل وبآخر على شردمتها في شكل دويلات وجمهوريات وإمارات ، ما جعل منها فريسة لدول عظمى في عصره من أمثال إنجلترا وفرنسا وأسبانيا .

<sup>158</sup> أرنستو لاندرى ، أعلام الفكر السياسي ، ط 1 ، دار النهار للنشر والتوزيع ، بيروت ، 1970 ، ص 42 .  
عن عمار أبو حوش ، تطوّر النظريات والأنظمة السياسية ، ط ب ، 1977 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1977 ، ص 126 .  
<sup>159</sup> المصدر نفسه ، الصفحة نفسها ، راجع : عمار بوحوش ، تطوّر النظرية والأنظمة السياسية ، مرجع سبق ذكره ، ص 125 .

تأثر (ميكافيلي) بهذه التجربة الحزينة "وأمن بعدم فعالية النبي الأعزل من السلاح، وبوجوب اعتماد السياسة على السيف فضلاً عن الكلمة..."<sup>(160)</sup>.

وفي معرض امتعاض ميكافيلي من الدولة الكنيسة وقيمها ، رأى في مطارحاته أنه لو "احتفظ حكام الدولة المسيحية بالروح الدينية التي رسمها لنا مؤسس المسيحية ، لكانت دولة النصرانية وجمهورياتها في وضع أكثر اتحاداً وأكثر سعادة مما هي عليه ، ولو أراد أحد أن يخمن الأسباب التي أدت إلى تدهور هذه الروح الدينية لما وجد خيراً من التطلع إلى تلك الشعوب التي تعيش على مقربة من كنيسة روما"<sup>(161)</sup> .

ويُحْمَلُ (ميكافيلي) في إطار دعوته للدولة المدنية الكنيسة الكاثوليكية وباباواتها ، مسؤولية انحراف الدين وفساد السياسة . ففي المقام الأول يقول (ميكافيلي) في مطارحاته ، "ولكننا ندين للكنيسة ورجالها بشيء أعظم ، ولعلّه هو السبب الثاني فيما لحق بنا من خراب ، فالكنيسة هي التي جزأت إيطاليا ومازالت تحافظ على تجزئتها"<sup>(162)</sup> . وفي المقام الثاني اقتنع بفساد السياسة والأخلاق في بلاده فرأى في تقييمه للحاكم والمحكوم أن الأول ثيوقراطي بعيد عن الواقع وأن الثاني لا يهتم إلا مصالحه المادية .

وباختصار فدعوة ميكافيلي إلى الدولة المدنية قامت على نتائج تحليلاته لفساد الدولة الثيوقراطية ((الكنيسية)) وعلى تشخيصاته لفساد أخلاق الناس

<sup>160</sup> أرنستو لاندرى ، أعلام الفكر السياسي ، مصدر سبق ذكره ، ص 125 .

<sup>161</sup> مطارحات ميكافيلي . ترجمة : خيرى حماد . ط 3 ، منشورات دار الأفق الجديدة ، بيروت ، 1982 ، ص 267 .

<sup>162</sup> المصدر السابق ، ص 268 .

بسبب خضوعهم لأطماعهم المادية وتفضيلها على أي شيء آخر بدون استثناء .

ومن هذه التحليلات ، انتهى (ميكافيللي) إلى أنه ينبغي فصل الأخلاق والدين عن الدولة ففساد الدين من فساد الكنيسة وفساد الأخلاق من طبيعة الإنسان الأنانية المتأصلة فيه غريزياً على ما يبدو .

ففي أحد نصائحه للأمير رأى (ميكافيللي) على الأمير قبل كل شيء "أن يتمتع عن سلب الآخرين ممتلكاتهم ، إذا أن من الأسهل على الإنسان ، أن ينسى وفاة والده ، من أن ينسى ضياع إرثه وممتلكاته ... " (163) .

فكان من أوائل دُعاة الدولة المدنية التي تتأى بنفسها عن التشريعات الدينية المسيحية ، وضبطها بقوة القانون الصارم ، لأهواء الرعيّة القائمة على فكرة الأنانية وحبّ التملك .

(3) أما مفهوم الدولة عند الإخوان المسلمين فهو يقوم على ما جاء في القرآن الكريم والسنة الشريفة ومرجعية إخوانية ، أي على أساس ما سار عليه السلف الصالح ، وذلك اعتماداً على أن الله جلّ جلاله أنزل القرآن وأمر عباده أن يتبعوا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، وأن الله رضى للبشر الإسلام ديناً ، وضمّن الله في هذا الدين القويم مجمل الأصول والقواعد الضرورية تمثيلاً مع قوله تعالى : (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ

<sup>163</sup> نيكولو ميكافيللي ، الأمير ، ترجمة : خيرى حماد ، ط 12 ، منشورات دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، 1982 ، ص . 245

الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ...)

(سورة الأعراف / الآية 157) .

ويرى الإخوان المسلمون من خلال رسالتهم الدعوية لفهم مقاصد الشريعة والأهداف الإسلامية العالمية ، قيام دولة العدل والمساواة بين الناس قاطبة ، ويرون أن تاريخ الحضارة العربية والإسلامية بما قدمته من عباقرة وحقائق علمية وثقافية واعدة كفيلا أن يكون رسالة مطمئنة للناس بكافة أديانهم ومذاهبهم وأحزابهم باعتبار العدل هو أساس الملك .

ويستشهد الإخوان المسلمون بمسيرة التاريخ الإسلامي الذي أثبت أن المقومات النظرية التي طرحها الإسلام كانت أساساً متينة لدولة متينة وحضارة إسلامية إنسانية ، أنارت عصوراً عديدة ، شهد فيها المسلمون وغيرهم دولة الحق والقانون والعدل بما كفل فيها للمسلمين وغيرهم من أهل الديانات الأخرى المساواة في الحقوق والواجبات ، كما يتهمون بحريّة الاعتقاد . مع اعتبار العدل أساس الحضارات وأنه أساس الشريعة الإسلامية (164) .

4) ففي إطار البرنامج الانتخابي للإخوان المسلمين في مصر ، ومن خلال تقبلهم لفكرة الدولة المدنية بدء دور الإخوان المسلمين في الحراك السياسي العملي الداعي للدخول في الانتخابات المصرية بفعالية مستخدمين شعار "الإسلام هو الحل" قبل أن يتم تعديل الدستور بحذر الأحزاب على أساس ديني في 25/09/2013 م ، وقبله منع استخدام الشعارات الدينية في الانتخابات عام 2007 م ، وفي عام 2011 م ، الذي شهد فيه الإخوان ذروة

<sup>164</sup> راجع : د. عصام العريان : الإخوان المسلمون ومفهوم الدولة . موقع مآرب ؟؟؟؟ في إطار برنامج الحزب .

نجاحهم في تجربتهم الجادة الجديدة للوصول إلى الحكم في مصر من خلال السّياق السياسي للرئاسة تحت شعار "الإصلاح الشامل" في كافة مناحي الحياة<sup>(165)</sup> .

ولما كان قانون الأحزاب في مصر الصادر عام 1977 م الدّاعي للتعددية الحزبية قد تمّ تعديل المادة رقم (5) فيه نتيجة استفتاء 2007/3/26 م التي تنص على منع تأسيس النشاط الحزبي على أساس ديني<sup>(166)</sup> . كان من الضروري على الإخوان الولوج في مجال الدولة المدنية ، والانخراط في الانتخابات على أساس مستقلين ليتبوؤوا بأغلبية برلمانية ، ورئاسة الدولة المصرية ولأول مرّة في تاريخهم .

ولمّا كان الجميع يتخوفون من نوايا الإخوان المسلمين بعد وصولهم للحكم ، وكانت هناك عدّة أسئلة ملّحة من قبل الأحزاب الأخرى من الضروري الإجابة عنها في برنامج حزب "الحرية والعدالة" الذي تأسس في إطار دخول الجماعة من خلال الدولة المدنية كان من الضروري على الإخوان المسلمين تضمين المبادئ الأساسية لحزب "الحرية والعدالة" بما يؤكد انسجام الجماعة مع مبادئ الدولة المدنية واحترام الديمقراطية وفكرة التداول على السلطة طالما أنّها استحقاقات ضرورية لساحة العمل في السياسة .

وفي هذا الإطار أعلن حزب "الحرية والعدالة" المنبثق عن جماعة الإخوان المسلمين في مصر القبول بالدولة المدنية التي تتغاضى عن بعض

<sup>165</sup> راجع عمر حمزاوي : جماعة الإخوان وانتخابات 2010 البرلمانية : جريدة المصري اليوم ... 2010/11/ م .  
<sup>166</sup> راجع المادة (74) من دستور مصر الصادر عام 2014 م "يقوم النظام السياسي في مصر على أساس تعدد الأحزاب وذلك في إطار المقومات والمبادئ الأساسية للمجتمع المصري .. ولا يجوز مباشرة أي نشاط سياسي أو قيام أحزاب سياسية على أي مرجعية دينية أو أساس ديني ... " .



الاستحقاقات المُلحّة في اعتقادهم كدفع الجزية وغيرها كفكرة الانتخابات وتطبيق فكرة المواطنة التي يتساوى فيها أصحاب الأديان الأخرى مع المسلمين ، والجميع أمام القانون مهما اختلفت دياناتهم ومذاهبهم وأجناسهم بما في ذلك مشاركة المرأة بفعالية في الحياة السياسية .

هذا وفي إطار الطمأنة ، والتخلص من ظاهرة فوبيا الجماعة لدى الأحزاب الأخرى ، ولدى الأقباط على وجه الخصوص ، "أعلن حزب "الحرية والعدالة" المنبثق عن جماعة الإخوان المسلمين أنّ المفكر المسيحي (رفيق رفيق حبيب) نائب رئيس الحزب يشغل حالياً منصب القائم بأعمال رئيس الحزب لحين عودة رئيسه (محمد سعد الكتاتيني) إلى منصبه" (167) .

وقد أدّى المنعطف الفكري لدى الإخوان المسلمين في مصر إلى التخلي تماماً عن الكثير من المرجعيات التي كانوا يتمسكوا بها في مناشداتهم السابقة لتحقيق الخلافة الإسلامية بكافة شروطها بما فيها التمسك بتطبيق الحدود وفرض الجزية على أهل الذمة . وظهر هذا التغيير الفكري لدى الجماعة واضحاً من خلال البرنامج الانتخابي الذي طرحتهُ الجماعة في انتخابات مجلس الشعب 2010 م فقد جاء في البند الخامس ((رعاية حقوق المواطنة ، وصيانة الوحدة الوطنية)) ما يأتي :

<sup>167</sup> موقع الجزيرة نت ، مسيحي يقوم بأعمال رئيس الحرية والعدالة ، 2013/09/13 م .  
- انظر أيضاً فرانس (24) "مسيحي نائباً رئيس "حزب الحرية والعدالة" المنبثق من "جماعة الإخوان المسلمين" .. ونقل موقع الإخوان الإلكتروني عن القيادي في جماعة الإخوان المسلمين عن سعد الكتاتيني قوله أن الحزب يضم أيضاً حوالي ألف امرأة" .  
- راجع أيضاً عبد الرحيم علي : الإخوان المسلمون : فتاوي في الأقباط والديمقراطية والمرأة والفرن ، ط 1 ، مركز المحروسة ، القاهرة ، 2005 .

نحن نؤكد في هذا الجانب على ثوابتنا التي نرعاها وندعو إلى حمايتها

وهي :

- "أنّ المصريين مسلمين ومسيحيين نسيجٌ وطنيٌّ واحد متلاحم ومتكامل وهم متساوون في كافة الحقوق وعليهم كافة الواجبات ، دون تمييز أو تفرقة وعليهم جميعاً رفع الظلم الواقع عليهم .
- أنّ أساس المواطنة المساواة التامة أمام الدستور والقانون والمشاركة الكاملة في الحقوق والواجبات مع خصوصية الأحوال الشخصية "كل حسب شريعته" (168) .

وأيّاً كانت المقاصد لدى الجماعة من تجاوز استحقاقات سابقة لدولة الخلافة وفي مقدمتها قضية الجزية التي تؤخذ من أهل الدّمة الباقيون على ديانتهم ، وذلك مقابل حمايتهم من قبل المسلمين . ولمّا أصبحت فكرة المواطنة **Citizenship** تفرض المساواة بين المواطنين مهما اختلفت أديانهم في الدفاع عن الوطن ، سقطت فكرة الجزية ، كما اسقطها (أبو عبيدة بن الجراح) في فتح الشام ، وغيره من قادة الفتوحات الإسلاميّة .

هذا ما كان في شأن لعبة السياسة التي أقحم الإخوان المسلمين أنفسهم فيها بشراة دون خبرة عملية معتمدين على ما يبدو على شعار ميكافيللي ((الغاية تبرر الوسيلة)) ويبدو أنّهم ساروا في هذا الاتجاه فكثير من الأحزاب السياسية نفذت للحكم تحت الدولة دستورياً حتى أعادت صياغة الدستور بما يتمشى على

<sup>168</sup> البرنامج الانتخابي للإخوان المسلمين "الانتخابات البرلمانية والرئاسية" في مصر عام 2010 م ، موقع نافذة مصر ، 2010/11/04 م .

هواها ، فأقصت الأحزاب الأخرى وترفعت على عرش السلطة لتطبيق برامجها غير المُعلنة والتي لم يكن في وسعها أن تقوم بتطبيقها لولا سياسة الخداع وتبرير الوسيلة من أجل الوصول إلى الغايات غير المقبولة لدى الغير .

ولا يفوتنا أن هذه من نقاط ضعف الديمقراطية الغربية وعيوبها هي الأخرى حينما لا تستطيع أمام الأغلبية وضع حدود تمنع سحق الأقلية فكانت نقطة الضعف هذه مدخلاً لعقائد شوفينية وأخرى ديكتاتورية كما هو الحال في حكم الحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي سبعون عاماً ، وتسلسل الحزب النازي الألماني قبل الحرب العالمية الثانية تحت شعار الاشتراكية مهيمناً على الحياة السياسية بإقصاء الأقلية والديمقراطية نهائياً تحت شعار (ألمانيا فوق الجميع) .

#### تعقيب :

في ظل غزو الحضارات الغربية لمجتمعاتنا العربيّة والإسلاميّة منذ سقوط دولة الخلافة في إطار الإمبراطوريّة العثمانية ، من الطبيعي أن ينشأ عن البيئة السياسية والحضارية الجديدة المعاصرة صراع بين القديم والحديث من معتقدات وثقافة . وكان السؤال المطروح على الساحة العربيّة والإسلاميّة مفاده هل التواصل الحضاري للتاريخ يقتضي بالضرورة طمس الأديان والقيم السياسية والأخلاقيّة النابعة عنها من الناحية العملية نهائياً وبدون استثناء لتحل محلها قيم معاصرة مستحدثة تقوم على الإقصاء ، وفرض وحدانية المنهج والعقيدة كمحور أوحده لأساليب الحياة والسياسة والاقتصاد ؟ .

إن تاريخ الحضارة الإسلاميّة لم يسجل خلال الحُقب المتواترة فرض للعقيدة الإسلاميّة بالقوة على أهل الدّمة ، بل شهدت حُقب إسلاميّة ابتداءً من

عصر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الخلافة إلى آخر تطوّر الدولة الإسلامية احتراماً للأديان والثقافات المنبثقة عنها .. فكانت دور الأديان اليهودية والمسيحية والإسلامية تتواجد في كثير من الأحيان بجانب بعضها بعضاً ، احتراماً لحرية العقيدة أولاً وانطلاقاً من المساواة في المواطنة لأتباع مختلف المعتقدات على أن تكون حرية كل مواطن تنتهي عند حدود حرية المواطن الآخر . تلك هي حقيقة تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في أوج قوتها ، حتى سقوط دولة الخلافة الإمبراطورية العثمانية في بداية القرن العشرين .

## العدالة الاجتماعية :

### 1) مفهوم العدالة قديماً وحديثاً في النظام الليبرالي :

العدالة هي إحدى النظم الاجتماعية التي من خلالها يتم تحقيق المساواة بين جميع أفراد المجتمع وتعني أيضاً المساواة في الحقوق بين جميع أفراد المجتمع بغض النظر عن الجنس أو العرق أو الديانة والتمتع بحياة كريمة دون تحيز .

وقد ناقش الغرب مفهوم العدالة ومن بينهم الفيلسوف اليوناني ((أرسطو طاليس)) والفيلسوف الليبرالي ((جون رولز)) الذي اعتبر أن فكرة العدالة الاجتماعية هي فكرة فلسفية تقوم على مجموعة من التصورات والنظريات بعيداً عن السياسة حيث بُنيت أفكاره على أفكار جيرمي بينتام *Jeremy Bentnam* 1748-1832 وجون ستيورات مل *J. Stuart Mill* وكانط *Immanuel*

1724-1804 *Kant* ، كما أن للمفكرين والفلاسفة تعريفات مختلفة للعدالة في

الفكر الفلسفي والسياسي الغربي منذ العصر اليوناني حتى الآن .  
وهذا نشأ نتيجة اختلاف الظروف والأعراف التي كانت تسود المجتمعات في ذلك الوقت .

يُعرف بعض الفلاسفة العدالة أنها عبارة عن مبدأ مثالي أو طبيعي أو توافقي يتكفل بتعيين الحق ويُوجب الإقرار به ، كما سنرى لدى "أرسطو" قديماً و"جون رولز" حديثاً .

ومن هذا المنطلق فالعدالة بمعناها العام تشمل جميع الفضائل . أما بمعناها الخاص فهي فضيلة تحتم بموجبها إعطاء كل فرد حقه . ولكي نحترم المنهجية في عرض تطور مفهوم العدالة الاجتماعية في الفكر الليبرالي الغربي علينا عرض هذا المفهوم قديماً وحديثاً .

#### (أ) مفهوم العدالة الاجتماعية في العصر اليوناني :

ولما ظلت الحضارة الغربية في كثير من الأحيان تستقي مبادئها من اليونان الإغريقية فإن الإشارة إلى رأي الفيلسوف اليوناني "أرسطو طاليس" الذي لقبه العرب بالمعلم الأول ، في مفهوم العدالة مفيد لمقارنته بما جاء به الإسلام من ناحية ، وبما تتبناه الحضارة الغربية المعاصرة في شأن مفهوم العدل والعدالة .

يقول (أرسطو) في كتاب الأخلاق "الببيقوماخوسية" موثقاً العلاقة بين الصداقة والحكم والعدالة موضحاً المعنى الحقيقي للعدل خلال (أشكال الممالك) أو الحكومات ، فإن هذه الأخيرة " تتسلط بمقدار ما يتسلط العدل . فإن الملك

يحب رعاياه بسبب علوه الذي يسمح له بأن يتفضل عليهم لأنه يُسعد الناس الذين يحكمهم ما دام أنه بما له من الفضائل الممتاز بها يُعنى بتصويرهم سعداء عناية الراعي بقطيعه . وعلى ذلك يُسمى "هوميروس أغامنون" " أي راعي الأمم " (169) .

ويشير أرسطو في الموضوع نفسه إلى السلطة الأبوية التي تتميز عن الحاكم في مجال الصداقة والعدل على اعتبار أن نعم الأب هي على ذلك أعظم قدراً ، على أساس أن " الوالد هو واهب الحياة . أنه واهب ما هو معتبراً أكبر النعم " (170) .

ويرى أرسطو في هذا المقام - مؤكداً أن العدل مرتبط بالصداقة والمحبة في ترسيخ العدالة الاجتماعية في شتى أشكال الجماعات البشرية - " إن احساسات المحبة والصداقة هذه تنتج من تفوق أحد الطرفين وهذا هو الذي يحملنا على تعظيم والدينا " (171) . أنه تشبيه جميل للأبوة يذكرنا بقوله تعالى : (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفًّا وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا \* وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَّانِي صَغِيرًا) (سورة الإسراء / الآيتان 23 و 24) .

ويرى أرسطو طاليس مقارناً بين أنظمة الحكم في مجال المحبة والصداقة وأثرها على العدل والعدالة قائلاً : " ولكن في الأشكال الفاسدة لهذه الحكومات

<sup>169</sup> أرسطو طاليس : علم الأخلاق - إلى نيقومافوسي ، ترجمة : أحمد لطفي السيد ، ط 1 ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1934 م ، ص 259 .  
<sup>170</sup> المصدر السابق ، نفس الصفحة .  
<sup>171</sup> المصدر السابق ، الصفحة ذاتها .

كما أن العدل يتضاءل تدريجياً تتضاءل المحبة والصدقة أيضاً ، وحين يوجد منها القدر الأقل فذلك في أقبح هذه الأشكال السياسية " (172) .

خلاصة الأمر في العدل والعدالة الاجتماعية والسياسية لدى أرسطو طاليس هو أن هذه التجمعات البشرية لا يمكن أن يتوفر فيها العدل إلا باستحقاقات الصداقة والمحبة اللتان يمثلان حاضنة للعدل ، وكأن بأرسطو يتبنى القول المأثور ، إن العدل هو أم الفضائل ، وأن غياب هذه الخصائص في العلاقة بين الجماعات البشرية كبرت أم صغرت ، يحيلها إلى علاقة ميكانيكية أشبه برابطة الصانع بالآلة .

ومع التطور الفكري للمجتمعات الغربية يلاحظ النأي عماء وجدناه من أجواء إنسانية في الغالب بشأن فكرة العدل والعدالة والصدقة ، ومفهوم الفضيلة . وبالرغم من أن أرسطو يعتبر الديمقراطية هي أفضل الفضائل حاضنة لفكرة العدالة " (173) . إلا أن الديمقراطية المعاصرة مزقت العلاقات الاجتماعية الحميمة ، ورسخت في المجتمع روح الصراع على السلطة لابتغاء مكاسب مادية .

### **(ب) مفهوم العدالة الاجتماعية في النظام الليبرالي المعاصر :**

هذا وكما عرفنا النقد الذاتي للديمقراطية الغربية المعاصرة في فقرة الديمقراطية في هذا الفصل من خلال انتقادات توكفيل ، نرى من الضروري أن نعرض في هذا السياق ذاته ، النقد الذاتي للعدالة الاجتماعية في الفكر الغربي الليبرالي كما يراها جون رولز الذي يقول

<sup>172</sup> المصدر السابق ، الصفحة ذاتها .

<sup>173</sup> المصدر نفسه ، ص 260 .

في فقرة النفعية التقليدية *L'utilitarianism Carriune* " إن هدفي هو إيجاد نظرية في العدالة تمثل بديلاً عن الفكر النفعي عموماً وبالتالي عن جميع الاشتقاقات المختلفة المتفرعة عنه " (174) .

من المؤسف القول إننا نرى العدالة الاجتماعية في العالم الغربي المعاصر بصفة عامة ومن يقتدي به في أمريكا بصفة خاصة غير مُصانة بسبب قيام بُنيته الأساسية على المذهب النفعي المعاصر ، المتمثل في الفلسفة الذرائعية (العملية) كما صاغها "وليم جيمس" في كتابه *The Pragmatism* ، وللأسف نرى أن منظومة العدالة الاجتماعية والسياسية من خلال المنظور النفعي البراجماتي قد انتشرت في العالم من خلال المؤسسات والهيئات الدولية التي تسعى إلى فكرة العولمة تحت مظلة قيم وأخلاق وسياسات هذه الفلسفة الغربية ، متجاهلة الأسس الثقافية والاجتماعية للمجتمعات غير الغربية ما يعني القضاء على التراث الثقافي لدى الشعوب .

من الداعين إلى نقد النفعية المعاصرة نجد الفيلسوف جون رولز *John Rawls* الذي حاول طرح مفهوم العدالة طرحاً بعيداً عن النفعية المعاصرة ، موضحاً الدور الإنساني للعدالة في قوله : " العدالة هي الفضيلة الأولى للمؤسسات الاجتماعية ، كما هي الحقيقة للأنظمة الفكرية ، ومهما كانت النظرية أنيقة ومقتصدة لا بد من رفضها إذا كانت غير صادقة " (175) . ويرى (رولز) منتقداً العدالة الاجتماعية في الفكر الليبرالي الذي هيمنت عليه النفعية

<sup>174</sup> جون رولز : نظرية في العدالة ، ترجمة : د. ليلي الطويل ، ط 1 ، الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، 2011 م ، ص 51 .  
<sup>175</sup> المرجع السابق ، ص 29 - 30 .



التقليدية المكرسة لتغليب مصلحة الفرد على حساب مصلحة الجماعة ،  
والفاتحة لباب الصراع على السلطة على مصريه ، أنها عدالة زائفة - مؤكداً  
أن " كل شخص يمتلك حرمة غير قابلة للانتهاك بالاستناد إلى العدالة بحيث  
لا يمكن تجاهلها أو تجاوزها حتى لمصلحة رفاهية المجتمع " (176) .

وفي إطار نقد (جون رولز) لتطبيقات الليبرالية المتجاهلة لمفهوم العدالة  
الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في المجتمع الغربي . حيث يرى أن المجتمع  
الغربي يعج بالنزاع في المصالح بسبب عدم حيادية أو عدم مبالاة أفراد  
المجتمع " تجاه كيفية توزيع المنافع الأكبر الناتجة عن تشاركتهم " ، حيث إن  
تحقيق الغايات القصوى لدى الأفراد تدفعهم إلى الاستحواذ على الحصة الأكبر  
من الحرية والمنافع ، ويرى (جون رولز) أنه لا بد لعلاج هذه الظاهرة القائمة  
على نفعية تدخل في إطار الأنانية الصارخة ، لا بد من ترسيخ حزمة من  
المبادئ العادلة التي تحدد أفضل الطرق لتقييم المنافع في إطار اتفاقية للتوزيع  
المناسب للحصص . ورأى "جون رولز" أن هذه الترتيبات أو " هذه المبادئ هي  
مبادئ العدالة الاجتماعية : أنها تقدم طريقة لتخصيص الحقوق والواجبات في  
المؤسسات الأساسية للمجتمع وهي تحدد التوزيع المناسب لمنافع وأعباء الشراكة  
الاجتماعية " (177) .

هذا ما ينتقده "جون رولز" في قضية العدالة الاجتماعية والاقتصادية في  
الفكر الليبرالي . لكن طرحه للعدالة الاجتماعية في كتاب (نظرية في العدالة)  
آثار العديد من الانتقادات من أصحاب الفكر التقليدي ، ما دفع (جون رولز)

176 المصدر السابق ، ص 30 .

177 المصدر السابق ، ص 31 .

إلى إعادة صياغة (نظرية في العدالة) في كتاب (العدالة كإنصاف) (إعادة صياغة) .

وهو الكتاب الذي يُعد من أشهر مؤلفات ما بعد الحداثة الذي " أعلن فيه معارضته الشديدة للتشكيك في قيمة العدالة الخُلقية ، وقدم نظريته بشأنها التي تقوم على إرساء مبادئ دولة الرفاهية المؤسسة على احترام الحريات والتوزيع العادل للموارد الاقتصادية وتكافؤ الفرص الاجتماعية ، رافضاً التفسيرات الفلسفية القديمة المرتبطة بالأفكار الأخلاقية المحضّة أو الأفكار النفعية المحضّة " (178) .

هذا " ويقترح رولز لتحقيق العدالة تحقيقاً مثالياً مبدأين عامين يمثلان جوهر الدستور الليبرالي العادل ويشكلان شكلاً متكاملاً بحيث يكون لأولهما أولوية لتحقيق الثاني الذي يمثل في المساواة الكاملة في الحريات والحقوق الإنسانية والمساواة المصنفة في الفرص وتنظيم اللامساواة وفق طبيعة توزيعية عادلة " (179) . حيث تقوم العدالة عند (جون رولز) على مبدأ الإنصاف وهو حق الأفراد في التساوي في الحقوق الإنسانية .

<sup>178</sup> محمد عثمان محمود ، العدالة الاجتماعية الدستورية في الفكر الليبرالي السياسي المعاصر ، ط 1 ، (الدوحة ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسة ، 2014) ، ص 34 .  
<sup>179</sup> المرجع السابق ، ص 201 .

## (2) مفهوم العدالة الاجتماعية في الإسلام :

### (أ) روح الكتاب والسنة :

أهتم الإسلام بمسألة تحقيق العدالة الاجتماعية ، من خلال منظومة شاملة لجميع جوانب الناس ، ولم تأتِ شريعة من الشرائع السماوية بما جاء في الإسلام . فلاسلام أكد على مبدأ المساواة في الحقوق بما يتوافق مع مبدأ الواجبات .

كما حرص الإسلام على إزالة الفوارق بين طبقات الناس من خلال حث الجميع على العمل ، والتأكيد على مبدأ المساواة بينهم في الحقوق والواجبات أمام العدالة الإلهية ، فكل المسلمين في الشريعة الإسلامية والقانون غير متناقض معها سواسية لا فرق بين غني وفقير ولا قوي وضعيف ولا أبيض وأسود . وقد تمثلت العدالة الاجتماعية في خطبة الوداع حيث قال الرسول صلى الله عليه وسلم : " يا أيها الناس ، إن ريكم واحد ، وأن أتاكم واحد ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا أعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود ، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى " (رواه الإمام البيهقي من حديث جابر رضي الله عنه الألباني في السلسلة الصحيحة) . وفي حديث آخر ، رواه أبو داوود والترمذي أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : " الناس بنو آدم وآدم من تراب " .

كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : " إنما هلك الذين قبلكم ، أنهم إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله

، لو سرقت فاطمة بنت محمد ، لقطعت يدها " . (متفق عليه ، رواه البخاري ،  
ومسلم ، وأبو داوود ، والترمذي والنسائي) .

إن ما جاء به النبي الأمين منبثق من مشكاة واحدة مصدرها قوله تعالى :  
(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ  
أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ...) (سورة الحجرات / الآية 13) . فالفرائض والأركان  
التي وضعها الشريعة الإسلامية وأكدت عليها لتحقيق العدالة وعلى رأسها  
فريضة الزكاة ، فالزكاة فرضها الله كحق معلوم للفقراء والمحتاجين في أموال  
الأغنياء وأن تطبيقها يحقق العدالة حيث تمنع الفوارق الاقتصادية بين الناس .

#### ب) العدالة الاجتماعية في مسيرة الإخوان :

وإذا رجعنا لمفهوم العدالة الاجتماعية للإسلام من المصادر الإخوانية  
الرئيسية ، نجد أن في مقدمتها أفكار (الحسن البنا) (المؤسس) وأفكار (السيد  
قطب) (المنظر) ، توضح هذه القاعدة باستفاضة ، كما أكدت جماعة الإخوان  
المسلمين في بادئ الأمر على ضرورة تحقيق العدالة وتناول سيد قطب في  
كتابه (العدالة الاجتماعية في الإسلام) مسألة المساواة الإنسانية وتحدث عن  
أساليب تحقيقها حيث يقول : يقيم الإسلام هذه العدالة على أسس ثابتة فهو  
بطبيعته دين تنفيذ وعمل في واقع الحياة وأن نظرة الإسلام إلى الحياة الإنسانية  
تجعل العدالة الاجتماعية عدالة إنسانية شاملة لكل مقومات الحياة ولا تقف عند  
الماديات والاقتصادية (180) .

<sup>180</sup> انظر : سيد قطب ، العدالة الاجتماعية في الإسلام ، ب ط ، دار الشروق ، القاهرة ، 1995 ، ص 31 .

وفي البرامج الانتخابية المتعاقبة في مصر كانت الجماعة تركز على المطالبة والسعي لتحقيق العدالة الاجتماعية من منظور التشريع الإسلامي ، على اعتبار أنه يتناقض مع مفهوم العدالة الاجتماعية في النظام الليبرالي . وهنا يعني أن الجماعة ترفض المفهوم الليبرالي للعدالة الاجتماعية ، لكنها تحصر تطبيقات العدالة الاجتماعية في الإسلام لتكون مرهونة بدولة الخلافة ، أو أن تكون تشريعاتها - على الأقل - من منظور الجماعة .

لكن فالعدالة مفهوم واسع تتدرج تحته العديد من الحقوق والواجبات اللازم تفعيلها من أجل التعايش السلمي لخلق نظام اقتصادي اجتماعي ذات أساسات صلبة وتحقق الإنصاف في جميع جوانب الحياة وليس في الشق الاقتصادي فقط .

إن افتقار المجتمعات للعدالة كان من الأسباب التي أدت إلى وقوع الثورات ، لذلك يزعم جميع قادة الحركات الإصلاحية استهداف إقامة العدل والقضاء على كافة أشكال الظلم . فالعدالة الاجتماعية من أهم العوامل التي قامت عليها ثورة 25 يناير في مصر ودول عربية أخرى وكانت مدخلاً للجماعة للوصول إلى السلطة ، حيث كان هناك تفاوت طبقي واسع بين طبقات المجتمع المصري ، خاصة خلال العشر سنوات الأخيرة ، فكان شعار الثورة (عيش - حرية - عدالة - اجتماعية) ، وإن أحد أهداف الثورة كان إسقاط نظام الإقطاع . إن الشاهد الرئيسي هو أن العدالة الاجتماعية هي إحدى محركات الشعوب للثورات والإصلاح ، هذا هو ما تبنته جماعة الإخوان المسلمين منذ نشأتها عام 1928 م على يد (حسن البنا) من خلال مسيرتها الدعوية .

فالعدالة الاجتماعية يجب أن تقوم على أخلاق المحبة ، بحيث يحب المرء لغيره ما يحبه لنفسه والعمل من أجل تطبيق المساواة العادلة وبت روح التضامن بين جميع أفراد المجتمع في كافة مجالات الحياة سواء كانت الاجتماعية أو الثقافية أو الاقتصادية من أجل توفير الحياة الكريمة لكافة المواطنين .

### ج- آراء السيد قطب مُنظر الجماعة في العدالة الاجتماعية :

من الجدير بالذكر أن العدالة عند الإخوان المسلمون ومنظريهم الرئيسيين تأتي على غير ما جاءت به الليبرالية بسبب اختلاف الظروف والمضامين العقدية بين الاثنين (أي الليبرالية والفكر الإخواني) .

فالليبرالية كما أسلفنا القول جاءت كردة فعل ضد هيمنة الكنيسة على عقول الناس لمصالح في معظمها اقتصادية وسلطوية لا تستند إلى تشريعات إلهية منزلة ، الأمر الذي ضاق به أصحاب الفكر الحر في أواخر مرحلة العصور الوسطى لأوروبا ، رافضين حكم الكنيسة المضطهد للفكر الحر المستغلة لعقول البسطاء اقتصادياً من خلال صكوك الغفران ، وتصدر (قرارات الحرمان) مضطهدة الفكر الحر من خلال (محاكم التفتيش) .

وفي هذا المجال يقارن السيد قطب في كتابه (العدالة الاجتماعية في الإسلام) بين الظروف التي دفعت المسيحيين إلى العلمانية والظروف التي تستوجب هذا التوجه في الشرائع الإسلامية .

يقول السيد قطب : " في عالم الاقتصاد ، لا يلجأ الفرد إلى الاستدانة ، وله رصيد مذكور ، قبل أن يراجع رصيده ، فيرى إن كان فيه غناً ، ولا تلجأ الدولة إلى الاستيراد قبل أن تراجع خزائنها ويُنظر في خاماتها ومقدراتها كذلك . أفلا يقوم رصيد الروح ، وزاد الفكر ووراثات القلب والضمير ، كما تقوم السلع والأموال في حياة الناس ؟! " (181) .

ويرى (السيد قطب) في مفهوم العدالة الاجتماعية في الإسلام أن كنوز الدين الإسلامي كما هي في القرآن الكريم روحياً وعملياً يتجاهلها المسلمون المعاصرون ، فهم عند " استيراد المبادئ والنظم والقوانين فلا تصنع شيئاً من هذا كله " (182) .

ويطرح السيد قطب أفكاره المخالفة لاتهام الإسلام بأنه دين عبادة روحية ، ودعوة للعزوف عن الحياة العملية ، أو المشاركة في تطور المجتمعات وأنه عقبة أمام عجلة النمو الاجتماعي والاقتصادي والعلمي قائلاً : " فإذا شاهدنا في بعض العصور محاولة لتنظيم الجانب التعبدية في هذا الدين وعزله عن الجانب الاجتماعي ، أو عزل الجانب الاجتماعي عنه ، فتلك آفة العصر لا آفة الدين " (183) .

ويستشهد (السيد قطب) في هذا الشأن بقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ

<sup>181</sup> سيد قطب ، العدالة الاجتماعية في الإسلام ، ب ط ، دار الشروق ، القاهرة ، 1995 ، ص 7 .  
<sup>182</sup> ويقول السيد قطب استكمالاً لهذه الفكرة في هذا المجال " ولا تخرج أن تلقى بكل تراثها الروحي ، وكل مقوماتها الفكرية ، وكل الحلول التي يمكن أن يتجه لها النظر فيما لديها من أسس ومبادئ ونظريات ، تستجلب المبادئ الديمقراطية أو الاشتراكية ، أو الشيوعية فتوكل إليها حل مشكلاتها الاجتماعية مهما اختلفت أوضاعها ، وظروفها ، وتاريخها ، ومقومات حياتها المادية والفكرية والروحية ، عند ظروف القوم فيما وراء البحار ، وفيما خلف الشهور !! " .  
<sup>183</sup> المصدر السابق ، ص 12 .

لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ \* فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ... (سورة الجمعة / الآيتان 9 - 10) .

ويُشير إلى أن الإسلام لا يعتبر العبادة فيه مختزلة في إقامة الشعائر ،  
فالحياة كلها مسخرة لشريعة الله ، لكن في الغالب في النهار هو المعاش لا  
للشعائر التعبدية مستشهداً بقوله تعالى : (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَاسًا \* وَجَعَلْنَا النَّهَارَ  
مَعَاشًا) (سورة النبأ / الآيتان 10 - 11) .

وفي إطار علاقة العدالة الاجتماعية في الإسلام وارتباطها بنظام الحكم  
يرى (السيد قطب) مهما تشابهت بعض الأنظمة في بعض جوانبها  
بالإسلام أو اختلف معه فإن الإسلام يمضي في طريقه المتفرد مهما كان  
الاتفاق أو الاختلاف ويرى السيد قطب " أن القاعدة التي يقوم عليها النظام  
الإسلامي تختلف عن القواعد التي تقوم عليها الأنظمة البشرية جميعاً .. إنه  
يقوم على أساس أن الحاكمية لله وحده . فهو الذي يُشرع وحده . وسائر  
الأنظمة تقوم على أساس أن الحاكمية للإنسان ، فهو الذي يشرع لنفسه ..  
وهما قاعدتان لا تلتقيان . ومن ثم فالنظام الإسلامي لا يلتقي مع أي نظام .  
ولا يجوز وصفه بغير صفة الإسلام " (184) .

ويفضل (السيد قطب) الحديث عن " سياسة المال في الإسلام على اعتبار  
أنه كما يقول "هو أدخل شيء في الحديث عن - العدالة الاجتماعية -"  
ويرى أن الإسلام يتخذ نهجه في سياسة المال ، بما يتمشى مع نظريته العامة  
وفكرته الشاملة ، وفي إطار هذه السياسة - سياسة التصرف في المال - بأن

<sup>184</sup> المصدر السابق ، ص 76 .



يكون تداول المال خاضعاً لشرع الله ، وأن يحقق هذا الشرع مصالح الفرد ومصالح الجماعة دون أن يقع الفرد والجماعة في تضاد ، ودون أن يجانب ذلك الفطرة أو يعيق سنن الحياة الأصلية وغاياتها العليا البعيدة " (185) .

مما سلف ذكره يتضح لنا أن مفهوم العدالة الاجتماعية في الإسلام كما يطرحها منظرو جماعة الإخوان المسلمون لا تلتقي بأي حال مع الفكر الليبرالي ، وأن الخطابين في هذا الشأن على طرفي نقيض . وهذا يعني من ناحية أخرى أن محاولة جماعة الإخوان المسلمون التوافق مع نظام الحكم الليبرالي كما هو مطروح في كثير من الدول العربية ما هو إلا تخلي واضح عن الدعوة لإقامة دولة الخلافة أو انتهاج أساليب جديدة للوصول إلى الحكم .

ويعبر المنتقدون لفكر جماعة الإخوان المسلمون من السلفيين أن سياسة الإخوان المسلمين تعتمد على (فقه المرحلة) وأنها نوع تقية\* الإخوان المسلمون المتواترة عنهم والقائمة على نكران ما يعتقدونه في وقت القوة إلى درجة التخلص من أتباعها ممن لم يعلموا بهذا الفقه الباطني " (186) .

وفي النهاية ، فالإخوان المسلمين قد يكون لهم دور فعال - من خلال تاريخهم - في نشر الإسلام سلمياً وبعقلانية في أرجاء العالم ، وهذا لا يتم في

185 المصدر السابق ، ص 87 .

\* التقية : تعني لغوياً لخشية أو الخوف من الخطر على الحياة ، وهي أن يظهر المرء ما لا يبطنه ، وهي صفة كذب وبهتان مقبت إلا عند الخطر على الحياة باعتبارها خشية وخوف من محذور . يقول ابن القيم : " التقية أن يقول العبد خلاف ما يعتقد لانتقاء مكروه يقع به لو لم يتكلم بالتقية " (من أحكام أهل الذمة 1038/2) . وأصل جوازها قوله تعالى : (لَا يَنْخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ...) (سورة آل عمران / الآية 28) . ومع ذلك لا يجوز استخدام التقية للفتنة ، وأذية الآخرين كما فعل مُدعي الإسلام اليهودي عبد الله ابن سبأ ومن سار على نهجه في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

انظر : يوسف حامد الشنين ، الأديان السماوية بين العقل والنقل ، ط 1 ، منشورات جامعة قاربيونس ، بنغازي ، 2002 ، ص 453 وما بعدها .

186 عابد خليف الشمري ، 29 / شبكة سحاب السلفية ، 20 / 04 / 1425 هـ .

اعتقادي إلابالنأى بأنفسهم عن السعي للوصول إلى السلطة بأي شكل من الأشكال ، وأن يبيثوا الطمأنينة في نفوس الغير من خلال استهجان مشاريع الإسلام السياسي ، وإدانة أعمال المتشددين الإرهابية .

## الخاتمة والنتائج

قدمنا فيما سلف من خلال فصول هذه الدراسة ما يمكن أن نسميه ملحة الصراع بين الإخوان والليبرالية في مفهوم الرؤية المعاصرة الحديثة للسلطة السياسية . وعرضنا كيف أن التاريخ يُجبر في كثير من الأحيان لتكرار نفسه بالرغم من اختلاف الظروف الفكرية والاجتماعية بين ماضيه وحاضره .

ففي الوقت الذي كان فيه الدين عقبة أمام مسيرة الإنسان العلمية - كما شاهدنا في التجربة المسيحية خلال القرون الوسطى الأوروبية الأمر الذي دفع الفكر المسيحي آنذاك إلى الانفكاك عن عقلية منظره المتمترسين داخل أسوار الكنيسة لمنع كل ما يرونه مخالفاً لاجتهاداتهم ، وهو أمر دفع المسيحيين إلى فصل الدين عن الدولة تحت شعارات مختلفة منها الليبرالية والعلمانية - نجد دعاة هاذين الاتجاهين المذكورين أعلاه من المسلمين والمسيحيين يحاولون لي عنق التاريخ الإسلامي ويقتادونه في مسارات تختلف في ظروفها عن ما انتهجته الديانة المسيحية في العصور الوسطى .

ولما كانت كوادر الديانة المسيحية قد رضيت بعزلتها لغياب تشريعات إلهية في نصوصها المقدسة ، فإن كوادر الديانة الإسلامية (المفسرين والاجتهاديين) قد رفضوا إجبار الدين الإسلامي الغني بتشريعاته للاقتداء بغيره من الأديان في مجالات الحياة الفكرية والاجتماعية والسياسية .

هذا الاختلاف في الرؤية للدين الإسلامي من أنصاره ومعارضيه ، والظروف المحيطة به فجرت الاختلافات الفكرية والعملية بين دعاة الدولة

المدنية ودعاة الدولة الإسلامية ، وهو أمر أدى إلى ما وصلنا إليه من نتائج  
في هذا البحث المتواضع :

(1) الليبرالية والعلمانية لا تعني بالضرورة الإلحاد أو محاربة الدين أي دين ،  
فمعظم العلماء في عصرنا هذا وفي مقدمتهم علماء الفيزياء ليسوا  
ملحدين ، لكنهم لا يرون ضرورة في هيمنة رجال الدين عملياً على  
الفكر العلمي المعاصر وهذا يعني أنهم مؤمنين لكنهم يتحاشوا تكرار  
تجربة العصور الوسطى الأوروبية فيفضلون فصل الدين عن الدولة  
بحيث تظل فكرة الإيمان قضية بين الإنسان وربه ، وعلاقة الإنسان  
بالإنسان بالمجتمع من صميم القوانين الوضعية .

(2) الاختلاف في فحوى النصوص المقدسة بين الديانة المسيحية والديانة  
الإسلامية السمحتين ، دفع المسلمين وفي مقدمتهم جماعة الإخوان  
المسلمون إلى رفض فكرتي الليبرالية والعلمانية بسبب اختلاف الظروف  
المتعلقة بالديانتين .

(3) رأى دعاة الإسلام في العصر الحديث وفي مقدمتهم جماعة الإخوان  
المسلمون أن الدين الإسلامي سبق له أن خلق حضارة في مجالات  
العلوم المختلفة ، ساهم بها في التطور الحضاري للإنسانية . ومن ثم  
فنصوصه التشريعية في المجالات المختلفة يجب أن لا تُساوى بنصوص  
الديانة المسيحية ولا بظروف العصور الوسطى الأوروبية .

(4) إصرار جماعة الإخوان المسلمون لتحقيق دولة الخلافة أثار الريبة في  
النفوس من هيمنة حكم ثيولوجي منفصل عن روح العصر ، كما حدث

في آخر دولة خلافة ، ونعني به عصر الإمبراطورية العثمانية . وخاصة في صمت الجماعة عن تجاوزات جماعات الإسلام السياسي المعاصرة المتشددة ، في فرض رؤيتهم المتناقضة مع سماحة وإنسانية روح الدين الإسلامي التي اهتمت في ماضيها وحاضرها بفكرة المواطنة التي يعيش في كنفها المواطنون مهما اختلفت دياناتهم ورؤاهم .

(5) الدعوة للجهاد بالقوة كما جاءت في القرآن الكريم مرهونة بظروف محددة في مقدمتها الذود عن الوطن من معتدي خارجي أثم ، وفيها إشارة إلى إجبار قيام المشركين في مكة بإخراج المسلمين من ديارهم كما جاء في هجرة المسلمين من مكة إلى المدينة ، بالرغم من أن بداية الدعوة الإسلامية كانت دعوية تبشيرية لا إشارة فيها لاستخدام السيف.

(6) خالفت جماعات الإسلام السياسي المتشددة - تحت صمت حاضنتها جماعة الإخوان المسلمين - ظروف الجهاد ، فتبنت ما يُطلق عليه آية السيف وهي الآية الخامسة من سورة التوبة (فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) ، بالرغم من أن مصطلح السيف لم يذكر البتة في القرآن الكريم . وخالفوا اجتهادات الشيخ ابن تيمية في دعوته للجهاد التي جاءت بسبب ظروف الغزو الخارجي للمغول والصليبيين للأراضي العربية والإسلامية ، وعمموا (أي جماعات الإسلام السياسي المتشددة فكرة الجهاد بحيث تشمل محاربة المسلمين المختلفين معهم في الفكرة ،

وقتل أهل الذمة الآمنين . بالرغم من أن الآية الآنفة الذكر تتحدث عن  
المشركين - في ظل دولة المواطنة التي قبل بها الإسلام منذ بدايتها  
الأولى كما أوضحنا في الفصل الثاني .

(7) جعلت جماعات الإسلام السياسي المتشددة في آية السيف آية ناسخة  
لعدد كبير من الآيات القرآنية التي تترجم سماحة الإسلام ودعوته للمودة  
والمحبة بين المسلمين وإزاء أهل الديانات الأخرى . كما اختلط الأمر  
على جماعات الإسلام السياسي المتشددة التفريق بين المعتدي والمعتدي  
عليه في القرآن الكريم وتجاهلوا قوله تعالى في هذا الشأن في سورة  
المتحنة (8 ، 9) (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ  
يُخْرِجُواكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ  
الْمُقْسِطِينَ \* إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُم  
مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ  
الظَّالِمُونَ) . كما تجاهلوا قوله تعالى في سورة البقرة / الآية (191) :  
(وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقَفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّن حَيْثُ أَخْرَجُواكُم وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِّنَ  
الْقَتْلِ وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ  
فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ) .

(8) نجح الإخوان المسلمون في مجال الدعوة فاستقطبوا من المسلمين وغير  
المسلمين أعداداً لا يستهان بها ، ويُعد حزب الإخوان المسلمون الأقدم  
والأكثر نجاحات في مجال الدعوة ، لكنهم أصيبوا بإحباطات بمجرد  
لهثهم نحو السلطة السياسية ، ما أدى بهم إلى تغيير معتقداتهم في

نهجهم للوصول إلى مراميمهم السياسية ، وكان بهم قد اعتنقوا فكرة "التقية" لإخفاء ما في ضمائرهم من أهداف سلطوية خاصة بدولة الخلافة .

(9) ومع أن تحليلات الكثير من المتخصصين - في جماعات الإسلام السياسي المتشددة يرون " أن الإخوان كأى تنظيم بشري استكمل دورة حياته ، ويسير في مرحلة النهاية بالفعل ، إثر أخطاء استراتيجية وأهداف لم تتحقق " <sup>187</sup> ، وأن البعض يرى وفي مقدمتهم المحلل المصري (أحمد بان) أن الجماعة بعد أن تجاوزت تسعة عقود ، استكملت أطوار حياتها ، وهي تسير في سنواتها الأخيرة بالقصور الذاتي بعد أن ارتكبت الكثير من الأخطاء الاستراتيجية القاتلة منذ نشأتها ، إلا أن للجماعة أدبيات ، في سياقات دينية فحواها أن كل مئة عام يأتي قائد مُجدد ، وأن مؤسسها الأول حسن البنا كان مجدد القرن العشرين <sup>188</sup> \* .

(10) اتجهت جماعة الإخوان المسلمون نحو اعتناق الديمقراطية الغربية المطبقة في بعض الدول العربية وانحازوا إلى الرأسمالية والنيوليبرالية ، فأقحموا أنفسهم في معمعة الوصول إلى السلطة عن طريق الانتخابات ، وقد نجحوا بفضل نجاحهم في أساليبهم الدعوية للوصول إلى رئاسة الدولة في مصر وتصدروا المشاهد السياسية في ليبيا وتونس ، لكن خبرتهم السياسية الضئيلة في مجال الحكم السياسي من ناحية ، وتسرعهم في الكشف عن الإعداد لغرض دولة الخلافة دفع بهم إلى الهاوية من حيث لا يدرون .

<sup>187</sup> جريدة العرب اللندنية ، عيد ميلاد حزين للإخوان في عمر التسعين يسيرون نحو النهاية ، العدد الثلاثاء 20 مارس 2018 م .  
<sup>188</sup> المرجع نفسه .

\* هذه الأدبيات تعتمد في الحقيقة على الحديث الشريف في قوله صلى الله عليه وسلم "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها" . رواه الصحابي الجليل أبو هريرة في "المقاصد الحسنة (149) ، والألباني في "السلسلة الصحيحة (599) . كما تعتمد على قوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ) (سورة النساء/ الآية 59) .

11) ويبدو أن الإخوان - إذا ما أرادوا الخير للإسلام - هم في حاجة ماسة للتفكير جدياً في اتخاذ حميات سياسية بالتبرء من الجماعات الإرهابية والابتعاد عن اللهث وراء السلطة السياسية تحت أي مظهر من مظاهرها ، وخاصة أنهم قادرون من خلال تاريخهم على انتهاج الدعوة الناعمة لترسيخ العقيدة الإسلامية الوسطية السمحاء - التي نادى بها القرآن الكريم - في عقول المسلمين والناس جميعاً ، حتى تنشأ دولة الخلافة في قلوب المؤمنين ، وتقوم مملكة الله فيهم وتسود الأخلاق الإسلامية عملياً بغير حاجة لخليفة .

12) لاحظنا في الفصل الرابع من خلال المقارنة بين مضامين الخطاب الإخواني والخطاب الليبرالي في مجالات المرأة والدولة والعدالة الاجتماعية والديمقراطية الاختلاف الصارخ في التباين بين مضامين الخطابين ، لكن التباين بين الخطاب الليبرالي والخطاب القرآني قد يتضاءل في ضوء الأخذ بالاعتبار لخصوصيات العقيدة المسيحية والعقيدة الإسلامية في إطار الدولة المدنية ، فقد يجتمع الجميع تحت مظلة قوانين المساواة في الحقوق والواجبات ويتباينوا تحت مظلة معتقداتهم الدينية الخاصة في ظل فكرة المواطنة . كما يحدث حالياً في دولة مصر العربية .



## المصادر والمراجع

- (1) الدستور الليبي عام 1951 م .
- (2) أبرار كريم الله : من هم التتار ، ترجمة / رشيدة رحيم الصروق ، ط 1 ،  
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1994م
- (3) إبراهيم عبد الله البنا ، الفكر السياسي عند الإخوان ، آراء حسن البنا نموذجاً ،  
مجلة العلوم السياسية والقانون ، المركز الديمقراطي العربي للدراسات  
الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية ، العدد الأول ، لسنة 2017 م ، ملخص  
دكتوراه .
- (4) ابن تيمية ، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، ط 1982 م ،  
(مكتبة المعارف الرياضي ، المملكة العربية السعودية ، 1982) .
- (5) أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي : علوم القرآن أسباب  
النزول - ب ط ، دار الكتب العلمية ، 2000 م ، جزئية 295 .
- (6) احسان العتبي : الخلط بين التتار والمغول عند الكثيرين ، وجنكيز خان  
مغولي ، موقع ملتقى أهل الحديث .
- (7) أحمد صلاح عليّ : " أتلانتيك كاونس " : الفضائل أن بدأت لعبة الخطر مع  
السلفية المدخليّة . الموقع الالكتروني للمجلس الأطلسي "أتلانتيك كاونس" بوابة  
الوسط 07 / 11 / 2017 .
- (8) إدريس الكنبوري : عمر عبد الرحمن .. المرجع النظري لمنجز الجماعات  
الجهاديّة المعاصرة ، جريدة العرب اللندنية ، العدد (10553) بتاريخ  
2017.02.24 م .

- (9) أرسطو طاليس : علم الأخلاق - إلى نيقومافوسي ، ترجمة : أحمد لطفي السيد ، ط 1 ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1934 م .
- (10) أرنستو لاندري ، أعلام الفكر السياسي ، ط 1 ، دار النهار للنشر والتوزيع ، بيروت ، 1970 .
- (11) إسماعيل صبري عبد الله ، فهمي جدعان وآخرون ، الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي ، (ب ط ، مكتبة الشرق الأوسط ، ب م ، ب ت)
- (12) أماني قنديل : صياغة جديدة لقانون الجمعيات الأهلية ، جريدة الأهرام ، العدد (46292) ، 2013.09.03 م .
- (13) أنور الجندي ، أعلام الإسلام ، ب ط ، (دار الاعتصام ، ب م ، ب ت)
- (14) أياد حرفوش : السعودية والقومية العربية : من العداة إلى محاولة الامتطاء ، موقع الميادين نت ، 2016.06.18 م .
- (15) برهان عادل يوسف دويكات : الدولة المدنية عند الإخوان المسلمين وأثرها على شكل الدولة والنظام السياسي في مصر ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ، فلسطين ، 2013.05.15 م (ملخص الرسالة) .
- (16) بن عبد الرحمن الحوالي ، العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة ، ب ط (ب م ، ب ن ، ب ت) .
- (17) تقى ديارى ، وآخرون ، إنكار النسخ في القرآن الكريم ، ب ط ، مركز البحوث المعاصرة ، بيروت ، 2017 .
- (18) تيري بطرسي : الإسلام فوبيا ، إيلاف ، أول يومية الكترونية صدرت من لندن 21 مايو 2001 م .

- (19) جريدة العرب اللندنية ، سلام شماع : العرب والديمقراطية "إشكالية العقل والنقل ، 2017.04.03 م ، العدد (10591) .
- (20) جورج طرابيشي ، هرطقات عن العلمانية كإشكالية إسلامية ، ط 1 ، (ب ت ، بيروت ، دار الساقى ، 2008) .
- (21) جون رولز : نظرية في العدالة ، ترجمة : د. ليلى الطويل ، ط 1 ، الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، 2011 م .
- (22) حازم البيلاوي ، الديمقراطية الليبرالية قضايا ومشاكل ، ط 1 ، (دار الشروق ، القاهرة ، 1993 م) .
- (23) حسن البنا : الأصول العشرين لفهم الإسلام ، الأصل رقم (1) ، الموسوعة التاريخية لجماعة الإخوان المسلمين ، موقع الكتروني .
- (24) حسن البنا ، السلام في الإسلام ، ط 1 ، (دار الكلمة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2000 م) .
- (25) حسن البنا ، مذكرات الدعوة والداعية ، ط 1 ، (آفاق للنشر ، الكويت ، 2011) .
- (26) حسن حمدان الحكيم ، قضايا إسلامية معاصرة ، ط 2 ، مركز الدراسات الآسيوية ، القاهرة ، 1997 م) .
- (27) حسين محمد أحمد حمودة : أسرار حركة انضباط الأحرار والإخوان المسلمون ، ط 1 ، الزهراء للإعلان العربي ، القاهرة ، 1985 م .

- (28) حسين محمد فريد عبد الفتاح : إشكالية العلاقة بين التيارات السلفية وجماعة الإخوان المسلمين وأثرها على عملية التحول الديمقراطي في مصر ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح الوطنية 2014 ، .
- (29) رفيق عبد السلام ، العلمانية والدين والديمقراطية ، ط 1 ، (الدار العربية للعلوم ، بيروت ، 1429 هـ) .
- (30) ريتشارد ميشيل ، الإخوان والشيطان ، ترجمة : هند رشدي ، ب ط ، (دار الحياة ، ب م ، ب ت) .
- (31) ريتشارد ميتشل ، أيديولوجية جماعة الإخوان المسلمين ، الجزء الثاني : التنظيم والأيديولوجية ، ترجمة : منى أنيس وعبد السلام رضوان ، ط 1 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة .
- (32) ريتشارد ميشيل - جيمس جانكوسكي ، ترجمة : هند رشدي ، الإخوان والشيطان ، ب ط (دار الحياة للنشر والتوزيع ، ب م ، ب ت) .
- (33) الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، ج 2 ، ط 3 ، (مكتبة دار التراث ، القاهرة ، 1984 ، القاهرة) .
- (34) سالم البهنساوي : المرأة بين الإسلام والقوانين العالمية ، ط 1 ، دار الوفاء ، القاهرة ، 2003 م .
- (35) سفر بن عبد الرحمن الحوالي ، العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة ، ب ط (ب ن ، ب م ، ب ت) .
- (36) سليمان بن صالح الخراشي ، حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها ، ب ط ، 2010 ، ب ن ، ب م ، (12129) .

- (37) سليمان فائق بك : تاريخ المماليك (الكولة مند) في بغداد ، ترجمة عن التركية . محمد نجيب ارمنازي ، دار ضفاف للطباعة والنشر والتوزيع ، الشارقة ، (بغداد) ، 1912 م .
- (38) سمير حليبي : أبو الأعلى المودودي : "داعية فوق السحاب" ، المكتبة الشاملة ، مشروع موقع دين الإسلام .
- (39) السيد أحمد فرج ، الجذور التاريخية للصراع بين العلمانية والإسلامية ، ط 3 ، (دار الوفاء ، المنصورة ، 1987 م .
- (40) سيد قطب ، العدالة الاجتماعية في الإسلام ، ب ط ، دار الشروق ، القاهرة ، 1995 .
- (41) الشيخ عبد العزيز مصطفى كامل : معركة الثوابت بين الإسلام والليبرالية ، ط 1 ، سلسلة مجلة البيان ، 2010 .
- (42) صادق جلال العظم ، ترجمة : فالح عبد الجبار ، الإسلام والنزعة الإنسانية العلمانية ، ب ط ، (دار المدى للثقافة والنشر ، دمشق ، 2007 م
- (43) الصديق محمد الشيباني : أزمة الديمقراطية الغربية المعاصرة ، ط 2 ، المركز العالمي للدراسات والأبحاث ، طرابلس ، ليبيا ، 1990 م .
- (44) صلاح سلطان : المتقارن بين حقوق المرأة في الميراث والنفقة في الشريعة الإسلامية ، مجلة كلية دار العلوم ، العدد 19 .
- (45) الطيب بو عزة ، نقد الليبرالية ، ط 1 ، (تنوير للنشر والإعلام ، القاهرة ، 2013 م) .
- (46) عابد خليف الشمري ، 29 / شبكة سحاب السلفية ، 1425 / 04/20 هـ .

- (47) عادل ثابت ، النظم السياسية ، ب ط ، (دار الجامعة الجديدة للنشر ، الإسكندرية ، 2001) .
- (48) عبد الباسط ناسي : إشكالية المرجعية في الفكر السلفي "المدخلي" ، ط 2 ، الدار التونسية للكتاب ، 2013 .
- (49) عبد الرحيم بن صمايل السلمي ، الليبرالية نشأتها ومجالاتها ، ب ط ، (ب ن ، ب م ، ب ت) .
- (50) عبد الرحيم علي : الإخوان المسلمون : فتاوي في الأقباط والديمقراطية والمرأة والفن ، ط 1 ، مركز المحروسة ، القاهرة ، 2005 .
- (51) عبد العزيز مرزوق الطريفي ، العقلية الليبرالية ، ط 1 ، (دار الحجاز ، الإسكندرية ، 2011 م) .
- (52) عبد الله الغذامي : الليبرالية الجديدة ، ط 1 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2013 .
- (53) عبد الله بجاد العتبي : ابن تيمية والجهاد : جريدة الرياض ، العدد (13335) ، 2004.12.27 م .
- (54) عبد الله بن بجاد العبيبي ، الإخوان والسعودية ، القصة الكاملة (الحلقة الأولى) الإخوان : من أين أتاهم الاسم ؟ وكيف أتت الفكرة . جريدة الشرق الأوسط ، لندن ، 5 أبريل 2014 ، العدد 12912 .
- (55) عبد الوهاب الكيالي ، الموسوعة السياسية ، ط 3 ، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ج 1 ، 1990) .

56) عصام تليمة : عبد القادر عودة وسذاجة الإخوان السياسية ، موقع عربي

(21) (1213 / 2015) (عربي 21 - 2015.12.31 م) .

57) علاء أبو بكر : إنسانية المرأة بين الإسلام والأديان الأخرى ، ط 1 ،

مركز التنوير الإسلامي ، القاهرة ، ب ت .

58) عمار أبو حوش ، تطوّر النظريات والأنظمة السياسية ، ط ب ، 1977

، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1977 .

59) عمر حمزاوي : جماعة الإخوان وانتخابات 2010 البرلمانية : جريدة المصري

اليوم ... /11/2010 م .

60) فاتح رجب قدارة : الدولة العثمانية في آثار الشيخ الطاهر الزاوي ، المجلة

الجامعة ، العدد السادس عشر ، المجلد الرابع ، نوفمبر 2014 م ، جامعة

الزاوية .

61) فاطمة عبد الهادي "رحلتي مع الأخوات المسلمات" ، ط 1 ، دار الشروق

، القاهرة ، 2011 م .

62) فرنسيس فوكو ياما : نهاية التاريخ والإنسان الأخير ، ترجمة : د. فؤاد

شاهين ود. جميل قاسم رضا الشايبي ، ط 1 ، مركز الإنماء القومي ، بيروت

، 1993 م .

63) فهمي هويدي ، الإسلام والديمقراطية ، المستقبل العربي ، 15 ، العدد

16 ، شهر ديسمبر 1992 .

64) كريم البرليسي ، من هو ابن تيمية ؟ ولماذا كرهه مخالفوه ؟ موقع منتدى

التوحيد .

- (65) مجدي حماد وآخرون ، الحركات الإسلامية والديمقراطية ، (دراسات في الفكر والممارسة) ، ط ، (مركز دراسات الوحدة العربية ، الجزائر ، ب ت) .
- (66) مجلة العرب الدولية ، الديمقراطية عند الإسلاميين ، صناديق الاقتراع ، العدد الأسبوعي ، 27 يناير 2013 م .
- (67) محمد أحمد منصور ، موسوعة أعلام الفلسفة ، ط 1 ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، عمّان ، 2001 .
- (68) محمد الباز ، مدافع الإخوان ، ط 1 ، (كنوز للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2008)
- (69) محمد الحفر حسين ، العلمانية فصل الدين عن السياسة ، ط 1 ، (ب ت ، القاهرة ، 2001) .
- (70) محمد حسن أبو ملح ، المرأة بين الشريعة وجاهلية العصر ، ط 1 ، دار أمواج للطباعة والنشر والتوزيع ، 2011 .
- (71) محمد عبدة ، شرح نهج البلاغة ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .
- (72) محمد عثمان محمود ، العدالة الاجتماعية الدستورية في الفكر الليبرالي السياسي المعاصر ، ط 1 ، (الدوحة ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسة ، 2014) .
- (73) محمد عمارة ، الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية ، ط 1 ، (دار الشرق ، القاهرة ، 1988) .



- (74) محمد محسن ، مصر بين الدولة الإسلامية والدولة العلمانية ، ط 1 ،  
(مركز الإعلام العربي ، القاهرة ، 1992م ) .
- (75) محمود السيد : التتار والمغول ، ط 1 ، مؤسسة شباب الجامعة ، مصر  
، 2006 م .
- (76) محمود سعيد عمران : تاريخ الحروب الصليبية (1095 - 1291 م) ،  
دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 2000 م .
- (77) محمود عبد الحكيم ، الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ ، ج 1 ،  
ط 5 ، (دار الدعوة ، الإسكندرية ، 1994) .
- (78) محمود عبد الرحيم عرفات : إمام الأتراك (مصطفى كمال اتاتورك) ، ط  
1 ، در هفن للنشر ، القاهرة ، 2010 .
- (79) مصطفى عبد الله خشيم ، موسوعة علم السياسة ، ط 1 ، (الدار  
الجماهيرية ، ب م ، 1425) .
- (80) مطارحات ميكافيلي . ترجمة : خيرى حماد . ط 3 ، منشورات دار  
الآفاق الجديدة ، بيروت ، 1982 .
- (81) معجم ألفاظ القرآن الكريم ، المجلد الأول ، ط 2 ، الهيئة المصرية العامة  
للتأليف والنشر ، القاهرة ، 1970 م .
- (82) معمر القذافي ، الكتاب الأخضر ، ط 25 ، منشورات المركز العالمي ،  
طرابلس ، 1999 .
- (83) الموسوعة الفلسفية الحديثة ، ط 1 ، المجلد الثاني ، معهد الإنماء العربي  
، بيروت ، 1988 .

- (84) نصر حامد أبو زيد ، مفهوم النص - دراسة في علوم القرآن - ط 4 ،  
المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر ، بيروت ، 1998 م
- (85) نيفين عبد المنعم سعد وعبد العاطي محمد أحمد ، السياسات الخارجية  
للحركات الإسلامية ، ط 1 ، (جامعة القاهرة ، مركز البحوث والدراسات  
السياسية ، 2000) .
- (86) نيكولو ميكافيلي ، الأمير ، ترجمة : خيري حماد ، ط 12 ، منشورات  
دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، 1982 .
- (87) هاني أبو الرب : "الوآء عند العرب قبل الإسلام وموقف الإسلام منه"  
(مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية ، الجامعة الأردنية ، عمان ،  
الأردن ، عام ص 009 م .
- (88) هشام النجار : رحيل مفتي الجماعات المتشددة في أحد السجون  
الأمريكية ، جريدة العرب اللندنية ، العدد (10548) ، لندن ،  
2017.02.19 م .
- (89) هشام النجار : من أفغانستان إلى سوريا "العائدون" ، تحدي أمني متجدد  
للدولة المصرية ، جريدة العرب اللندنية ، 2017.02.28 م ، العدد 10557
- (90) وليد بن صالح الرميزان ، الليبرالية في السعودية والخليج ، ب ط ، د ت  
، ب م ، ب ت .
- (91) اليزابيت مارتيز وأرنولد حارسيا : ماهي الليبرالية الجديدة ، ترجمة : نصر  
عبد الرحمن ، 2014.10.21 م ، موقع قراءات .

- (92) اليكسيس دو توكفيل ، الديمقراطية في أمريكا ، ج 1 ، ترجمة وتعليق :  
أمين مرسي قنديل ، ط 1 ، دار عالم الكتب ، القاهرة .
- (93) يوسف حامد الشين ، الأديان السماوية بين العقل والنقل ، ط 1 ،  
منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، 2002 .
- (94) يوسف حامد الشين ، مدخل جديد لعلم التفسير ، ط 1 ، دار الأندلس ،  
الإسكندرية ، 2003 .

***Brotherhood discourse and liberal  
discourse ensured both in accordance with  
cultural privacy***

***By***

***Amal Faraj Mohammed Alkndi***

***Supervisor***

***Professor***

***Yousef Ahmed Alshein***

***Abstract***

***Through this study and Presentation of the epic Stuggle  
between the last discourse and the liberal discourse concluded  
that history is often forced to repeat itself despite the different  
intellectual and social circumstances between his past and  
present and the alliar ce. of brotherly discourse with the libral to  
achieve its objectives despite the differences between the  
contents of both speeches .***



***Brotherhood discourse and liberal  
discourse ensured both in accordance with  
cultural privacy***

***By***

***Amal Faraj Mohammed Alkndi***

***Supervisor***

***Professor***

***Yousef Ahmed Alshein***

***This Thesis was submitted in partial fulfillment of the  
Requirements for Master`s Degree of Philosophy***

***University of Benghazi***

***Faculty of Arts***

***2018***